2

JENNY HAN

چيني هان

لا صيف في غيابك

يعرض الآن على
أمازون برايم فيديو
prime video

IT'S NOT SUMMER WITHOUT YOU

رواية

ترجمة: مي أشرف

عصير الكتب
مكتبة ياسمين

لا صيف في غيابك

تكتشف بيلي ماذا يحدث بعد الوقوع في الحب في هذه التكملة لرواية «الصيف الذي أصبحتُ فيه جميلة» لمؤلفتها جيني هان، مؤلفة الثلاثية الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز «إلى كل الأولاد الذين أحببتهم» (والتي حُوِّلَت إلى سلسلة أفلام شهيرة).

اعتادت بيلي أن تعد الأيام حتى قدوم الصيف. حتى تعود إلى شاطئ كازينز مع كونراد وجيرمايا. ولكن ليس هذه السنة. ليس بعد أن مرضت سوزانا مجددًا وتوقف كونراد عن الاهتمام. إن كل ما كان حسنًا وجميلًا قد انهار، تاركًا بيلي تتمنى لو أن الصيف لن يأتي أبدًا.

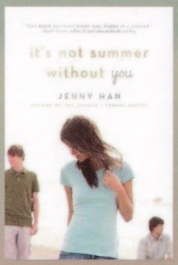

ولكن عندما يتصل جيرمايا ويقول إن كونراد قد اختفى، تعرف بيلي ما ينبغي لها فعله لإصلاح الأمور مرة أخرى. ولا يمكن لهذا أن يحدث إلا في منزل الشاطئ، باجتماع ثلاثتهم معًا، بالطريقة التي اعتادت أن تكون عليها الأمور. فلو أن هذا الصيف هو فعلًا وحقًّا الصيف الأخير، فعليه أن ينتهي بالطريقة التي بدأ بها.. في شاطئ كازينز.

مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook
عصير الكتب
www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

لا صيف في غيابك

يسعدنا انضمامكم إلى قناة

مكتبة ياسمين

معكم نكبر ونستمر بكل جديد

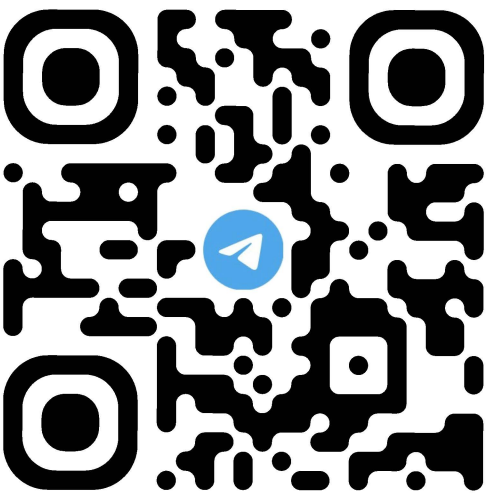

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: It's Not Summer Without You
- العنوان العربي: لا صيف في غيابك
- طُبِع بواسطة: SIMON & SCHUSTER
- حقوق النشر: Copyright © 2010 by Jenny Han
- الطبعة الأولى: يناير/2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- ترجمة: مي أشرف
- تحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: شيماء شحاتة
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2023/23653م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-322-2

عصير الكتب

JENNY HAN

چيني هان

لا صيف في غيابك

مكتبة ياسمين

عصير الكتب

t.me/yasmeenbook

چ + س للأبد.

الفصل الأول

2 يوليو

إنه يوم صيفي حار في كازينز. بينما كنتُ مستلقيةً بجانب المسبح والمَجَلة على وجهي، كانت أمي تلعب «سوليتر» في الشرفة الأمامية، وسوزانا في الداخل تعبث في المطبخ. على الأرجح ستخرج بكوب من الشاي المُثَلَّج وكتاب يتوجَّب عليَّ قراءته. شيء ما رومانسي.

أما كونراد وجيرمايا وستيفن فكانوا يمارسون ركوب الأمواج طوال الصباح. كانت ثمة عاصفة في الليلة السابقة. عاد جيرمايا وكونراد إلى المنزل أولًا. سمعتهما قبل أن أراهما. لقد صعدا السلالم وهما يثرثران ويضحكان على ستيفن وكيفَ فقد سروال سباحته في أعقاب موجة عنيفة للغاية. سار كونراد إليَّ ورفع المجلة الدبقة بالعرق عن وجهي، وابتسم ابتسامة عريضة. قال: «لديكِ كلمات على خَدَّيكِ».

حدَّقتُ إلى وجهه وقد ضيَّقتُ عينيَّ، وقلتُ: «وماذا تقول الكلمات؟».

قرفص بجواري وقال: «لا أستطيع القول. دعيني أرى».

ثم دقق النظر في وجهي بطريقة «كونراد» الجادة خاصَّته. ثم انحنى.. وقَبَّلني، كانت شفتاه باردتين ومالحتين من أثر مياه المحيط.

ثم قال جيرمايا: «إنكما بحاجة إلى الحصول على غرفة».

لكنني علمتُ أنه كان يمزح. لقد غمز لي وهو آتٍ من الخلف، ورفع كونراد وألقى به في المسبح. قفز جيرمايا إلى المياه كذلك، وصاح قائلًا: «هيا يا بيلي!».

لذا بالطبع قفزتُ أيضًا. كانت المياه رائعة. أكثر من رائعة. تمامًا كما هي الحال دائمًا، كان كازينز هو المكان الوحيد الذي أردت أن أكون فيه.

- مرحبًا؟ هل سمعتِ أي شيء مما قلتُهُ للتَّو؟

فتحت عينيَّ. كانت تايلور تلوِّحُ بأصابعها أمام وجهي.

قلتُ: «آسفة. ماذا كنتِ تقولين؟».

لم أكن في كازينز. لم نكن أنا وكونراد معًا، وسوزانا قد ماتت. لا شيء يمكن أن يعود كما كان ثانية. لقد مرَّ *(كم يوم قد مرَّ؟ كم يوم بالضبط؟)* شهران منذ وفاة سوزانا، وما زلتُ لا أصدق ذلك. لم أستطع ترك نفسي تصدق ذلك. عندما يموت شخص تحبه، لا تشعر بأن الأمر واقعٌ حقيقيٌّ لا مفر منه. تشعر كما لو أنه قد حدث لشخص آخر. كما لو أنها حياة شخص آخر. لم أكن جيدةً في استيعاب الأشياء المجردة قط. ما الذي يعنيه أن يكون شخصٌ ما قد رحل بالفعل.. رحل حقًّا؟

أحيانًا أغمضُ عيني. وفي رأسي أقول مرارًا وتكرارًا: *هذا* غير صحيح، *هذا* غير صحيح، غير حقيقي. هذه ليست حياتي. ولكنها حياتي، بالفعل هي كذلك؛ هذه حياتي الآن. وفيما بعد.

كنتُ في فناء منزل مارسي يو الخلفي. كان الأولاد يلهون في أرجاء المسبح، ونحن الفتيات مستلقيات على مناشف الشاطئ. جميعنا مصطفات في صف واحد. لقد كنتُ صديقة لمارسي، لكن البقية، كاتي وإيفلين وأولئك الفتيات، فهن صديقات تايلور أكثر.

لقد بلغت درجة الحرارة ثلاثين درجة مئوية بالفعل، والوقتُ ما يزال بعد الظهيرة بقليل فحسب. سيكون صيفًا حارًّا. كنتُ مستلقية على بطني، وشعرتُ بالعرق يتجمع في عَجُز ظهري. بدأ الإعياء يتسلل إليّ بسبب الشمس. لم نبلغ إلا اليوم الثاني من شهر يوليو، وكنتُ بالفعل أعدُّ الأيام حتى انتهاء الصيف.

كررت تايلور قائلةً: «قلتُ، ماذا سترتدين لحفلة جاستن؟».

كانت قد فَرَشَتْ منشفتينا بعضهما بالقرب من بعض، لذا بدا الأمر وكأننا فوق منشفة واحدة كبيرة.

قلتُ وأنا أدير رأسي حتى يصبح وجهانا متقابلَين: «لا أعرف».

كان لديها قطرات ضئيلة من العرق على أنفها. دائمًا ما يبدأ التعرق عند تايلور من على أنفها.

قالت: «سأرتدي ذلك الفستان الصيفي الجديد الذي اشتريته مع أمي من المركز التجاري».

أغلقتُ عينيَّ مرة أخرى. كنت مرتديةً نظارة شمسية، لذا لم تستطع معرفة ما إذا كانت عيناي مفتوحتين أم لا.

- أي واحد؟

- أنتِ تعرفينه، الفستان المُنَقَّط بنقط البولكا الذي يُربَطُ حول العُنق. لقد أريتكِ إياه، قبل نحو.. يومين.

أطلقَتْ تايلور تنهيدة صغيرة في غير صبر.

قلتُ: «آه، أجل».

غير أنني لم أكن أتذكره بعد، وأعرف أن تايلور قد استطاعت معرفة ذلك.

بدأتُ أقول شيئًا آخر، شيئًا لطيفًا بشأن الفستان، لكنني شعرتُ فجأةً بألومينيوم بارد كالثلج يلتصق برقبتي من الخلف. صرختُ، وإذا بكوري ويلر جاثمًا في الأسفل بجانبي، وفي يده عبوة كوكاكولا قد تكثَّفت على سطحها البارد قطرات من الماء، ويضحك بشدة.

نهضتُ جالسة وحدَّقتُ إليه، وأنا أمسحُ رقبتي. لقد سئمتُ جدًّا من هذا اليوم. أردتُ العودة إلى المنزل فحسب.

«ما هذا الهراء يا كوري! (كان مستمرًّا في الضحك. وهو ما جعلني أستشيط غضبًا)، إن تصرفاتك صبيانية للغاية».

فاحتجَّ قائلًا: «ولكنكِ بدوتِ تعانين حقًّا من حرارة الجو، لذا كنتُ أحاول إنعاشكِ».

لم أجبه، لقد أبقيتُ يدي على ظهر رقبتي فحسب. شعرتُ بفكي مشدودًا للغاية، وأن جميع الفتيات الأخريات يحدِّقن إليَّ. ومن ثم تلاشت ابتسامة كوري بعيدًا بشكلٍ ما، وقال: «آسف. أتريدين علبة الكولا هذه؟».

هززتُ رأسي رافضة، فهزَّ كتفيه وتراجع عائدًا إلى المسبح مرة أخرى. وعندما استدرتُ رأيتُ كاتي وإيفلين وقد ارتسم على وجهيهما تعبير «ما مشكلتها؟»، وشعرتُ بأنني مُحرَجة.

أن تعبث مع كوري هو بمنزلة أن تعبث مع جرو من نوع «جيرمن شيبرد». فقط، لم يكن ثمة أي معنى أو جدوى من ذلك. بعد فوات الأوان، حاولتُ لفت انتباه كوري، لكنه لم ينظر إليَّ.

قالت تايلور بصوت خفيض: «كانت مجرد مزحة يا بيلي».

استلقيتُ على منشفتي مرة أخرى، هذه المرة على ظهري. أخذتُ نفسًا عميقًا وتركته يخرج ببطء. كانت الموسيقى الخارجة من جهاز الـ(iPod) «الآيبود» الخاص بمارسي تصيبني بالصداع. كانت صاخبة جدًّا. وكنتُ عَطْشَى في الواقع. كان عليَّ أن آخذ تلك الكولا من كوري.

مالت تايلور ورفعت نظَّارتي الشمسية حتى تتمكن من رؤية عينيَّ. حدَّقت إليَّ قائلة: «هل أنتِ غاضبة؟».

- كلا. الجو حار جدًّا هنا فحسب.

مسحتُ العرق عن جبيني بظهر ذراعي.

- لا تغضبي. لا يسع كوري إلا أن يكون أبله إلى جوارك. إنه معجب بكِ.

قلتُ وأنا أشيح بنظري بعيدًا عنها: «كوري ليس معجبًا بي».

بيد أنه نوعًا ما كان بالفعل معجبًا بي، وكنتُ أعلم ذلك. تمنيتُ فقط لو أنه لم يكن كذلك.

- أيًّا ما كان. إنه منجذب إليكِ تمامًا. ما زلتُ أعتقد أنه يجب عليكِ منحه فرصة. سيشغل بالكِ عنـ.. أنتِ-تعرفين-مَن.

أدرتُ رأسي بعيدًا عنها وأردَفَتْ قائلةً: «ما رأيكِ بأن أجدِّل لكِ شعركِ على شكل ضفيرة فرنسية من أجل حفلة الليلة؟ يمكنني جَدْلُ الجزء الأمامي وتثبيته على الجانب كما فعلتُ في المرة السابقة».

- حسنًا.

- ماذا سترتدين؟

- لستُ متأكدة.

قالت تايلور: «حسنًا، عليكِ أن تبدي جميلة لأن الجميع سيكونون هناك، سآتي إليكِ مبكرًا ويمكننا الاستعداد معًا».

كان جاستن إيتلبريك يقيم حفلة عيد ميلاد كبيرة في الأول من يوليو من كل عام، منذ الصف الثامن. بحلول شهر يوليو من كل عام، اعتدتُ أن أكون بالفعل في شاطئ كازينز، ويصبح أصدقاء الديار والمدرسة على بعد مليون ميل. لم أبالِ ولو مرة بتفويت فرصة الحضور، ولا حتى عندما أخبرتني تايلور بشأن ماكينة صنع حلوى غزل البنات التي استأجرها والداه في إحدى السنوات، أو الألعاب النارية المذهلة التي أطلقوها فوق البحيرة في منتصف الليل.

كان هذا أول صيف أكون فيه في الديار من أجل حفلة جاستن، وأول صيف لا أعود فيه إلى شاطئ كازينز. وهذا، ما كنتُ أبالي بشأنه. هذا، ما حزنتُ لأجله. ظننتُ أنني سأقضي كل صيف في حياتي في كازينز. إن المنزل الصيفي هو المكان الوحيد الذي أردتُ الوجود فيه. إنه المكان الوحيد الذي لطالما أردتُ الوجود فيه.

سألتني تايلور قائلة: «ما زلتِ آتية، أليس كذلك؟».

- بلى. لقد أخبرتكِ بأنني سآتي.

تجعَّد أنفها.

- أعرفُ، لكن... (انقطع صوت تايلور) لا عليكِ.

أعرفُ أن تايلور كانت تنتظر عودة الأمور إلى طبيعتها مرة أخرى، كما كانت في السابق. لكنها لن تعود أبدًا كما كانت من قبل. لن أعود أبدًا كما كنتُ من قبل.

لقد اعتدتُ أن أومن بما أرغب فيه. كنتُ أعتقد أنني إذا أردتُ شيئًا بشدة، وتمنيته بقوة، بما فيه الكفاية، فإن كل شيء سيحدث كما كان ينبغي له أن يحدث، بالطريقة التي كان مقدرًا له أن يكون عليها. إنه القَدَر، كما كانت سوزانا تقول. وقد تمنيتُ كونراد مع كل أمنية عيد ميلاد، ومع كل شهاب في السماء، ومع كل رِمش مفقود، ومع كل سِنت في نافورة كان مخصصًا للفتى الذي أحبه. اعتقدتُ أن الأمر سيكون دائمًا على هذا النحو.

أرادتني تايلور أن أنسى كونراد، أن أمحوه من ذهني وذاكرتي ببساطة. ظلَّت تقول أشياء مثل: «على الجميع تجاوز حبهم الأول. إنها أحد طقوس العبور[1]. لكن كونراد لم يكن حبي الأول فقط. لم يكن أحد طقوس الانتقال إلى مرحلة النضج. لقد كان أكثر من ذلك بكثير. لقد كان هو وجيرمايا وسوزانا بمكانة عائلتي. وفي ذاكرتي، سيظل ثلاثتهم مُضَفَّرين معًا دائمًا، مترابطين إلى الأبد. لا يمكن أن يكون هناك واحد من دون الآخرَين. إذا نسيتُ كونراد، إذا طردته من قلبي، متظاهرة كما لو أنه لم يكن موجودًا قط، فسيكون الأمر كما لو أنني قد فعلتُ الشيء نفسه مع سوزانا. وذلك، ما لم أستطع فعله.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

(1) طقوس العبور: مصطلح في علم الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان، يشير إلى الطقوس التي تجري بمناسبة العبور من حالة سابقة أو وضع سابق إلى حالة لاحقة أو وضع جديد ذي طبيعة ارتقائية في حياة الإنسان.

الفصل الثاني

كان من المعتاد أنه في الأسبوع الذي تنتهي فيه الدراسة في شهر يونيو، أن نحزم أمتعتنا في السيارة ونتجه مباشرةً إلى كازينز. لقد اعتادت أمي الذهاب إلى متجر «كوسكو» (Costco) في اليوم السابق وشراء دوارق من عصير التفاح، وعبوات بالحجم الاقتصادي من ألواح الجرانولا، وواقي الشمس، وحبوب الإفطار الكاملة. وعندما أتوسل للحصول على حبوب إفطار من نوع «لاكي تشارمس» (Lucky Charms) أو «كابتن كرانش» (CAP'N CRUNCH)، كانت أمي تقول: «ستجدين لدى بيك الكثير من حبوب الإفطار من شأنها أن تُتلِفَ أسنانكِ تسوُّسًا، لا تقلقي».

وبالطبع تكون محقةً في هذا الشأن. فإن سوزانا -أي بيك كما تناديها أمي- كانت تحب حبوب الإفطار المخصصة للأطفال، مثلي تمامًا. لقد تناولنا الكثير من حبوب الإفطار في المنزل الصيفي. لم يكن هناك أي مجال حتى لكي تفسَد. في أحد الأصياف تناول الأولاد الحبوب على الإفطار، والغداء، والعشاء. كان أخي، ستيفن، يتناول رقائق الإفطار المغلفة بالسكر (Frosted Fleakes)، بينما يتناول جيرمايا حبوب الإفطار من نوع «كابتن كرانش»

(CAP'N CRUNCH)، ويتناول كونراد حبوب الذرة المقرمَشة (Corn Pops). جيرمايا وكونراد وَلدا بيك. وهما يحبان أنواع حبوب الإفطار الخاصة بهم. أما أنا، فكنتُ آكل أيًّا ما كان ما يتبقى مع إضافة السكر فوقه.

لقد ظللتُ طوال حياتي أذهب إلى كازينز. لم نفوِّتْ أي صيف، ولا مرة واحدة. ما يقرب من سبعة عشر عامًا من لعِب لعبة الملاحقة مع الأولاد ومحاولة الإمساك بهم، من الأمل والتمني أن أصبح يومًا من الأيام كبيرةً بما يكفي لأكون جزءًا من شلَّتهم، شلَّة أولاد الصيف. وها قد كبرتُ، والآن فات الأوان. في المسبح، في الليلة الأخيرة من الصيف الماضي، قلنا إننا دائمًا سنعود. إنه لأمر مخيف كيف أُخلِفَت الوعود بتلك السهولة. هكذا فحسب.

عندما عدتُ إلى الديار في نهاية الصيف الماضي، انتظرتُ. وانتهى أغسطس وبدأ سبتمبر، وبدأتْ معه الدراسة، وأنا لا أزال أنتظر. لم يكن الأمر كما لو أنني وكونراد قد صارح بعضنا بعضًا بأي شيء. لم يكن الأمر كما لو أنه قد أصبح حبيبي. كل ما فعلناه هو أن تبادلنا القُبَل. لقد كان ذاهبًا للالتحاق بالكلية، حيث سيكون هناك مليون فتاة أخرى. فتيات بلا مواعيد محددة للعودة إلى المنزل، فتيات في قاعات محاضراته، كلهن أذكى وأجمل مني، كلهن غامضات وجديدات بالنسبة إليه بطريقة يستحيل عليَّ أن أكونها.

كنتُ أفكر فيه باستمرار... وفيما يعنيه كل هذا، مَن نحن بالنسبة إلى بعضنا بعضًا. لأننا لن نستطيع العودة. كنتُ أعلم أنني لن أستطيع. ما حدث بيننا -بيني أنا وكونراد، بيني أنا وجيرمايا- قد غيَّر كل شيء. وهكذا عندما بدأ أغسطس وبعده سبتمبر وما زال الهاتف لم يرن، كل ما كان عليَّ فعله هو التفكير في الطريقة التي نظر إليَّ بها في تلك الليلة الأخيرة، لأعرف أنه لا يزال هناك أمل، لأعرف أنني لم أكن فقط أتخيل كل ذلك. هذا غير ممكن.

وفقًا لكلام أمي، فقد نُقِلَ كونراد إلى غرفته في السكن الجامعي، ولديه رفيق سكن مزعج من ولاية نيو جيرسي، وكانت سوزانا قلقة من ألا يحصل على ما يكفيه من الطعام. أخبرتني أمي بتلك الأشياء عَرَضيًّا، بشكل عابر، لكيلا تجرح كبريائي. ولم أحاول الحصول على المزيد من المعلومات قط. كل ما في الأمر، أنني علمتُ بأنه سيتصل. كنتُ واثقةً من هذا. كل ما كان عليَّ فعله هو الانتظار.

جاءت المكالمة في الأسبوع الثاني من سبتمبر، بعد ثلاثة أسابيع من آخر مرة رأيته فيها. كنتُ أتناول آيس كريم الفراولة في غرفة المعيشة، بينما نتشاجر أنا وستيفن على جهاز التحكم عن بعد. كانت ليلة الاثنين، في التاسعة مساءً، الوقت المثالي لمشاهدة التلفاز. رنَّ الهاتف، ولم أتحرك أنا ولا ستيفن للرد على الهاتف. فمن سينهض كان سيخسر المعركة على التلفاز.

رفعت أمي سماعة الهاتف من مكتبها. أحضرَت الهاتف إلى غرفة المعيشة وقالت: «بيلي، مكالمة لكِ. إنه كونراد».

ثم غمَزَتْ.

أصبح كل ما بداخلي يعج بالضجيج. كان بإمكاني سماع صوت المحيط في أذنيَّ. هدير أمواجه المندفعة في طبلتَيْ أذنيَّ، كأنه انتشاء. كان شعورًا ذهبيًّا. لقد انتظرتُ، وها هي مكافأتي! أن يصيب حدسك، أن تتحلى بالصبر، لم يكن هنالك شعورٌ أروع من هذا قط. ومع هذا كان ستيفن هو مَن قطع حلم يقظتي.

قال عابسًا: «لماذا قد يتصل كونراد بكِ؟».

تجاهلتُه وأخذتُ الهاتف من أمي. ابتعدتُ عن ستيفن، وعن جهاز التحكم عن بُعد، وعن طبق الآيس كريم الذائب. فلم يعد أيٌّ من ذلك يهم.

جعلتُ كونراد ينتظر حتى أصبحتُ على الدَّرَج قبل أن أنطق بأية كلمة. جلستُ على الدَّرَج وقلتُ: «مرحبًا».

حاولتُ إبعاد الابتسامة عن وجهي؛ كنتُ أعرف أنه سيستطيع سماعها في نبرة صوتي عبر الهاتف.

قال: «مرحبًا، ما الأخبار؟».

- لا جديد، لا شيء يُذكَر.

- إذن، تخيَّلي أن زميلي في الغرفة يُشخِّر بصوتٍ أعلى منكِ.

اتصل مجددًا في الليلة التالية؛ والليلة التي تليها. تحدثنا لساعات في كل مرة. عندما يرن جرس الهاتف، ونجد أن المكالمة لي وليست لستيفن، كان يبدو على ستيفن الارتباك في البداية.

سأل قائلًا: «لماذا يستمر كونراد في الاتصال بكِ؟».

- لماذا برأيك؟ إنه معجب بي. نحن معجبان بعضنا ببعض.

كاد ستيفن أن يكتم فمه بيده. ثم قال وهو يهزُّ رأسه: «لقد فقد الفتى عقله».

سألته وأنا أعقد ذراعيَّ في تحدٍّ: «هل من المستحيل أن يعجب كونراد فيشر بي؟».

لم يكن عليه حتى التفكير في إجابته.

قال: «أجل. إنه أمر مستحيل للغاية».

وبصراحة، إنه كذلك.

لقد كان أشبه بالحلم. وكأنه غير حقيقي. بعد كل هذا التلهُّف والشوق والتمني، سنوات وسنوات من ذلك، بعد صيف كامل، ها هو **يتصل بي**. لقد أحب التحدث إلي. لقد جعلته يضحك حتى عندما كان لا يرغب في ذلك. كنتُ أفهم ما يمر به، لأنني نوعًا ما كنتُ أمرُّ بذلك أيضًا. لم يكن ثمة سوى عدد قليل من الناس في العالم الذين أحبوا سوزانا كما أحببناها. اعتقدتُ أن هذا سيكون كافيًا.

لقد أصبحنا شيئًا ما. شيئًا لم يُحدَّد بالضبط، لكنه شيء. لقد كان **شيئًا** بحق.

لبضع مرات، قاد السيارة لثلاث ساعات ونصف من الكُليَّة إلى منزلي. وذات مرة، قضى الليلة لأن الوقت كان قد تأخر كثيرًا ولم ترغب أمي في تركه يقود السيارة عائدًا في ذلك الوقت المتأخر من الليل. قضى كونراد الليلة في غرفة الضيوف، واستلقيتُ أنا في سريري متيقظة لساعات، أفكر في كيف أنه كان نائمًا على بُعد أمتار قليلة فقط، في منزلي، في منزلي أنا من بين جميع الأماكن في هذا العالم.

لو لم يكن ستيفن يتسكَّع حولنا كالمرض، فإن كونراد كان على الأقل سيحاول تقبيلي. لكن مع وجود أخي كان الأمر شبه مستحيل. بينما كنتُ أنا وكونراد نشاهد التلفاز، كان ستيفن يجلس بيننا بالضبط، ويتحدثُ مع كونراد عن أشياء لا أعرف عنها شيئًا ولا أهتم بها، مثل كرة القدم. في إحدى المرات، بعد العشاء، سألتُ كونراد عمَّا إذا كان يريد الذهاب للحصول على

حلوى الكاسترد المجمَّد من مطعم «برسترز» (Bruster's)، فتدخل ستيفن مباشرة وقال: «تبدو فكرة جيدة للغاية بالنسبة لي».

حدقتُ إليه، لكنه ابتسم في وجهي ابتسامة عريضة فحسب. ومن ثم أمسك كونراد بيدي أمام ستيفن مباشرة، وقال: «فلنذهب جميعًا».

فذهبنا جميعًا، وأمي كذلك. لم أستطع أن أصدق أنني كنتُ في موعد غرامي في ظل وجود أمي وأخي بالمقعد الخلفي.

لكن في الحقيقة، لقد زاد كل ذلك من حلاوة تلك الليلة الرائعة من ديسمبر. لقد عدتُ أنا وكونراد إلى كازينز، نحن الاثنان فحسب. إن الليالي المثالية نادرًا ما تأتي، لكن تلك الليلة كانت كذلك.. كانت مثالية، أعني. كانت من ذلك النوع من الليالي الذي يستحق الانتظار من أجله.

سعيدة لأننا حظينا بتلك الليلة.

لأنه بحلول شهر مايو، كان كل شيء قد انتهى.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الثالث

غادرتُ منزل مارسي مبكرًا. أخبرتُ تايلور أن ذلك كان لكي أتمكن من الراحة لأجل حفلة جاستن في تلك الليلة. وكان ذلك صحيحًا جزئيًّا. كنتُ أود أن أرتاح، بيْدَ أنني لم أهتم بالحفلة. وبمجرد أن وصلتُ إلى المنزل، ارتديتُ تي-شيرت شاطئ كازينز الواسع الخاص بي، وملأتُ زجاجة مياه بصودا العنب والثلج المجروش، وشاهدتُ التلفاز حتى آلمني رأسي.

ساد الجو هدوء سالم وهانئ. لم يكن هناك سوى أصوات التلفاز ومكيف الهواء. كنتُ أنعم بالمنزل وحدي. فقد حصل ستيفن على وظيفة صيفية في متجر «بست باي» (Best Buy) لبيع الأجهزة الإلكترونية. لقد كان يدخر من أجل شراء شاشة تلفاز مسطحة خمسين بوصة ليأخذها معه عند ذهابه إلى الكلية في الخريف. كانت أمي في المنزل، لكنها أمضت اليوم كله حبيسة مكتبها، تنجز بعض العمل، على حدٍّ قولها.

تفهمتُ ذلك. فلو كنتُ مكانها كنتُ سأود أن أكون وحدي أيضًا. أتت تايلور في نحو الساعة السادسة تقريبًا، مُسَلَّحة بحقيبة مكياج فكتوريا سيكريت (Victoria's Secret) ذات اللون الوردي المتوهج خاصتها. دخلت إلى غرفة

المعيشة ورأتني مستلقيةً على الأريكة مرتديةً تي-شيرت شاطئ كازينز وعبسَتْ قائلةً: «بيلي، ألم تأخذي حتى حمَّامك بعد؟».

فقلتُ من دون أن أنهض: «لقد استحممتُ هذا الصباح».

- أجل، وقد استلقيتِ في الشمس طوال اليوم. (أمسكَتْ بذراعيَّ وتركتها ترفعني إلى وضعية الجلوس) أسرعي واذهبي للاستحمام.

تبعتها إلى الطابق العلوي وبينما دخلَتْ إلى غرفة نومي توجهتُ أنا إلى الحمَّام. أخذتُ أسرع حمَّام في حياتي. إن تايلور متطفلة كبيرة، ولو تركتها تطلق العنان لنفسها كانت ستتجول وتعبث في غرفتي كما لو أنها غرفتها.

عندما خرجتُ كانت تايلور جالسةً أرضًا أمام مرآتي. وبخفة، مزَجَت بودرة التسمير على خَدَّيها وقالت: «هل تريدينني أن أضع لكِ مكياجكِ أيضًا؟».

قلتُ لها: «لا شكرًا... أغمضي عينيكِ بينما أرتدي ملابسي، حسنًا؟».

رفعَتْ بؤبؤي عينيها لأعلى ثم أغمضتهما وقالت: «بيلي، إنك متزمتة للغاية».

فقلتُ وأنا أرتدي ملابسي الداخلية وحمالة صدري: «لا يهمني ما إذا كنتُ كذلك».

ثم ارتديتُ تي-شيرت شاطئ كازينز الخاص بي مجددًا.

- حسنًا، يمكنكِ النظر الآن.

فتحت تايلور عينيها على مصراعيهما ووضعت الماسكارا على رموشها.

عرضَتْ قائلة: «يمكنني طلاء أظفاركِ أيضًا. لدي ثلاثة ألوان جديدة».

- لا. ليس هناك داعٍ.

رفعتُ يديَّ لأعلى. كانت أظفاري مقضومة حتى اللحم.

امتعضت تايلور وقالت: «حسنًا، ماذا سترتدين؟».

قلتُ مخفيةً ابتسامتي: «هذا».

كنتُ قد أشرتُ إلى تي-شيرت شاطئ كازينز الذي أرتديه. لقد ارتديته مرات عديدة لدرجة أنه صارت به ثقوب صغيرة حول العُنق، وأصبح ناعمًا كالبطانية. تمنيتُ لو أنني أستطيع ارتداءه للحفلة.

قالت وهي تجثو على ركبتيها أمام خزانتي: «مضحك للغاية».

ثم وقفَتْ وبدأتْ تعبث بثيابي، وتزيح الشَمَّاعات على الجانب، وكأنها لا تعرف بالفعل كل قطعة أمتلكها من الملابس عن ظهر قلب. عادةً لم أكن أكترث، لكنني اليوم شعرتُ أن كل شيء يزعجني ويثير انفعالي.

قلتُ لها: «لا تقلقي بشأن ذلك. سأرتدي سروالي القصير ذا الأطراف الممزقة مع تانك-توب فحسب».

- بيلي، الناس يتأنقون من أجل حفلات جاستن. إنك لم تذهبي إلى أي من حفلاته من قبل، لذلك لا تعرفين، لكن لا يمكنكِ ارتداء سروالكِ القصير الممزق القديم.

أخرجت تايلور فستاني الصيفي الأبيض. آخر مرة ارتديته فيها كانت في الصيف الماضي، في تلك الحفلة بصحبة كام. أخبرتني سوزانا أن الفستان كان يبرز جمالي وكأنه إطار لصورة. نهضتُ وأخذتُ الفستان من تايلور وأعدته إلى خزانة ملابسي.

قلتُ: «ذلك مُلَطَّخ. سأجد شيئًا آخر».

عادت تايلور للجلوس أمام المرآة وقالت: «حسنًا، إذًا ارتدي ذلك الفستان الأسود ذا الزهور الصغيرة. إنه يبرز نهديكِ بشكل مذهل».

فأخبرتها قائلة: «إنه غير مريح؛ ضيِّق جدًّا».

- أرجوكِ؟

تنهَّدتُ، وأزلته عن الشَمَّاعة وارتديته. في بعض الأحيان كان من الأسهل الرضوخ لتايلور. إننا صديقتان، صديقتان مقربتان، منذ أن كنا طفلتين صغيرتين. لقد دامت صداقتنا المُقَرَّبة لوقت طويل جدًّا لدرجة أنها أصبحت تقريبًا قائمة بحكم العادة، ذلك النوع من الأشياء الذي لم يعد لديك قول فيه بعد الآن.

أتت وأغلقت السحَّاب لي.

- انظري، إنه يبدو مثيرًا. والآن، لنتحدث حول خطة عملنا.

- أي خطة عمل؟

- أعتقد أنكِ أنتِ وكوري ويلر يجب أن تتبادلا القُبل في الحفلة.

- تايلور...

رفعت يدها قائلة: «فقط اسمعيني. كوري لطيف للغاية وهو وسيم جدًّا. إذا عمل على لياقة جسده وبرزت عضلاته قليلًا، يمكنه أن يكون مثيرًا مثل.. مثل عارضي ماركة «أبركرومبي»».

استنشقتُ نَفَسًا قويًّا في تذمر وقلتُ: «بحقك».

- حسنًا، إنه على الأقل وسيم كالسيد «ك».

لم تعد تدعوه باسمه مطلقًا. الآن لم يعد سوى مجرد «أنتِ تعرفين مَن»، أو السيد «ك».

- تايلور، توقفي عن الضغط عليَّ. لا يسعني تجاوزه فقط لأنكِ تريدين مني ذلك.

فقالت بتملق: «ألا يمكنكِ المحاولة على الأقل؟ يمكنك نسيانه عن طريق التقرب إلى كوري. هو لن يمانع».

قلتُ لها وقد عنيتُ ذلك حقًّا: «لو ذَكَرتِ أمر كوري مرة أخرى، لن أذهب إلى الحفلة».

في الواقع، كنتُ آمل نوعًا ما أن تذكرهُ مجددًا ليكون ذريعةً لي لعدم الذهاب.

اتسعت عيناها وقالت: «حسنًا، حسنًا. آسفة. سأبقي فمي مغلقًا».

ثم أمسكت بحقيبة مكياجها وجلست على حافة سريري، وجلستُ أنا عند قدميها. أخرجت مشطًا وقَسَّمَتْ شعري. لقد جدَّلَته بسرعة، بأنامل سريعة وواثقة، ولما انتهت، ثبَّتت الضفيرة بأعلى رأسي إلى الجانب، كما التاج. لم تتحدث أي منا في أثناء عملها، حتى قالت: «أحب شعركِ بهذا الشكل. تبدين نوعًا ما وكأنكِ واحدة من الأمريكيين الأصليين. مثل أميرة من هنود قبيلة الشيروكي أو شيء من هذا القبيل».

بدأتُ أضحك، لكنني أوقفتُ نفسي بعد ذلك. نظرت تايلور إلى عينيَّ في المرآة وقالت: «لا بأس إن ضحكتِ، تعلمين ذلك. لا بأس إن حظيتِ ببعض المرح».

قلتُ: «أعلم».

بيد أنني لم أفعل.

قبل مغادرتنا توقفتُ عند حجرة مكتب أمي. كانت جالسة على مكتبها الذي تعلوه المجلدات وأكوام من الأوراق. لقد جعلت سوزانا أمي المُنَفِّذ لوصيتها، وقد تضمن ذلك الكثير من الأعمال الورقية، بحسب تخميني. لقد أمضت أمي كثيرًا من الوقت تتحدث على الهاتف مع محامي سوزانا، لتسوية التفاصيل المختلفة. أرادت أن يسير كل شيء بشكل مثالي، أمنيات بيك الأخيرة.

لقد تركت سوزانا لكل منا، أنا وستيفن، بعض الأموال اللازمة للالتحاق بالكلية. كما أنها تركت لي جواهر. لم أستطع تخيل نفسي أرتدي سوار تنس من الياقوت قط. وعُقدًا من الألماس ليوم زفافي.. لقد كتَبَتْ ذلك على وجه التحديد. وقرطين من الأوبال وخاتمًا من الأوبال كذلك. هؤلاء كانوا المفضلين لدي.

- أمي؟

فرفعت عينيها قائلة: «نعم؟».

- هل تناولتِ العشاء؟

كنتُ أعلم أنها لم تفعل. إنها لم تغادر حجرة مكتبها منذ أن عدتُ إلى المنزل.

قالت: «أنا لستُ جائعة. إذا لم تجدي أي طعام في الثلاجة، يمكنكِ طلب البيتزا إذا أردتِ».

عرضتُ قائلة: «يمكنني إعداد شطيرة لكِ».

لقد ذهبت إلى المتجر في وقت سابق من ذلك الأسبوع. كنا أنا وستيفن نتناوب على ذلك. أشك في أنها تعرف حتى أنه بنهاية الأسبوع ستبدأ عطلة الرابع من يوليو[1].

- كلا، لا بأس. سأنزل وأعد شيئًا ما لنفسي لاحقًا.

---

(1) يوم الاستقلال الأمريكي.

فقلتُ في تردد: «حسنًا. أنا وتايلور ذاهبتان إلى حلفة. لن أتأخر كثيرًا في العودة إلى المنزل».

كان جزءٌ مني يأمل أن تخبرني بأنه عليَّ البقاء في المنزل. أراد جزء مني عرض البقاء برفقتها، لمعرفة ما إذا كانت ترغب في رؤية ما الفيلم الذي ستعرضه قناة «تيرنر كلاسيك موفيز» (Turner Classic Movies)، وإعداد بعض الفشار.

لقد عادت بالفعل للتركيز في أوراقها، وهي تعضُّ على قلمها الحبر الجاف.

قالت: «يبدو هذا رائعًا. انتبها لنفسيكما».

أغلقتُ الباب خلفي.

كانت تايلور تنتظرني في المطبخ، وتكتب رسالة نصية ما على هاتفها الخلوي.

- هيا، دعينا نسرع ونذهب الآن.

- انتظري، عليَّ فعل شيء واحد أخير.

ذهبتُ إلى الثلاجة وأخرجتُ أشياء لإعداد شطيرة لحم الديك الرومي. خردل، وجبن، وخبز أبيض.

- بيلي، سيكون هنالك طعام في الحفلة. لا تأكلي هذا الآن.

قلتُ: «هذا لأمي».

أعددتُ الشطيرة، ووضعتها على طبق، وغطَّيته بغلاف بلاستيكي، وتركته فوق الكاونتر حيث سيتسنَّى لها رؤيته.

بدت حفلة جاستن تمامًا كما أخبرتني عنها تايلور. رأيتُ نصف صفِّنا الدراسي هناك. ولم أجد والدَي جاستن في أي مكان على مرمى البصر. كانت ثمة مصابيح على شكل شعل نارية مصطفة على طول الفناء، ورأيتُ مكبرات الصوت تهتز فعليًّا، كانت الموسيقى صاخبة جدًّا. والفتيات قد بدأن يرقصن

بالفعل. كان ثمة برميل خمر كبير ومُبَرِّد أحمر ضخم. تولى جاستن أمر الشوَّاية، إذ أخذ يقلِّب شرائح اللحم والنقانق. كان يرتدي مئزر مطبخ مكتوبًا عليه «قُبلة للطاهي».

قالت تايلور ساخرة: «وكأن أي شخص قد يبادله القُبَل».

حاولت تايلور إيقاع جاستن في شباكها في بداية العام، قبل أن تستقر على حبيبها الحالي، ديفيز. لقد خرجت هي وجاستن بضع مرات قبل أن يتخلى عنها من أجل فتاة بالصف الأخير. لقد نسيتُ وضع رشّاش مضاد الحشرات، وكان البعوض سيلتهمني على العشاء. ظللتُ أنحني لأحك ساقيَّ، وكنتُ مسرورة لفعل ذلك. مسرورة لأنني كان لدي شيء ما أفعله. كنتُ خائفة من أن تقابل عيناي عينيْ كوري مصادفةً. فقد كان يتسكع بجانب المسبح.

كان الناس يشربون البيرة في أكواب بلاستيكية حمراء اللون. أحضرت تايلور لكلتينا مشروب الكوكتيل الذي لا يحتوي سوى على نسبة ضئيلة من الخمر. كان مشروبي برتقالي اللون. كان مُفرط التحلية ومذاقه أشبه بالمواد الكيميائية. أخذتُ رشفتين قبل أن ألقيه بعيدًا.

ثم رصدت عينا تايلور ديفيز واقفًا بجوار طاولة لعبة شُرب البيرة فوضعت إصبعها على شفتيها وأمسكت بيدي. مررنا من خلفه وأزلقت تايلور ذراعيها حول ظهره قائلة: «أمسكتُ بك!».

استدار وتبادلا القُبَل وكأنهما لم يريا بعضهما بعضًا قبل ساعات قليلة. وقفتُ هناك لدقيقة، متشبثة بحقيبتي في ارتباك، أجول ببصري في كل مكان عدا النظر إليهما. في الحقيقة كان اسمه بِن ديفيز، لكن الجميع يدعونه ديفيز. كان ديفيز لطيف المظهر بحق؛ لديه غمَّازتان وعينان خضراوان كزجاج البحر. وكان قصير القامة، وهو الأمر الذي وصفته تايلور في البداية بكونه عيبًا كبيرًا، إلا أنها تزعم الآن أن الأمر لا يهم كثيرًا. لقد كرهتُ الذهاب معهما إلى المدرسة لأنهما كانا يمسكان يدي بعضهما ببعض طوال الوقت بينما أجلسُ أنا في الخلف كالأطفال. لقد كانا ينفصلان مرة واحدة على الأقل شهريًّا، وهما لم يكونا يتواعدان إلا منذُ أبريل الماضي. في إحدى مرات انفصالهما، اتصل بها، باكيًا، محاولًا الرجوع إليها، وقد وضعته تايلور على مُكَبِّر الصوت. شعرتُ بالذنب لأنني استمعتُ إلى المكالمة لكن في الوقت

نفسه كنتُ حاسدة ومذهولة نوعًا ما لأنه كان يهتم لتلك الدرجة، لدرجة كانت كافية لإبكائه.

قال ديفيز وهو يضع ذراعه حول خصر تايلور: «إن «بيت» ذاهب للتبول، هلا بقيتِ برفقتي حتى يعود؟».

نظرت إليَّ وهي تهزُّ رأسها وقد أبعدت نفسها عن ذراعه قائلة: «لا يمكنني ترك بيلي وحدها».

فرمقتها بنظرة وقلتُ: «تايلور، إنكِ لستِ بحاجة إلى أن تجالسيني كالأطفال. عليكِ الذهاب للَّعِب».

- متأكدة؟

- بالطبع، متأكدة.

سرتُ بعيدًا قبل أن تتمكن من مجادلتي. ألقيتُ التحية على مارسي، وفرانكي الذي اعتدتُ ركوب الحافلة معه في المرحلة الإعدادية، وأليس التي كانت صديقتي المفضلة في مرحلة رياض الأطفال، وسايمون الذي كانت صورتي بجانب صورته في الكتاب السنوي. كنتُ أعرف معظم هؤلاء الأطفال طوال حياتي، ومع ذلك لم أشعر بالحنين إليهم قط أكثر مما شعرتُ بالحنين إلى شاطئ كازينز.

بطرف عيني رأيتُ تايلور تتجاذب الحديث مع كوري، ففررتُ قبل أن تتمكن من مناداتي. أخذتُ مشروبًا غازيًّا وشققتُ طريقي إلى الترامبولين. لم يكن ثمة أي شخص عليه حتى الآن، لذا خلعتُ خُفَّيَّ وصعدتُ فوقه. استلقيتُ في منتصفه تمامًا، مع الحرص على تثبيت تنورتي جيدًا من جانبيَّ. بدت النجوم مثل قطع صغيرة من الألماس الساطع في السماء. تجرعتُ الكولا خاصتي دفعة واحدة، تجشأتُ عدة مرات، ونظرتُ حولي لأرى ما إذا كان أحد قد سمعني. لكن لا، كان الجميع يتسكَّعون بجوار المنزل. ومن ثم حاولتُ عدَّ النجوم، وهو أمر سخيف تمامًا كمحاولة عدِّ حبات الرمل، لكنني فعلتُ ذلك على أية حال لأشغل نفسي بشيء ما. تساءلتُ متى سأتمكن من التسلل والعودة إلى منزلي. لقد جئنا بسيارتي، ويمكن لتايلور الحصول على توصيلة للمنزل برفقة ديفيز. ثم تساءلتُ عمَّا إذا كان سيبدو الأمر غريبًا لو لففتُ عددًا قليلًا من النقانق لأخذها معي وأكلها لاحقًا. لم أفكر في سوزانا منذ ساعتين،

على أقل تقدير. لربما كانت تايلور على حق، لربما كان هذا هو المكان الذي من المفترض أن أكون فيه. لو ظللتُ أشتاق إلى كازينز، لو ظللتُ أنظر إلى الوراء، سيكون محكومًا عليَّ بالبؤس الأبدي.

وبينما أنا مستغرقة في التفكير في هذا الأمر، صعد كوري على الترامبولين وشقَّ طريقه إلى الوسط، إلى حيث كنتُ مستلقية.

استلقى بجواري وقال: «مرحبًا يا كونكلين».

منذ متى وأنا وكوري ينادي بعضنا بعضًا بأسماء عائلاتنا؟ هذا لم يحدث من قبل.

ومن ثم مضيتُ قدمًا وقلتُ: «مرحبًا يا ويلر».

حاولتُ ألا أنظر إليه. حاولتُ التركيز على عدِّ النجوم وليس على مدى قربه مني. اتكأ كوري على مرفقه وقال: «أتستمتعين بوقتكِ؟».

- بالتأكيد.

بدأ بطني يؤلمني. كان التهرب من كوري يصيبني بقرحة في معدتي.

- هل رأيتِ أي شهب حتى الآن؟

- ليس بعد.

كانت رائحة كوري مزيجًا من الكولونيا والبيرة والعرق، والغريب أنه لم يكن مزيجًا سيئًا. كان صوت الصراصير عاليًا، وبدت الحفلة بعيدة جدًّا حقًّا.

- إذًا يا كونكلين..

- نعم؟

- أما زلتِ تواعدين ذلك الشاب الذي أحضرتِه إلى حفلة التخرج، ذلك ذو الحاجبين المتلاصقين؟

ابتسمتُ. لم أستطع تمالك نفسي.

- ليس لدى كونراد حاجبان متلاصقان. وكلا. لقد، إمم، انفصلنا.

فقال: «رائع».

وظلت الكلمة معلقة في الهواء. كانت هذه لحظة من لحظات مفترق الطُّرق. يمكن للَّيلة أن تسير في أي من الاتجاهين. لو مِلتُ إلى يساري قليلًا

فقط، يمكنني تقبيله. يمكنني إغماض عينيَّ وترك نفسي أهيم في كوري ويلر. يمكنني المضي قدمًا والنسيان. أو التظاهر بذلك على الأقل.

لكن رغم أن كوري كان وسيمًا، ولطيفًا، فإنه لم يكن كونراد. بل لا يشبهه ولو قليلًا. كان كوري بسيطًا، إنه أشبه بحلاقة الشعر العسكرية، كل شيء بشأنه كان واضحًا وكل الخطوط تسير في الاتجاه نفسه. ليس مثل كونراد. يمكن لكونراد أن يقلب كياني رأسًا على عقب بنظرة واحدة، بابتسامة واحدة. مدَّ كوري يده وفرك ذراعي على نحو لعوب وقال: «إذًا يا كونلين، لربما يمكننا...».

نهضتُ جالسة. وقلتُ أول شيء أمكنني التفكير فيه: «تبًّا، عليَّ الذهاب للتبول. أراكَ لاحقًا يا كوري!».

نزلتُ عن الترامبولين بأسرع ما يمكنني، وجدتُ خُفيَّ، وتوجهتُ عائدة نحو المنزل. رصدتُ تايلور بالقرب من المسبح وذهبتُ إليها مباشرةً، وهمستُ قائلة: «إنني بحاجة إلى التحدث إليكِ».

أمسكتُ بيدها وسحبتها بجانب طاولة الوجبات الخفيفة وقلتُ: «منذ، نحو خمس ثوان، كاد كوري ويلر أن يطلب مني الخروج معه».

- و؟ ماذا قلتِ له؟

كانت عينا تايلور تلمعان، وكرهتُ هيئتها وهي مغرورة بنفسها، وكأن كل شيء كان يسير وفقًا لخطة مرسومة.

أجبتها قائلة: «قلتُ إنني عليَّ الذهاب للتبول».

- بيلي! عودي إلى ذلك الترامبولين مرة أخرى وبادليه القُبَل!».

- تايلور، هلا توقفتِ! أخبرتكِ أنني غير مهتمة بكوري. لقد رأيتكِ تتحدثين معه في وقت سابق. هل جعلتِه يطلب مني الخروج معه؟

هزَّت كتفيها قليلًا، وقالت: «حسنًا... لقد كان معجبًا بكِ طيلة العام، وقد كان يستغرق وقتًا طويلًا لكي يطلب منكِ الخروج معه. ربما أكون قد دفعته قليلًا فقط في الاتجاه الصحيح. إنكما يا رفيقان تبدوان لطيفين جدًّا على الترامبولين معًا».

هززتُ رأسي قائلة: «أتمنى حقًّا لو أنكِ لم تفعلي ذلك».

- كنتُ أحاول فقط إبعاد تفكيرك عن بعض الأمور!

قلتُ: «حسنًا. إنني لستُ بحاجة إلى قيامك بهذا».

- بل أنتِ كذلك.

حدق بعضنا إلى بعض لدقيقة. في بعض الأيام، أيام مثل هذا اليوم، وددتُ لو أعتصر رقبتها. كانت متسلطة للغاية طوال الوقت. لقد سئمت للغاية من تايلور وهي تدفعني في هذا الاتجاه وذاك، وتختار ملابسي كما لو كنتُ إحدى دُماها الأكثر رثاثة والأقل حظًّا. لطالما كان الأمر على هذا النحو فيما بيننا. لكن الأمر هو أنني أخيرًا أصبحتُ أملك عذرًا حقيقيًّا للمغادرة، وشعرتُ بالارتياح. قلتُ: «أعتقدُ أنني سأعود إلى المنزل».

- ما الذي تتحدثين عنه؟ لقد وصلنا للتو.

- إنني فقط لستُ في مزاج يسمح لي بوجودي هنا، حسنًا؟

أعتقدُ أنها قد سئمت مني أيضًا، لأنها قالت: «لقد مرَّ وقتٌ طويل على ما حدث يا بيلي. ومرت شهور وأنتِ في هذه الحالة من الكآبة. هذا غير صحِّي... تعتقد أمي أنه يجب عليكِ الذهاب لزيارة معالج».

- ماذا؟ هل كنتِ تتحدثين مع أمكِ عني؟

حدَّقتُ إليها في غضب.

- أخبري والدتكِ أن تحتفظ بنصيحتها النفسانية لإيلين.

شهقت تايلور وقالت: «لا أصدق أنكِ قلتِ ذلك للتو».

كانت إيلين، قطتهم، تعاني اضطرابًا عاطفيًّا موسميًّا، وفقًا لما تراه والدة تايلور. لقد كانوا يعطونها عقاقير مضادة للاكتئاب طوال الشتاء، وعندما وجدوها ما تزال متقلبة المزاج في الربيع، أرسلوا إيلين إلى متخصص في علاج سلوك القطط. في رأيي، كانت إيلين قطة خبيثة ولئيمة ليس إلا.

أخذتُ نفسًا وقلتُ: «لقد استمعتُ إلى نحيبك على إيلين لأشهر، ومن ثم تموت سوزانا وتريدين مني تقبيل كوري ببساطة ولعب لعبة الشُّرب ونسيانها؟ حسنًا، أنا آسفة، لكنني لا أستطيع».

نظرت تايلور حولها نظرة سريعة قبل أن تقترب مني أكثر وتقول: «لا تتصرفي وكأن سوزانا هي الشيء الوحيد الذي أنتِ حزينة بشأنه يا بيلي. إنكِ حزينة على كونراد أيضًا، وأنتِ تعرفين ذلك».

لم أستطع أن أصدق أنها قالت لي ذلك. كان هذا مؤلمًا. إنه مؤلم لأنه حقيقي. لكنها تظل ضربةً أسفل الحزام. لقد اعتاد أبي مناداتها بتايلور التي لا تُقهر. وهي كذلك. لكن سواء في السراء أو الضراء، كانت تايلور جويل جزءًا مني، وأنا جزء منها.

بأسلوب ليس دنيئًا تمامًا، قلتُ: «لا يمكننا جميعًا أن نكون مثلكِ يا تايلور».

فاقترحتْ بابتسامة صغيرة قائلة: «يمكنكِ المحاولة. اسمعي، أنا آسفة بشأن أمر كوري. أريدكِ فقط أن تكوني سعيدة».

- أعلمُ ذلك.

طوقتني بذراعيها، وسمحتُ لها بذلك.

- سيكون صيفًا رائعًا، سترين.

رددتُ قائلة: «رائع».

لم أكن أبحث عن صيف رائع. لقد أردتُ التجاوز. أردتُ المضي قدمًا فحسب. لو تمكنتُ من اجتياز هذا الصيف، فسيسهل اجتياز الصيف التالي. لا بد للأمر أن يكون كذلك، لذلك بقيت لفترة أطول قليلًا. جلستُ في الشرفة مع ديفيز وتايلور، وشاهدتُ كوري يغازل طالبة بالصف الثاني. أكلتُ النقانق، ومن ثم عدتُ إلى المنزل.

في المنزل، وجدتُ الشطيرة ما تزال على الكاونتر، وما تزال ملفوفة بالغلاف البلاستيكي. وضعته في الثلاجة وتوجهتُ إلى الطابق العلوي. كان ضوء غرفة أمي مضاءً، لكنني لم أدخل لقول ليلة سعيدة. ذهبتُ مباشرة إلى غرفتي وعدتُ إلى تي-شيرت شاطئ كازينز الكبير الخاص بي، وفككتُ ضفيرتي، وفرَّشتُ أسناني، وغسلتُ وجهي. ثم دخلتُ تحت الأغطية واستلقيتُ

على السرير، أُفَكِّرُ فحسب. جال في خاطري: *إذن، هذا ما تبدو عليه الحياة الآن. من دون سوزانا، من دون الأولاد.*

لقد مر شهران، وقد نجوت من يونيو. حدَّثتُ نفسي قائلةً: يمكنني *فعل ذلك*. يمكنني الذهاب إلى السينما مع تايلور وديفيز، يمكنني السباحة في مسبح مارسي، وربما يمكنني حتى الخروج مع كوري ويلر. لو فعلتُ تلك الأشياء، فسيكون كل شيء على ما يرام. لعل السماح لنفسي بنسيان كيف كانت الأمور رائعة في السابق يسهِّل الأمر.

لكن عندما نمتُ في تلك الليلة، حلمتُ بسوزانا والمنزل الصيفي. حتى في أثناء نومي كنتُ أعرف تمامًا كيف كانت الأمور رائعة في السابق. كم كانت مضبوطة. ومهما كان ما تفعله أو مدى جهدك في المحاولة، لن يسعك التوقف عن الحلم.

الفصل الرابع

جيرمايا

إن رؤية أبيك يبكي تربك دماغك بحق. ربما ليس بالنسبة إلى بعض الناس. ربما يكون لدى بعض الناس آباء يبكون بأريحية ويتواصلون مع عواطفهم، لكن ليس أبي. أبي ليس بكَّاءً، وبالتأكيد أنه لم يشجعنا يومًا قط على البكاء كذلك. لكن في المستشفى، ومن ثم في دار الجنازة، بكى مثل طفل صغير تائه. لقد توفيت أمي في صباح باكر. حدث كل شيء بسرعة كبيرة، لقد استغرق مني الأمر برهة لاستيعاب وإدراك أن كل هذا كان يحدث بالفعل. لا يضرب الأمر استيعابك على الفور. لكن في وقت لاحق من تلك الليلة، الليلة الأولى من دونها، لم يكن هناك غيري أنا وكونراد في المنزل. المرة الأولى التي نكون فيها بمفردنا منذ أيام.

كان المنزل هادئًا جدًّا. بينما كان والدنا في الجنازة مع لوريل، مكث الأقارب في أحد الفنادق. لم يكن هناك غيري أنا وكون. طوال اليوم، ظل الناس يدخلون ويخرجون من المنزل، والآن لا يوجد غيرنا فحسب.

كنا جالسيَن إلى طاولة المطبخ. لقد أرسل إلينا الناس جميع أنواع الأشياء. سلال من الفاكهة، وصحون من الشطائر، وكعكة قهوة. وعلبة كبيرة من بسكويت الزبدة من متجر «كوسكو».

مزَّقتُ قطعة من كعكة القهوة وحشوتها في فمي. كانت جافة. أخذتُ قطعة أخرى وأكلتها كذلك.

سألتُ كونراد قائلًا: «أتريد بعضها؟».

قال: «كلا».

كان يحتسي الحليب. تساءلتُ عمَّا إذا كان قديمًا. لا أتذكر آخر مرة ذهب فيها أي شخص إلى المتجر.

سألتُ قائلًا: «ما الذي سيحدث غدًا؟ هل سيأتي الجميع إلى هنا؟».

هزَّ كونراد كتفيه، وقد ارتسم فوق شفتيه شاربٌ من الحليب، وقال: «على الأرجح».

كان هذا كل ما قاله بعضنا لبعض. صعد إلى غرفته في الطابق العلوي، ونظفت المطبخ. ومن ثم شعرتُ بالتعب، وصعدتُ أنا كذلك. فكرتُ في الذهاب إلى غرفة كونراد، لأنه على الرغم من أننا لم نقل أي شيء، فإنه من الأفضل أن نبقى معًا، بدا ذلك أقل وحشة. وقفتُ في الردهة للحظة، على وشك أن أطرق الباب، ومن ثم سمعته يبكي. تنهدات مختنقة. لم أدلف إلى الداخل. تركته وحيدًا. كنتُ أعرف أن هذا ما كان يرغب فيه. ذهبتُ إلى غرفتي وأويتُ إلى الفراش. وبكيتُ أنا أيضًا.

الفصل الخامس

ارتديتُ نظارتي القديمة إلى الجنازة، النظارة ذات الإطارين البلاستيكيين الحمراوين. بدت أشبه بارتداء معطف ضيق جدًّا منذ زمن بعيد. لقد أصابتني بالدوار، لكنني لم أكترث. لطالما كانت سوزانا تحب مظهري بتلك النظارة. قالت إنني كنت أبدو كأذكى فتاة في الغرفة، تلك الفتاة التي هي في طريقها لمكان ما وتعرف بالضبط كيف ستصل إلى هناك. رفعتُ شعري قليلًا لأعلى، لأن تلك كانت الطريقة التي تحبه بها. لطالما قالت بأنها تُظهر وجهي.

شعرتُ بأنه الشيء الصحيح الذي يجب القيام به، أن أبدو بأفضل مظهر كانت تحب رؤيتي عليه. على الرغم من أنني كنتُ أعلم أنها قد قالت تلك الأشياء فقط لترفع من معنوياتي، فإنها لا تزال تبدو حقيقية. لقد صدَّقتُ كل شيء قالته سوزانا. حتى إنني صدَّقتُها عندما قالت إنها لن تغادر أبدًا. أعتقد أننا جميعًا قد صدَّقنا ذلك، حتى أمي.

لقد فوجئنا جميعًا عند حدوث ذلك، وحتى عندما أصبح الأمر محتومًا، وحقيقة لا مفر منها، لم نصدق الأمر قط. لقد بدا مستحيلًا. ليس بشأن سوزانا خاصتنا، ليس بشأن بيك. دائمًا ما نسمع عن أناس تحسنت حالتهم، وغلبوا التوقعات.

كنتُ على يقين من أن سوزانا ستكون واحدة منهم. حتى ولو كان احتمالًا بنسبة واحد في المليون. فإن سوزانا ستكون هي هذا الواحد في المليون.

ساءت الأمور بسرعة. تدهورت للغاية، لدرجة أن أمي كانت تسافر ذهابًا وإيابًا بين منزل سوزانا في بوسطن ومنزلنا، في عطلة نهاية الأسبوع، مرة كل أسبوعين في البداية، ومن ثم بشكل أكثر تكرارًا. لقد اضطرت إلى أخذ إجازة من العمل. وكانت لديها غرفتها الخاصة في منزل سوزانا.

جاءت المكالمة في الصباح الباكر. كان الجو ما يزال معتمًا بالخارج. إنها أخبار سيئة، بالطبع؛ فالأخبار السيئة هي النوع الوحيد الذي لا يمكنه الانتظار فعلًا. بمجرد أن سمعتُ رنين الهاتف، رغم رنينه في أثناء نومي، عرفتُ. لقد رحلت سوزانا. استلقيتُ على سريري في انتظار أن تأتي أمي لتخبرني. كان بإمكاني سماع حركتها داخل غرفتها، ومن ثم سماع صوت انهيال المياه من دُش الاستحمام.

ولما لم تأتِ، ذهبتُ إلى غرفتها. كانت تحزم أغراضها، وشعرها ما يزال مبللًا. نظرت إليَّ، وعيناها متعبتان وخاويتان وقالت: «لقد رحلت بيك».

وهذا كل شيء.

كان بإمكاني الشعور بأحشائي تتهاوى للسقوط. وركبتيَّ أيضًا. لذلك جلستُ على الأرض، مقابل الحائط، تاركةً إياه ليدعمني. لقد ظننتُ أنني أعرف كيف يكون الشعور بحسرة القلب. ظننتُ أن حسرة القلب كانت أنا، بينما كنتُ أقف وحدي في حفلة التخرج، لكن ذلك لم يكن شيئًا. هذه، هذه هي حسرة القلب. هذا الألم في صدرك، هذا الوجع وراء عينيك. معرفة أن الأشياء لن تعود أبدًا كما كانت مرة أخرى. إن كل شيء نسبي، حسبما أعتقد. تظن أنك تعرف الحب، تظن أنك تعرف الألم الحقيقي، لكنك لست كذلك. أنت لا تعرف أي شيء. لستُ متأكدة متى بدأتُ أبكي. لكن عندما شرعتُ في البكاء، لم أستطع التوقف. لم أستطع التنفس. قطعت أمي الغرفة وركعت معي على الأرض، معانقة إياي، وهي تهدهدني ذهابًا وإيابًا. غير أنها لم تبكِ. لم تكن هناك أصلًا. كانت مثل عود بُوص منتصب، مثل مرفأ خاوٍ.

قادت أمي السيارة إلى بوسطن في اليوم نفسه. كان السبب الوحيد لبقائها في المنزل في ذلك اليوم هو الاطمئنان عليَّ وتغيير ملابسها. كانت تظن أنه سيكون هنالك المزيد من الوقت. لقد كان من المفترض أن تكون هناك، عندما توفيت سوزانا. حتى ولو من أجل الأولاد فحسب. كنتُ متيقنة من أنها كانت تفكر في تلك الأفكار نفسها. بأفضل مستوى من نبرة إلقاء التعليمات التي تشبه نبرة الأساتذة، أخبرتني أنا وستيفن بأننا سنقود بأنفسنا لنلحق بها في غضون يومين، أي في يوم الجنازة. لم تكن تريدنا أن نعيق الطريق خلال ترتيبات الجنازة؛ فقد كان هناك الكثير من العمل الذي يتعين القيام به. نهايات بحاجة إلى أن تُسوَّى.

لقد اختيرَت أمي منفذةً للوصية، وبالطبع كانت سوزانا تعرف بالضبط ما كانت تفعله عندما اختارتها. صحيح أنه لم يكن هنالك من هو أفضل لتولي هذه المهمة، فقد ناقشتا الأمور معًا حتى من قبل وفاة سوزانا. لكن حتى ما هو أكثر من ذلك، إن أمي تكون في أفضل حالاتها عندما تكون مشغولة، منهمكة في القيام بأشياء. إنها لم تنهَرْ، ليس عندما يحتاج إليها الآخرون. كلا، لطالما كانت أمي تقف صامدة في المواقف. تمنيت لو كنتُ قد ورثتُ منها ذلك الجين. لأنني كنتُ في ضياع. لم أكن أعرف ماذا أفعل بنفسي.

فكرتُ في الاتصال بكونراد. حتى إنني تلْفنتُ رقمه بضع مرات. لكنني لم أستطع فعل ذلك. لم أكن أعرف ماذا عساي أن أقول. كنتُ أخشى من قول الأشياء الخاطئة، من أن أزيد الأمور سوءًا. ثم فكرتُ في الاتصال بجيرمايا. لكن الخوف هو الذي منعني. كنتُ أعلم أنه في اللحظة التي سأتصل فيها، في اللحظة التي سأتفوه فيها بصوت عالٍ، سيستحيل الأمر حقيقة. ستكون قد رحلت حقًّا.

في أثناء القيادة، كنا هادئَين إلى حدٍّ كبير. وكانت بدلة ستيفن الوحيدة، التي قد ارتداها للتو في حفلة التخرج، مغلفة بالبلاستيك ومُعلَّقة في المقعد الخلفي. أما أنا فلم أكلف نفسي عناء تعليق فستاني.

سألتُ أخيرًا قائلة: «ماذا عسانا أن نقول لهما؟».

فأجاب معترفًا: «لا أعرف. إن الجنازة الوحيدة التي حضرتُها في حياتي كانت جنازة العمة شيرل، وقد توفيت وهي كبيرة في العمر».

لقد كنتُ أصغر من أن أتذكر تلك الجنازة.

- أين سنقضي الليلة؟ في منزل سوزانا؟

- لا فكرة لدي.

- كيف تظن السيد فيشر سيتعامل مع الأمر؟

لم أستطع إجبار نفسي على تخيل حالة جيرمايا وكونراد، ليس بعد.

- الويسكي.

تلك كانت إجابة ستيفن. ومن بعدها توقفتُ عن طرح الأسئلة.

بدلنا ملابسنا في محطة وقود على بُعد ثلاثين ميلًا من دار الجنائز. بمجرد أن رأيتُ كيف كانت بدلة ستيفن أنيقة ومرتبة، ندمتُ على عدم تعليق فستاني. ولما عدتُ إلى السيارة، أخذتُ أُملِّسُ على تنورتي بكفَّيَّ في محاولة لفردها، لكن ذلك لم يفِ بالغرض. لقد أخبرتني أمي أن الحرير الاصطناعي لا طائل منه؛ كان يجب عليَّ أن أستمع لكلامها. وكان يجب عليَّ أيضًا قياسه قبل أن أحزمه. فإن آخر مرة ارتديته كانت لحضور حفل استقبال في جامعة أمي قبل ثلاث سنوات، والآن قد أصبح صغيرًا جدًّا علي.

وصلنا إلى هناك مبكرًا، مبكرًا بما يكفي لنجد أمي تتجول في الأرجاء، ترتب الزهور وتتحدث إلى السيد براون، متعهد الدفن. وبمجرد أن رأتني، عبستْ قائلة: «كان عليكِ أن تكوي هذا الفستان يا بيلي».

عضضتُ على شفَتي السفلى حتى لا أقول شيئًا أعلم أنني كنتُ سأندم عليه.

قلتُ: «لم يكن هنالك أي وقت».

بيد أن ذلك لم يكن صحيحًا. كان هنالك متسع من الوقت. شددتُ الجزء السفلي من فستاني لأسفل حتى لا يبدو قصيرًا جدًّا.

أومأت برأسها في إيجاز وقالت: «اذهبي وابحثي عن الولدَين، هلَّا فعلتِ؟ بيلي، تحدثي إلى كونراد».

تبادلتُ أنا وستيفن نظرة. ماذا عساي أن أقول؟ لقد مرَّ شهر منذ حفلة التخرج، منذ آخر مرة تحدثنا فيها. وجدناهما في غرفة جانبية، غرفة تحتوي على مقاعد خشبية وعُلب مناديل أسفل أغطية من الخشب المطلي. كان رأس جيرمايا محنيًّا، وكأنه كان يصلي، وهو شيء لم أره يفعله من قبل. أما كونراد، فكان معتدلًا في جلسته، كتفاه مستقيمتان، ويحملق في الفراغ.

تنحنح ستيفن ثم قال: «مرحبًا».

ثم سارع نحوهما، وعانقهما بقوة.

خطر لي أنني لم أكن قد رأيت جيرمايا ببدلة رسمية من قبل. بدت ضيقة بعض الشيء؛ لم يبد مرتاحًا، وكان يواصل شدَّ الياقة من حول رقبته. إلا أن حذاءه بدا جديدًا. تساءلتُ عما إذا كانت أمي قد ساعدته في اختياره.

عندما حان دوري، أسرعتُ إلى جيرمايا وعانقته بأقصى ما أستطيع من قوة. شعرتُ به متصلِّبًا بين ذراعيَّ.

قال بنبرة رسمية على نحو غريب: «شكرًا لقدومِك».

راودتني فكرة عابرة أنه لربما كان غاضبًا مني، لكنني أزحتُها بعيدًا عن بالي بالسرعة نفسها التي أتتني بها. لقد شعرتُ بالذنب لمجرد التفكير فيها. هذه جنازة سوزانا، فلماذا سيفكر بي؟ ربَّتُّ على ظهره في شيء من الارتباك والحرج، ويدي تتحرك في حركات دائرية صغيرة. بدت زرقة عينيه خارقة، وهذا ما يحدث عندما يبكي.

قلتُ: «أنا آسفة حقًّا».

وعلى الفور ندمتُ على قول ذلك، لأن الكلمات كانت عاجزة وغير مجدية. إنها لم تعبر عمَّا قصدته حقًّا، عمَّا شعرتُ به حقًّا. كانت عبارة «أنا آسفة» لا طائل من ورائها تمامًا كالحرير الاصطناعي. ثم نظرتُ إلى كونراد. كان قد عاد إلى جلسته مرة أخرى، ظهره متصلِّبٌ، وقميصه الأبيض مجعَّد بالكامل.

قلتُ وقد رحتُ أجلس إلى جانبه: «مرحبًا».

قال: «مرحبًا».

لم أكن متأكدة مما إذا كان عليَّ أن أعانقه أم أتركه وشأنه. لذلك ضغطتُ على كتفه بقوة، وهو لم يقل أي شيء. لقد بدا وكأنه من حجر. لقد قطعتُ على نفسي وعدًا: لن أبرح من جانبه طوال اليوم. سأظل هناك، سأكون برجًا من القوة، تمامًا مثل أمي.

جلستُ أنا وأمي وستيفن في الصف الرابع من المقاعد، خلف أبناء عم كونراد وجيرمايا وأخي السيد فيشر وزوجته، التي قد بالغت في وضع العطر. اعتقدتُ أن أمي كان عليها أن تكون في الصف الأول، وقد أخبرتها بذلك، في همس. لكنها عطست وأخبرتني أن الأمر لا يهم. وأعتقد أنها كانت على حق. ومن ثم خلعت سترة بدلتها وغطت بها فخذيَّ العاريتين.

التفتُ في مرة ورأيتُ أبي في الخلف. لسبب ما، لم أكن أتوقع رؤيته هناك، كان توقعًا غريبًا، لأنه كان يعرف سوزانا أيضًا، لذا فمن المنطقي أنه سيكون في جنازتها. لوَّحتُ له بيدي تلويحة صغيرة، ولوَّح لي هو الآخر.

همستُ لأمي قائلة: «أبي هنا».

فقالت من دون أن تنظر إلى الوراء: «بالطبع هو هنا».

جلس أصدقاء مدرسة جيرمايا وكونراد معًا في صف واحد في الخلف. بدوا محرجين وفي غير محلهم. لقد أبقى الشباب رؤوسهم مطأطئة وظلَّت الفتيات يهمس بعضهن لبعض في ململة. استمر القداس لفترة طويلة. ألقى خطاب التأبين واعظٌ لم أكن قد قابلته من قبل. قال أشياء لطيفة عن سوزانا. وصفها بكونها طيبة، وعطوفة، ورؤوفة، وكانت كل تلك الصفات تنطبق عليها بالفعل، لكنه بدا من الواضح أنه لم يقابلها من قبل. اتكأتُ بالقرب من أمي لأخبرها بذلك، لكنني وجدتها تومئ برأسها مع كلماته. ظننتُ أنني لن أبكي مجددًا، لكنني فعلتُ، وكثيرًا. نهض السيد فيشر وشكر الجميع على قدومهم، وأخبرنا أننا مرحبٌ بقدومنا إلى المنزل بعد ذلك. انكسر صوته بضع مرات، لكنه تمكن من الحفاظ على تماسكه. عندما رأيته آخر مرة كان يتمتع بسمار برونزي بفعل الشمس، وكان واثقًا وشامخًا. لكن عند رؤيته في ذلك اليوم، بدا أشبه برجل ضائع وسط عاصفة ثلجية. كتفان محنيَّتان، ووجه شاحب.

فكرتُ في مدى صعوبة الوقوف هناك بالنسبة إليه، أمام جميع من أحبوها. لقد خانها، وتركها عندما كانت في مسيس الحاجة إليه، بيد أنه في النهاية، ظهر. لقد كان ممسكًا بيدها في الأسابيع القليلة الماضية. لربما كان يعتقد هو الآخر أنه سيكون هنالك المزيد من الوقت.

كان التابوت مغلقًا. لقد أخبرت سوزانا أمي بأنها لا تريد أن يحدِّق إليها الجميع وهي لا تبدو في أفضل حالاتها. وأوضحَتْ قائلة: «إن الموتى يبدون زائفي المظهر. كما لو كانوا مصنوعين من الشمع».

ذكَّرتُ نفسي بأن الشخص الموجود بداخل التابوت لم تكن سوزانا، وأن مظهرها لا يهم لأنها قد رحلت بالفعل.

وعندما انتهى الأمر، بعدما تلونا الصلاة الربيَّة، شكَّلنا موكبنا، وأخذ الجميع دورهم لتقديم التعازي. راودني شعور غريب بأنني قد أصبحتُ واحدةً من الكبار، وأنا أقف مع أمي وأخي. انحنى السيد فيشر وعانقني عناقًا قويًّا، وعيناه مبللتان. صافح يد ستيفن ولمَّا عانق أمي، همست بشيء ما في أذنه وأومأ هو برأسه. وعندما عانقتُ جيرمايا، كان كلانا يبكي بشدة، بَدَوْنا وكأننا كنا نتشبث بعضنا ببعض خوفًا من الانهيار أرضًا. ظلت كتفاه ترتجفان.

عندما عانقتُ كونراد، أردتُ أن أقول شيئًا، شيئًا عساه أن يمنحه بعض المواساة. شيء أفضل من «آسفة لمصابك». لكن الأمر انتهى سريعًا، لم يكن ثمة وقت لقول شيء أكثر من ذلك. فقد كان خلفي طابور طويل من الأشخاص، كلهم في انتظار تقديم تعازيهم أيضًا.

لم تكن المقبرة بعيدة. ظل كعبا حذائي يلتصقان بالأرض. لا بد أنها قد أمطرت في اليوم السابق. قبل أن ينزلوا سوزانا في الأرض الرطبة. وضع كلٌّ من كونراد وجيرمايا وردة بيضاء فوق التابوت، ومن ثم أضاف بقيتنا المزيد من الزهور. لقد اخترتُ زهرة الفاوانيا وردية اللون. أنشد أحدهم ترنيمة. وعندما انتهى، لم يتحرك جيرمايا حركة واحدة. وقف في مكان قبرها، وبكى. وكانت أمي هي من ذهبت إليه. أخذته من يده، وتحدثت معه بهدوء.

عند العودة إلى منزل سوزانا، تسللتُ أنا وستيفن إلى غرفة نوم جيرمايا. جلسنا على سريره بثيابنا المبهرجة.

سألتُ قائلة: «أين كونراد؟».

لم أنس عهدي بأن أبقى بجانبه، لكنه كان يُصعِّب الأمر، بالطريقة التي ظل يختفي بها.

قال جيرمايا: «دعونا نتركه بمفرده لبعض الوقت. هل أنتما جائعان يا رفيقيَّ؟».

كنتُ جائعة، ولكنني لم أرغب في قول ذلك.

- هل أنتَ جائع؟

• - أجل، نوعًا ما. ثمة طعام في الطابق السفلي.

أخفض صوته وهو ينطق «الطابق السفلي». كنتُ أعلم أنه لا يريد النزول إلى هناك ومواجهة كل هؤلاء الناس، واضطراره إلى رؤية الشفقة في أعينهم. *يا له من أمر محزن*، هكذا سيقولون، *انظروا إلى هذين الفتيين الصغيرين اللذين تركتهما خلفها*. لم يأت أصدقاؤه إلى المنزل. لقد غادروا بعد الدفن مباشرة. جميع من في الأسفل كانوا كبارًا.

عرضتُ قائلةً: «سأذهبُ أنا».

فقال بامتنان: «شكرًا».

نهضتُ وأغلقتُ الباب خلفي. توقفتُ في الردهة لألقي نظرة على صورهم العائلية. كانت جميعها مطفأة اللمعة ومؤطرة باللون الأسود، جميعها لها النوع نفسه من الأطر. في إحدى الصور، كان كونراد يرتدي ربطة عنق، وكان فاقدًا لأسنانه الأمامية. وفي صورة أخرى، كان جيرمايا في الثامنة أو التاسعة من العمر ويعتمر قبعة «ريد سوكس» (Red Sox) التي رفض خلعها لقرابة صيف كامل. قال إنها كانت قبعة حظ؛ وظل يعتمرها كل يوم لمدة ثلاثة أشهر. كل أسبوعين، كانت سوزانا تغسلها ثم تعيدها إلى غرفته في أثناء نومه.

في الطابق السفلي، كان الكبار يتجولون في الأرجاء، يشربون القهوة ويتحدثون بأصوات خافتة. وقفت أمي عند طاولة البوفيه، تقطع الكعكة

للغرباء. لقد كانوا غرباء بالنسبة لي، على أي حال. تساءلتُ عما إذا كانت هي تعرفهم، وعمَّا إذا كانوا يعرفون من هي بالنسبة إلى سوزانا، وكيف أنها كانت أعز أصدقائها، وكيف قضتا معًا كل أصياف حياتهما تقريبًا. أمسكتُ بصحنين وساعدتني أمي في تحميلهما.

سألتني وهي تضع قطعة من الجبن الأزرق على الطبق: «هل أنتم بخير في الأعلى يا رفاق؟».

أومأتُ برأسي وأزلقتُ الجبن من الطبق على الفور. أخبرتها قائلة: «جيرمايا لا يحب الجبن الأزرق. (ثم أخذتُ حفنة من من البسكويت وعنقودًا من العنب الأخضر) هل رأيتِ كونراد؟».

قالت: «أعتقد أنه في القبو».

ثم أضافت وهي تعيد ترتيب طبق الجبن: «لماذا لا تذهبين للاطمئنان عليه وتأخذين له طبقًا؟ سآخذ أنا هذا للولدَين في الأعلى».

- حسنًا.

التقطتُ الطبق ومشيتُ عابرة غرفة الطعام في اللحظة التي نزل فيها جيرمايا وستيفن إلى الطابق السفلي. وقفتُ هناك وشاهدتُ جيرمايا وهو يتوقف ويتحدث مع الناس، سامحًا لهم باحتضانه والإمساك بيده. التقت أعيننا، ورفعتُ يدي وبالكاد لوَّحتُ بها. رفع يده هو الآخر وفعل الشيء نفسه، وقد أدار عينيه قليلًا على المرأة التي تتشبث بذراعه. كانت سوزانا لتفتخر به.

ثم توجهت إلى الأسفل، إلى القبو. كان القبو مفروشًا بالسجاد وعازلًا للصوت. كانت سوزانا قد تولت إعداده عندما بدأ كونراد في العزف على الجيتار الكهربائي.

كان المكان مظلمًا؛ لم يشعل كونراد الأنوار. انتظرتُ حتى تتكيف عيناي مع الظلام، ثم واصلتُ نزول الدرج، وأنا أتحسس طريقي. عثرتُ عليه مبكرًا بما يكفي. كان مستلقيًا على الأريكة ورأسه في حِجْر فتاة. كانت تمرر يديها على طول الجزء العلوي من رأسه، كما لو أن هذا هو المكان الطبيعي حيث تنتمي يداها. على الرغم من أن الصيف قد بدأ للتو، فإنها كانت قد اكتسبت

سُمرةً بالفعل. كان حذاؤها منزوعًا، وساقاها العاريتان ممدودتين فوق طاولة القهوة. وكونراد... كونراد كان يداعب ساقيها!

كل شيء داخلي انقبض، تجمَّدتُ من رأسي إلى أخمص قدمي.

لقد رأيتها في الجنازة. اعتقدتُ أنها جميلة حقًّا، وكنتُ أتساءل من تكون. بدت وكأنها من جنوب آسيا، كما لو كانت هندية. كان لديها شعر داكن وعينان داكنتان وترتدي تنورة قصيرة سوداء اللون وبلوزة منقطة باللونين الأبيض والأسود. وعصابة رأس، كانت ترتدي عصابة رأس سوداء. لقد رأتني أولًا.

قالت: «مرحبًا».

وفي تلك اللحظة نظر كونراد ليراني واقفة في المدخل ومعي طبق من الجبن والبسكويت. نهض جالسًا وقال من دون أن ينظر إليَّ بشكل كامل: «هل هذا الطعام لنا؟».

قلتُ: «لقد أرسلته أمي».

وقد خرج صوتي مغمغمًا وخافتًا. سرتُ ووضعتُ الطبق على طاولة القهوة. وقفتُ هناك لثانية، غير متأكدة مما سأفعله بعد ذلك.

قالت الفتاة: «شكرًا».

بدت طريقتها أشبه بـــ: *يمكنكِ الذهاب الآن*. ليس بأسلوب وضيع، لكن بأسلوب أوضح أنني كنتُ أقاطعهما. تراجعتُ للخروج من الغرفة بخطوات بطيئة ولكن عندما وصلتُ إلى الدرج، بدأتُ أركض. ركضتُ أمام جميع الأشخاص الموجودين في غرفة المعيشة وكنتُ أسمع كونراد آتيًا ورائي.

نادى قائلًا: «انتظري لحظة».

كنتُ على وشك العبور من البهو عندما لحق بي وأمسك بذراعي.

قلتُ وأنا أزيح قبضته عني: «ماذا تريد؟ دعني أذهب».

قال وهو يطلق سراح ذراعي: «تلك كانت أوبري».

أوبري، الفتاة التي حطمت قلب كونراد. كنتُ قد تخيَّلتُها بشكل مختلف. تخيلتها شقراء. هذه الفتاة أجمل مما تخيلتها. لا يمكنني أبدًا منافسة فتاة كهذه.

قلتُ: «آسفة لقد قاطعتُ لحظتكما الخاصة».

قال: «أوه، اكبري يا بيلي!».

هناك لحظات في الحياة تتمنى من كل قلبك لو أنه بمقدورك ٱسترجاعها. لتتمكن فقط من محوها من الوجود. بل لو أنه بمقدورك، فلسوف تمحو نفسك من الوجود أيضًا، فقط لتستحيل تلك اللحظة عَدَمًا.

ما قلتُه بعد ذلك كان ينتمي إلى إحدى تلك اللحظات بالنسبة لي.

في يوم جنازة والدته، قلتُ للفتى الذي أحببته أكثر مما أحببتُ أي شيء أو أي شخص آخر في حياتي: «فلتذهب إلى الجحيم!».

كان هذا أسوأ شيء قلته لأي شخص، على الإطلاق. لم يكن الأمر أنني لم أنطق بتلك الكلمات من قبل. لكن النظرة التي ارتَسَمَتْ على وجهه. لن أنساها أبدًا. لقد جعلتني النظرة التي ارتسمت على وجهه أرغب في الموت. لقد أكَّدَتْ كل شيء دنيء ووضيع قد راودني عن نفسي في أي وقت مضى، تلك الأشياء التي تأمل وتدعو الله ألا يعرفها أحد عنك. لأنهم لو عرفوها، سيرون حقيقتك، وسيحتقرونك.

قال كونراد: «كان ينبغي لي أن أعرف أنكِ ستكونين هكذا».

وفي بؤس شديد، سألته قائلة: «ماذا تقصد؟».

هزَّ كتفيه، وفكَّاه مشدودان.

- انسِ الأمر.

- كلا، قلها.

بدأ يستدير، ليغادر، لكنني أوقفته. وقفتُ في طريقه، وقلتُ وقد ارتفع صوتي: «أخبرني».

نظر إليَّ وقال: «علمتُ أنها كانت فكرة سيئة، أن أبدأ معكِ شيئًا ما. أنتِ مجرد طفلة. لقد كان خطأً فادحًا».

قلتُ: «لا أصدقك».

كان الناس قد بدؤوا ينظرون. وكانت أمي واقفة في غرفة المعيشة، تتحدثُ مع أشخاص لا أعرفهم. لقد رفعت بصرها للحظة لإلقاء نظرة خاطفة

عندما بدأتُ في التحدث. لم أستطع حتى أن أنظر إليها، أمكنني الشعور بوجهي يتأجج احتراقًا.

أعرف أن الشيء الصحيح الذي كان يجب عليَّ فعله هو الابتعاد. كنت أعرف أن هذا ما كان من المفترض بي فعله. في تلك اللحظة، بدا الأمر كما لو أنني كنتُ أطوف فوق جسدي وأستطيع رؤية نفسي، وكيف كان جميع مَن في تلك الغرفة ينظرون إليَّ. لكن عندما هزَّ كونراد كتفيه وبدأ بالمغادرة مرة أخرى، شعرتُ بغضب شديد، شعرتُ.. بأنني ضئيلة جدًّا. أردتُ منع نفسي، لكنني لم أستطع.

قلتُ: «أنا أكرهك».

استدار كونراد وأومأ برأسه، وكأنه كان يتوقع مني قول ذلك بالضبط.

قال: «حسنٌ».

الطريقة التي نظر إليَّ بها حينها، نظرة شفقة، وسأم، ولا مبالاة. لقد أصابتني بالغثيان.

قلتُ: «لا أريد رؤيتك مجددًا أبدًا».

ثم اندفعتُ أمامه، وصعدتُ السلم بسرعة كبيرة حتى إنني تعثرتُ على السلمة العليا. سقطتُ على ركبتيَّ، بقوة. أعتقدُ أنني قد سمعتُ أحدهم يشهق. بالكاد استطعتُ الرؤية من خلال دموعي. ومن دون تبصُّر، نهضتُ وركضتُ إلى غرفة الضيوف.

خلعتُ نظَّارتي واستلقيتُ على السرير وبكيت.

لم يكن كونراد هو الذي أكرهه. كنتُ أكره نفسي.

جاء أبي بعد فترة من الوقت. طرق الباب عدة مرات، وعندما لم أجب. دخل وجلس على حافة السرير.

سألني قائلًا: «هل أنتِ بخير؟».

كان صوته لطيفًا للغاية، وشعرتُ بالدموع تتسرب من زاويتي عيني مجددًا. لا ينبغي لأحد أن يكون لطيفًا معي. لم أكن أستحق ذلك.

تقلَّبتُ على جانبي فأصبح ظهري مُدارًا له. وقلتُ: «هل أمي غاضبة مني؟».

فقال: «كلا، بالطبع لا. هيا تعالي إلى الطابق السفلي وقولي وداعًا للجميع».

- لا أستطيع.

كيف يمكنني العودة إلى الطابق السفلي ومواجهة الجميع بعد تسبُّبي في مشهد كهذا؟ هذا مستحيل. لقد أُهِنتُ، وكنتُ أنا من فعلتُ هذا بنفسي.

- ما الذي حدث بينك وبين كونراد يا بيلي؟ هل تشاجرتما؟ هل انفصلتما؟

كان من الغريب للغاية سماع كلمة «انفصلتما» وهي تخرج من فم أبي. لم أستطع مناقشة الأمر معه. لقد كان شيئًا غير مألوف أبدًا فحسب.

- أبي، لا أستطيع التحدث معك في تلك الأمور. هلا يمكنك الخروج فحسب؟ أريد البقاء بمفردي.

قال: «حسنًا. (وكان بإمكاني سماع نبرة ألم في صوته) هل تريدينني أن أحضر لكِ والدتك؟».

لقد كانت آخر شخص أردتُ رؤيته. لذا أجبته على الفور قائلة: «لا، أرجوك ألا تفعل».

صرَّ السرير عندما نهض أبي، وأغلق الباب. الشخص الوحيد الذي أردته هي سوزانا. كانت هي الشخص الوحيد. ومن ثم راودتني فكرة، واضحة كوضح النهار. لن أصبح الشخص المفضل لأي أحد مرة أخرى. لن أعود طفلة مرة أخرى، ليس بالطريقة نفسها. إن شيئًا قد انتهى الآن. لقد رحلَتْ بحق.

أملتُ أن يكون كونراد قد أصغى إليَّ. أملتُ ألا أراه مجددًا. فلو اضطررتُ إلى رؤيته مجددًا، لو نظر إليَّ نظرته نفسها في ذلك اليوم، سيحطمني بالفعل.

الفصل السادس

3 يوليو

عندما رنَّ جرس الهاتف مبكرًا في صباح اليوم التالي، كان أول ما خطر ببالي هي تلك الفكرة: *إن النوع الوحيد من المكالمات التي تأتيك في الصباح الباكر هي المكالمات السيئة*. وقد كنتُ على حق، نوعًا ما.

أعتقد أنني كنتُ في حالة حلم حين سمعتُ صوته. ولثانية واحدة خلتُ أنها قد استمرت طويلًا، اعتقدتُ أنه كان كونراد، في تلك الثانية، لم أستطع التقاط أنفاسي. أن يعاود كونراد الاتصال بي مرة أخرى.. كان ذلك كفيلًا بجعلي أنسى كيف أتنفس. لكنه لم يكن كونراد، لقد كان جيرمايا.

إنهما أخوان في نهاية المطاف؛ صوتاهما متشابهان، متشابهان ولكن ليسا متطابقين.

قال جيرمايا: «بيلي، أنا جيرمايا. لقد رحل كونراد».

- ما الذي تقصده بقولك «رحل»؟.

اتَّسَعَتْ عيناي وجحظتا فجأةً، وأصبحتُ متيقظةً تمامًا، وشعرتُ بقلبي وقد قفز إلى حلقي. لقد جاءت «رحل» لتعني شيئًا مختلفًا، بطريقة غير معتادة. شيء دائم.

- لقد ترك الكُلِّيَّة، ترك برنامج الدراسة الصيفية قبل يومين ولم يعد. هل تعرفين أين هو؟

- كلا.

إنني وكونراد لم نتحدث إلى بعضنا بعضًا منذ جنازة سوزانا.

- لقد فوَّت اختبارين. إنه لم يكن يفعل ذلك من قبل.

بدا صوت جيرمايا يائسًا، بل ومذعورًا أيضًا. لم أسمعه يتحدث بتلك النبرة قط. دائمًا ما كان في حالة من الأريحية، دائمًا ما كان يضحك، ولا يتحدث بجدية مطلقًا. وهو على حق، لم يكن كونراد ليفعل ذلك أبدًا، من المستحيل أن يرحل هكذا فحسب من دون إخبار أي أحد. ليس كونراد القديم، على أي حال. ليس كونراد الذي أحببته منذ كنت في العاشرة من عمري، ليس هو.

نهضتُ جالسةً، وفركتُ عينيَّ، وسألته قائلة: «هل يعرف والدك بشأن ذلك؟».

- أجل. إنه مصدوم وفزِع. هو لا يستطيع التعامل مع هذا النوع من الأمور.

كان هذا النوع من الأمور من اختصاص سوزانا، وليس السيد فيشر.

- ما الذي تود فعله يا جير؟

حاولتُ أن أجعل صوتي يبدو كصوتِ أمي لو كانت هي من تتحدث معه. هادئ، ورزين. وكأنني لم أكن خائفة لدرجة كادت تفجِّر عقلي، من فكرة أن كونراد قد رحل. ليس الأمر أنني كنتُ خائفة من أن يكون في ورطة. وإنما خوفي من أنه لو رحل، أي رحل حقًّا، فقد لا يعود أبدًا. وقد أخافني ذلك أكثر مما أستطيع التعبير عنه بالقول.

- لا أعرف. (أطلق جيرمايا نفخة كبيرة من الهواء) إن هاتفه مغلق منذ أيام. هل تعتقدين أنكِ تستطيعين مساعدتي في العثور عليه؟

على الفور قلتُ: «أجل. بكل تأكيد. بكل تأكيد أستطيع».

لقد أصبح لكل شيء معنى في تلك اللحظة. كانت تلك هي فرصتي لتصحيح الأمور مع كونراد. بحسب رؤيتي، فإن هذا ما كنتُ أنتظره من دون

أن أعلم حتى. بدا الأمر وكأنني كنتُ أسير نائمة طوال الشهرين الماضيين، وها أنا الآن، مستيقظة أخيرًا. أصبح لديَّ هدف، لديَّ غاية.

في ذلك اليوم الأخير قلتُ أشياء مروعة. أشياء لا تغتفر. لعلِّي إذا ساعدته ولو بشكل بسيط سأكون قادرة على إصلاح ما انكسر.

ومع ذلك، فبقدر خوفي من فكرة رحيل كونراد، بقدر ما كنتُ حريصةً على التكفير عن خطئي، لقد أرعبتني فكرة أن أكون بالقرب منه مرة أخرى. إن أحدًا على وجه الأرض لم يؤثر فيَّ بالطريقة التي أثر بها فيَّ كونراد فيشر.

بمجرد أن أغلقتُ أنا وجيرمايا الهاتف، انتشرتُ في كل مكان في الحال، أقذف بملابسي الداخلية والتي-شيرتات الخاصة بي في حقيبة المَبيت الكبيرة خاصتي. كم سنستغرق من الوقت لنجده؟ هل هو بخير؟ كنتُ سأعرف لو لم يكن بخير، أليس كذلك؟ وحزمتُ فرشاة أسناني، ومشطًا، ومحلول العدسات اللاصقة.

كانت أمي تكوي الملابس في المطبخ. رأيتها تحدق إلى الفراغ، وعلى جبينها تجعد كبير.

سألتُ قائلةً: «أمي؟».

نظرت إليَّ في ذهول قائلة: «ماذا؟ ماذا هناك؟».

كنتُ قد خططتُ سابقًا لما سأقوله بعد ذلك.

- إن تايلور تعاني الانهيار نوعًا ما لأنها هي وديفيز قد انفصلا عن بعضهما بعضًا مرة أخرى. سأبيتُ عندها الليلة، وربما غدًا أيضًا، اعتمادًا على ما تشعر به.

حبستُ أنفاسي في انتظار ردِّها. لدى أمي مستشعر داخلي لكشف الكذب لا يتمتع بمثله أي شخص آخر عرفته في حياتي. إنه شيء قد تجاوز حدس الأم، هو أشبه بجهاز تعقب. بيد أنه لم تنطلق أي إنذارات، لا أجراس أو صافرات. كان وجهها خاليًا تمامًا من أي تعبير.

قالت وهي تعود إلى الكي مرة أخرى: «حسنًا. (ومن ثم أضافت) حاولي أن تكوني في المنزل بحلول ليلة غد، فسوف أُعِد سمك الهلبوت».

رشَّت محلول النشا على سروال كاكي اللون. لقد تحررتُ من المنزل. كان من المفترض أن أشعر بالارتياح، لكنني لم أشعر بذلك، ليس حقًّا.

قلتُ: «سأحاول».

للحظة، فكرتُ في إخبارها بالحقيقة. فمن بين كل الناس، كانت ستتفهم. كانت سترغب في المساعدة. إنها تحبهما، تحب كليهما. لقد كانت أمي هي من أخذت كونراد إلى قسم الطوارئ في المرة التي كُسِرَت فيها ذراعه في أثناء التزلج على اللوح، لأن سوزانا كانت ترتجف بشدة لدرجة أنها لم تستطع القيادة. أما أمي فكانت ثابتة، ومتماسكة. إنها دائمًا تعرف ما الذي يجب القيام به.

أو على الأقل، كانت تعرف. أما الآن فلم أعد متأكدة تمامًا. فعندما مرضت سوزانا مرة أخرى، باتت أمي وكأنها على وضع الطيار الآلي، تفعل ما يستلزم فعله. بالكاد حاضرة. ذات يوم، نزلتُ إلى الطابق السفلي لأجدها تكنس ردهة المدخل الأمامي، وعيناها حمراوان، وشعرتُ بالخوف. لم تكن أمي من النوع الذي يبكي. ورؤيتها بهذا الشكل، كشخص حقيقي وليس أمي فحسب، كادت تجعلني أفقد ثقتي بها.

تركت أمي مكواتها من يدها. والتقطت حقيبتها عن المنضدة وأخرجت محفظتها.

قالت: «اشتري لتايلور بعض مثلجات «بِن آند جيري» (Ben & Jerry) على حسابي».

أعطتني عشرين دولارًا.

قلتُ وقد أخذتُ الدولارات العشرين وحشوتها في جيبي: «شكرًا لكِ يا أمي».

ستفيد تلك النقود في تعبئة الوقود لاحقًا.

قالت: «استمتعا».

ثم غابت مرة أخرى. بعيدًا عن الواقع. تكوي السروال الكاكي نفسه الذي كانت قد انتهت منه للتو.

وعندما أصبحتُ في سيارتي، وأنا أنطلق بعيدًا، تركتُ نفسي أخيرًا أشعر بذلك. الارتياح. لا وجود لأم صامتة وحزينة لبقية اليوم. لقد كرهتُ أن أتركها وكرهتُ أن أكون بالقرب منها، لأنها جعلتني أتذكر أكثر ما أردتُ نسيانه. أن سوزانا قد رحلت، ولن تعود، ولن يعود أي مِنَّا كما كان مرة أخرى، أبدًا.

الفصل السابع

في منزل تايلور، لم يكن الباب الأمامي يُغلَق مطلقًا تقريبًا. وكان الدَّرَج في منزلها، بدرابزينه الطويل وسلالمه الخشبية اللامعة، مألوفًا بالنسبة لي كدَرَج منزلي.

بعد أن سمحتُ لنفسي بدخول المنزل، صعدتُ مباشرة إلى غرفتها. كانت تايلور مستلقية على بطنها، تُقَلِّب في مجلات القيل والقال والشائعات. وبمجرد أن رأتني، نهضت جالسةً، وقالت: «هل أنتِ مازوخية أم ماذا؟».

رميتُ بحقيبتي القماشية على الأرض وجلستُ بجانبها. كنتُ قد اتصلتُ بها في الطريق؛ لقد أخبرتها بكل شيء. لم أكن أرغب في فعل ذلك، لكنني فعلت.

سألتني: «لماذا ستذهبين للبحث عنه؟ إنه لم يعد حبيبك الآن».

فتنهدتُ قائلة: «وكأنه كان كذلك حقًّا في أي وقت مضى».

- هذه هي وجهة نظري بالضبط. (ثم قلَّبَتْ في صفحات إحدى المجلات وسلمتها لي) انظري إلى هذا. أستطيع تخيلك بهذا البيكيني. ذلك ذو مشدِّ الصدر أبيض اللون. سيبدو مثيرًا للغاية مع سمرة بشرتك.

قلتُ وأنا أنظر إلى المجلة وأعيدها لها: «سيصل جيرمايا إلى هنا عمَّا قريب».

لم أستطع تخيل نفسي بذلك البيكيني. لكنني استطعتُ تخيلها هي به.

قالت: «لذلك كان عليكِ أن تختاري جيرمايا. إن كونراد في الأساس شخص مجنون».

لقد أخبرتها مرارًا وتكرارًا كيف أن الأمر لم يكن سهلًا كمجرد اختيار أحدهما أو الآخر. لم يكن أي شيء سهلًا على الإطلاق. لم يكن الأمر كما لو كانت لديَّ خيارات، ليس حقًّا.

- كونراد ليس مجنونًا يا تايلور.

إنها لم تغفر لكونراد قط كونَهُ لم يعجب بها في الصيف الذي أحضرتُها فيه إلى كازينز، الصيف الذي كنا فيه في الرابعة عشرة من عمرنا. لقد اعتادت تايلور أن يُعجَب كل الأولاد بها، لم تكن معتادةً أن تتجاهَل. وهذا بالضبط ما فعله كونراد. إلا أن جيرمايا لم يفعل ذلك. فبمجرد أن نظرت إليه بعينيها البُنيَّتين الواسعتين، أصبح أسيرًا لها. **جيرمي** الخاص بها، هكذا كانت تناديه.. بتلك الطريقة المثيرة من نوعها، الطريقة التي يحبها الأولاد. وقد ابتلع جيرمايا الطُّعم على الفور، وكان مستمتعًا بذلك أيضًا، حتى تخلَّت عنه من أجل أخي، ستيفن.

قالت تايلور وهي تزم شفتيها: «حسنًا، ربما كان ذلك قاسيًا بعض الشيء. ربما هو ليس مجنونًا. لكن ماذا؟ هل ستظلين دائمًا جالسة في انتظاره؟ وقتما يشاء؟».

قلتُ وأنا ألتقط خيطًا سائبًا في السجادة: «كلا! لكنه في مأزق ما. إنه بحاجة إلى أصدقائه الآن أكثر من أي وقت مضى. مهما حدث بيننا، سنبقى دائمًا صديقين».

فرفعَتْ بؤبؤي عينيها قائلة: «أيًّا ما يكُن. إن السبب الوحيد الذي جعلني أوافق على هذا هو أن تخلُصي إلى خاتمة لتلك القصة».

- خاتمة؟

- أي نعم. أستطيع أن أرى الآن أن ذلك هو السبيل الوحيد. عليكِ أن تقابلي كونراد وجهًا لوجه وأن تخبريه بأنكِ قد تجاوزتِه وأنكِ لن تلعبي ألعابه مرة أخرى. عندئذٍ، وعندئذٍ فقط، ستتمكنين من المضيِّ قدمًا ونسيان ذلك الحِمار الأعرج.

- تايلور، إنني لستُ بريئةً من كل هذا أيضًا. (ابتلعتُ ريقي) في آخر مرة رأيته فيها، كنتُ بغيضة جدًّا.

- أيًّا ما يكُن. المهم هو أنكِ تحتاجين إلى المضي قدمًا. إلى المَراعي الأكثر اخضرارًا (ثم نظرت إليَّ) مثل كوري، الذي، بالمناسبة، أشك في أنكِ حتى لا تزالين تملكين فرصة لأن تكوني معه بعد الليلة الماضية.

بدت الليلة الماضية وكأنها كانت قبل ألف عام. بذلتُ قصارى جهدي لأبدو نادمة وقلتُ: «شكرًا لكِ مرة أخرى لسماحك لي بترك سيارتي هنا. إذا اتصلت أمي...».

- أرجوكِ يا بيلي. أظهري القليل من الاحترام. أنا ملكة الكذب على الوالدين، لستُ مثلكِ. (ثم استنشقت نَفَسًا) ستعودين في الوقت المناسب من أجل ليلة غد، أليس كذلك؟ سنذهب جميعًا للتسكع على متن قارب والدي ديفيز، أتذكرين؟ لقد وعدتِني.

- لن يكون هذا قبل الساعة الثامنة أو التاسعة. أنا واثقة من أنني سأكون قد عدتُ بحلول ذلك الوقت. وبالإضافة إلى ذلك (أشرتُ إليها) أنا لم أعِدْكِ بأي شيء على الإطلاق!

فأمرَتْ قائلة: «إذن عديني الآن. عديني بأنكِ ستكونين هنا».

رفعتُ بؤبؤي عينيَّ لأعلى وقلتُ: «لماذا تريدينني أن أعود إلى هنا بتلك الشدة؟ حتى تتمكني من جعل كوري ويلر يلاحقني مجددًا؟ إنكِ لستِ بحاجة إلي. لديكِ ديفيز، سيكون هناك من أجلك».

- لا. إنني بحاجة إليكِ، حتى وأنتِ صديقة مقربة بشعة. إن وجود حبيبك بجانبك ليس مثل وجود صديقتك المقربة، وأنتِ تعرفين هذا. قريبًا جدًّا سنلتحق بالجامعة، كما تعلمين. ماذا لو أصبحنا في كليَّتين مختلفتين؟ ماذا سيحدث حينئذٍ؟

حدَّقَتْ تايلور إليَّ، وفي عينيها نظرات اتِّهام.

- حسنًا، حسنًا، أعدك.

كان قلب تايلور ما زال متعلقًا بفكرة التحاقنا بالكلية نفسها، كما كنا نقول دائمًا.

مدَّت يدها إليَّ وعقدنا خنصرينا معًا. ثم سألتني تايلور فجأة: «أهذا ما سترتدينه؟».

نظرتُ إلى القميص الرمادي اللون الخاص بي، وقلتُ: «حسنًا، أجل».

فهزَّت رأسها بسرعة كبيرة حتى إن شعرها الأشقر قد تهافت من حولها في كل مكان وقالت: «أهذا ما سترتدينه لرؤية كونراد لأول مرة؟».

- إنني لستُ ذاهبة إلى موعد غرامي يا تايلور.

- عندما تذهبين لرؤية حبيب سابق، عليكِ أن تبدي أفضل مما كنتِ عليه في أي وقت مضى. تلك تعَد وكأنها.. القاعدة الأولى من قواعد الانفصال. عليكِ أن تجعليه يفكر قائلًا: «اللعنة، لقد فوَّتُّ ذلك؟!» هذه هي الطريقة الوحيدة.

لم أكن قد فكرتُ في ذلك.

قلتُ لها: «لا يهمني ما يفكر فيه».

لكنها كانت قد بدأت بالفعل تعبث في حقيبة المبيت خاصتي.

- إن كل ما لديكِ هنا هو سروال داخلي وتي-شيرت. وهذا التانك-توب القديم. آاخ. أكره هذا التانك-توب. إنه بحاجة إلى أن يتقاعد رسميًّا.

قلتُ: «توقفي. لا تعبثي بأغراضي!».

قفزت تايلور وقد بدت على وجهها إشراقة وحماس: «أوه، أرجوكِ دعيني أحزم حقيبتكِ يا بيلي! أرجوكِ، سيسعدني هذا كثيرًا».

فقلتُ بأكبر قدر ما استطعت من الحزم: «لا. (مع تايلور، لا بد أن تكون حازمًا) على الأرجح فأنا سأعود غدًا. لستُ بحاجة إلى أي شيء آخر».

تجاهلتني تايلور واختفت داخل خزانة ملابسها الكبيرة. رنَّ هاتفي المحمول في تلك اللحظة، وقد كان جيرمايا المُتَّصل. وقبل أن أجيبه، قلتُ: «أنا جادَّة فيما أقول يا تاي».

فقالت من داخل الخزانة: «لا تقلقي، لقد اهتممتُ بكل الجوانب. فقط اعتبريني جِنِّيَتَكِ العرَّابة».

أجبتُ عن هاتفي قائلة: «مرحبًا، أين أنت؟».

- أنا قريب جدًّا. على بُعد نحو ساعة تقريبًا. هل أنتِ في منزل تايلور؟

قلتُ: «أجل. أتود أن أعطيك العنوان مرة أخرى؟».

- كلا، أتذكره (ثم سكت فجأة. ولثانية، اعتقدتُ أنه قد أنهى المكالمة بالفعل. لكنه ما لبث أن أردف قائلًا...) شكرًا، شكرًا لقيامك بهذا.

فقلتُ: «بحقك!».

فكرتُ في قول شيء آخر، مثل كيف أنه كان أحد أعز أصدقائي، وكيف أن جزءًا مني يكاد أن يكون سعيدًا لوجود سبب لرؤيته مرة أخرى. إن صيفًا فقط لن يكون صيفًا بحق من دون وَلَدَي بيك.

غير أنني لم أستطع جعل الكلام يبدو كما كان في رأسي تمامًا، وقبل أن أتمكن من صياغته، أنهى المكالمة.

ولما خرجت تايلور أخيرًا من الخزانة، كانت تغلق حقيبتي وعلى وجهها ابتسامة عريضة وهي تقول: «كل شيء جاهز».

قلتُ وأنا أحاول انتزاع الحقيبة منها: «تايلور...».

قالت: «كلا، فقط انتظري حتى تصلي إلى أيٍّ ما يكون المكان الذي ستذهبين إليه. سوف تشكرينني. لقد كنتُ سخية جدًّا، على الرغم من أنكِ تتخلين عني تمامًا».

تجاهلتُ الجزء الأخير وقلتُ: «شكرًا لكِ يا تاي».

فقالت وهي تتفقد شعرها في مرآة مكتبها: «على الرحب والسعة. أترين كم تحتاجين إليَّ؟ (ثم استدارت تايلور في مواجهتي ويداها على خصرها) كيف تخططان للعثور على كونراد يا رفيقين، على أي حال؟ إن كل ما تعرفونه هو أنه من الممكن أن يكون تحت جسرٍ في مكان ما».

لم أعطِ لهذا الجزء، أي التفاصيل الفعلية، حقها من التفكير. قلتُ: «أنا واثقة من أن لدى جيرمايا بعض الأفكار».

وصل جيرمايا بعد ساعة، تمامًا كما قال إنه سيفعل. لقد رأيناه من نافذة غرفة المعيشة وهو يركن سيارته أمام منزل تايلور.

قالت تايلور وهي تركض إلى التسريحة لتضع ملمع الشفاه: «يا إلهي، إنه يبدو وسيمًا للغاية. لماذا لم تخبريني بأنه قد أصبح بهذه الوسامة؟».

في المرة الأخيرة التي رأته فيها تايلور، كان أقصر قامة وهزيل الجسد. لا عجب في أنها ذهبت لملاحقة ستيفن بدلًا منه. لكنه بدا جيرمايا فحسب بالنسبة لي.

التقطتُ حقيبتي وتوجهتُ للخارج، وتايلور في أعقابي مباشرة.

عندما فتحتُ الباب الأمامي، وجدتُ جيرمايا واقفًا على السلالم الأمامية. كان يعتمر قبعة «ريد سوكس» خاصته، وبدا شعره أقصر من آخر مرة رأيته فيها. كان من الغريب رؤيته هناك، على أعتاب منزل تايلور. بدا الأمر سرياليًّا.

قال وهو يخلع قبعته: «كنتُ على وشك الاتصال بكِ حالًا».

لم يكن فتى يخاف من مظهر شعره بعد خلع القبعة، من أن يبدو غبيًّا. كانت تلك واحدة من أكثر صفاته المحببة، صفة أعجبتُ بها أيما إعجاب لأنني عشتُ إلى حدٍّ كبير في خوف دائم من إحراج نفسي.

أردتُ أن أعانقه، لكنني لسبب ما -ربما لأنه لم يبادر أولًا، وربما لأنني شعرتُ بالخجل فجأة- تراجعت.

وبدلًا من ذلك قلتُ: «لقد وصلت سريعًا حقًّا».

فقال: «لقد قدتُ بسرعة جنونية. (ومن ثم التفت إلى تايلور) مرحبًا تايلور».

شبَّتْ على أطراف أصابعها وعانقته، وندمتُ على أنني لم أعانقه كذلك.

ولما انتهت من معانقته، نظرت إليه تايلور نظرة تفحُّصية في استحسان وقالت: «جيرمي، تبدو فاتنًا».

نظرَتْ إليه، في انتظاره ليثني على جمالها أيضًا. وعندما لم يفعل، قالت: «كان هذا تلميحًا لك لتخبرني كم أبدو فاتنة. يا للحماقة!».

ضحك جيرمايا وقال: «تايلور بطباعها القديمة نفسها. أنتِ تعلمين أنكِ تبدين فاتنة. لستِ بحاجة إلي لأخبرك».

ابتسم الاثنان بعضهما لبعض في تكلف.

قلتُ: «من الأفضل أن ننطلق».

أخذ حقيبة المبيت خاصتي عن كتفي، وتبعناه إلى السيارة. وبينما كان يفسح المجال لحقيبتي في صندوق السيارة، أمسكتني تايلور من مرفقي وقالت: «اتصلي بي عندما تصلين إلى أيٍّ ما يكون المكان الذي ستذهبان إليه يا سندربيلي».

لقد كانت معتادة مناداتي بهذا الاسم عندما كنا صغارًا حينما كنا مهووستين بسندريلا. لطالما كانت تغنيها مع الفئران. سندربيلي، سندربيلي. شعرتُ باندفاع مفاجئ من المودة نحوها. بحنين إلى الماضي، إلى ذكرياتنا المشتركة، كان كل ذلك يعني الكثير. أكثر مما تخيَّلت. سأفتقدها في العام المقبل، عندما تذهب كلتانا إلى كلية مختلفة.

- شكرًا لسماحك لي بترك سيارتي هنا يا تاي.

أومأت برأسها وهي تلفظ كلمة: **خاتمة**.

قال جيرمايا وهو يركب السيارة: «إلى اللقاء يا تايلور».

ركبتُ أنا كذلك. وجدتُ سيارته في حالة من الفوضى، كما هو حالها دائمًا. كانت زجاجات المياه الفارغة منتشرة في كل مكان على الأرضية وعلى المقعد الخلفي.

صحتُ عندما بدأت السيارة في التحرك قائلة: «وداعًا».

وقفَتْ هناك تلوِّح لنا وهي تشاهدنا نبتعد. ثم نادت مرة أخرى قائلة: «لا تنسي وعدكِ يا بيلي!».

سألني جيرمايا وهو ينظر إلى مرآة الرؤية الخلفية: «بماذا وعدتِ؟».

- لقد وعدتها بأنني سأعود في الوقت المناسب لحضور حفلة الرابع من يوليو التي سيقيمها صديقها. ستقام على متن قارب.

فأومأ جيرمايا برأسه قائلًا: «ستعودين في الوقت المناسب، لا تقلقي. آمل أن أُعيدَكِ بحلول الليل».

قلتُ: «أوه، حسنًا».

توقعتُ أنني لن أحتاج إلى حقيبة المبيت تلك في نهاية المطاف.

ثم قال: «إن تايلور لم تتغير قط».

- أجل، أعتقد أنها كذلك.

وبعد ذلك لم ينطق أي منا بأي شيء. ظللنا صامتين فحسب.

الفصل الثامن

جيرمايا

يمكنني تحديد اللحظة بالضبط التي تغير فيها كل شيء. كانت في الصيف الماضي. بينما كنتُ أنا وكون جالسين في الشرفة، وكنتُ أحاول التحدث معه عن مساعد مدرب كرة القدم[1] الجديد، ومدى حماقته.

فقال: «فلتنسحب وحسب».

من السهل عليه قول ذلك. فقد اعتزل لعبها.

- أنت لا تفهم الأمر. هذا الرجل مجنون.

بدأتُ أشرح له، لكنه لم يعد مصغيًا بعد الآن. كانت سيارتهم قد توقفت أمام المنزل للتو. نزل ستيفن أولًا، ومن ثم لوريل. سألتني أين أمي وعانقتني عناقًا كبيرًا. عانقتْ كونراد بعد ذلك وبدأتُ أسأل قائلًا: «مهلًا، أين بيلي بوتون؟».

(1) يُقصَد كرة القدم الأمريكية.

وها قد كانت هناك.

رآها كونراد أولًا. كان ينظر من فوق كتف لوريل. ينظر إليها. مشَتْ نحونا، وشعرها يتأرجح في جميع أنحاء المكان وقد بدت ساقاها وكأن طولهما أصبح يُقاس بالأميال. كانت ترتدي سروالًا قصيرًا من الجينز الممزق وحذاءً رياضيًّا متسخًا. بدا شريطا حمَّالة صدرها بارزين من التانك-توب الذي كانت ترتديه. أُقسم إنني لم ألحظ شريطي حمالة صدرها من قبل. كانت على وجهها نظرة طريفة، نظرة لم أكن أعرفها. وكأنها خجلة ومتوترة، لكن فخورة في الوقت نفسه.

شاهدتُ كونراد يحتضنها، وأنا واقف في انتظار دوري. أردتُ أن أسألها عما كانت تفكر فيه، ولماذا ارتسمت تلك النظرة على وجهها. لكنني رغم ذلك لم أفعل. تقدمتُ بجانب كونراد وحملتُها رافعًا إياها لأعلى وقلتُ شيئًا ما غبيًّا. شيئًا أضحكها، ومن ثم عادت مجرد بيلي مرة أخرى. كان ذلك باعثًا على الارتياح، لأنني لم أرِدها أن تكون أي شيء آخر في الوجود سوى مجرد بيلي.

إنني أعرفها طيلة حياتي. لم أفكر فيها قط كفتاة. لقد كانت واحدة منا. كانت صديقتي. لقد أربكتني رؤيتها بطريقة مختلفة، حتى ولو لمجرد ثانية واحدة.

اعتاد أبي قول إنه مع كل شيء يحدث في الحياة، ثمة لحظة يتحوَّل فيها مسار اللعبة. لحظة يتوقف فيها كل شيء آخر، لكنك نادرًا ما تعرف ذلك في حينها. إنها كالرمية الثلاثية في كرة السلة، التي تأتي في وقت مبكر من الشوط الثاني وتغير إيقاع المباراة بأكمله. إنها توقظ الناس، تعيدهم إلى الحياة. إن كل شيء يعود وينتمي إلى تلك اللحظة الواحدة.

لربما قد نسيتها، نسيتُ تلك اللحظة التي توقفت فيها سيارتهم وخرجت منها هذه الفتاة، فتاة بالكاد تعرفتُ عليها. لربما أعده مجرد واحد من تلك المواقف العابرة، حين يلفتُ شخص ما انتباهك، وكأنه نفحة عطر تغازل أنفك في أثناء سيرك في الشارع. لكنك تواصل السير. وتنسى... ربما قد نسيتُ. ربما قد عادت الأمور لما كانت عليه من قبل.

لكن، من ثم جاءت لحظة تحوِّل مسار اللعبة.

كان الوقتُ ليلًا، ربما بعد أول أسبوع من الصيف. كنتُ أنا وبيلي نتسكع بجانب المسبح، وكانت تضحك على شيء ما قد قُلتُه، لا أتذكر ما هو. أحببتُ كوني أستطيع إضحاكها. على الرغم من أنها كانت تضحك كثيرًا بشكل عام وأن هذا لا يعد بشكل ما عملًا بطوليًّا، فإنه كان شعورًا رائعًا.

قالت: «جير، يبدو، أنك، أطرف شخص عرفته في حياتي!».

كانت تلك واحدة من أفضل الإطراءات التي تلقيتُها على الإطلاق. لكنها لم تكن لحظة التحوُّل في مسار اللعبة.

حدث ذلك لاحقًا. لقد كنتُ بارعًا حقًّا في تقليد صوت كونراد عندما يستيقظ في الصباح. وكأنني فرانكشتاين حقيقي! ومن ثم خرج كونراد وجلس بجانبها على كرسي التشمس. شدَّ ذيل حصانها وقال: «ما المضحك كثيرًا إلى هذا الحد؟».

رفعتْ بيلي عينيها لتنظر إليه، وكانت في الواقع تحمر خجلًا. كان وجهها مُحمَرًّا بالكامل، وعيناها تلمعان.

قالت: «لا أتذكر».

تلبَّكَت معدتي. شعرتُ كما لو أن شخصًا ما قد ركلني في بطني. كنتُ غيرانَ، غيرانَ بشكل جنوني من كونراد. وعندما نهضَتْ بعد فترة وجيزة لتُحضِر مشروبًا غازيًّا، راقبته وهو ينظر إليها وهي تسيرُ مبتعدة وشعرتُ بالغثيان داخلي. حينها عرفتُ أن الأمور لن تعود أبدًا كما كانت من قبل. أردتُ أن أخبر كونراد بأنه ليس له الحق في فعل ذلك، وأنه قد تجاهلها طوال هذه السنوات، ولا يمكنه أن يقرر أخذها فحسب لمجرد أنه شعر برغبة مفاجئة في ذلك.

إنها تنتمي إلينا جميعًا. لقد عشقتها أمي. لقد كانت تُلَقِّب بيلي بكونها ابنتها السرية. وكانت تقضي طوال العام في انتظار رؤيتها. وحتى ستيفن كذلك، على الرغم من أنه كان يزعجها، لكنه كان دائمًا كالدرع الواقي لها. لقد اعتنى الجميع ببيلي، إنها فقط لا تعرف ذلك. فقد كانت مشغولة للغاية بالنظر إلى كونراد وحسب. فبقدر ما يمكن لأي منا أن يتذكر، كانت واقعة في حب كونراد.

كل ما كنتُ أعرفه هو أنني أردتُها أن تنظر إليَّ هكذا، بتلك النظرة نفسها. منذ ذلك اليوم، أظن أنه قد قُضيَ أمري. لقد أعجبتُ بها، كأكثر من مجرد صديقة. بل ربما أكون قد أحببتها.

كانت ثمة فتيات أخريات. ولكنهن لَسْنَ هي.

لم أرغب في الاتصال ببيلي لطلب المساعدة. كنتُ غاضبًا منها. ولم يكن الأمر متعلقًا فقط بكونها قد اختارت كونراد. فلم يكن ذلك بالشيء الجديد. فلطالما كانت تختار كونراد. لكننا كنا صديقين أيضًا. كم مرة هاتفتني منذ وفاة أمي؟ مرتين؟ بضع رسائل نصية على الهاتف وبضع رسائل على البريد الإلكتروني؟ ولكن ماذا عن جلوسها بجانبي في السيارة، واستنشاقي لرائحتها، رائحة بيلي كونكلين (رائحة صابون «إيفوري» وجوز الهند والسكر)، والطريقة التي تُجعِّدُ بها أنفها وهي تفكر في شيء ما، وابتسامتها وهي متوترة وأظفارها المقضومة. والطريقة التي تنطق بها اسمي.

عندما مالت للأمام للعبث بفتحات مكيف الهواء، لامس شعرها ساقي وكان ناعمًا حقًّا. لقد جعلني أتذكر كل شيء من جديد. جعل من الصعب عليَّ أن أبقى غاضبًا منها وإبقاؤها على بُعد ذراع مني كما خططتُ. اللعنة! لقد بدا ذلك شبه مستحيل. فعندما كنتُ بالقرب منها، كل ما أردته هو أن أمسك بها وأعانقها وأقبِّلها بحرارة. لربما حينها تنسى أخيرًا أمر أخي الأحمق.

الفصل التاسع

سألتُ جيرمايا قائلة: «إذن، إلى أين نحن ذاهبان؟».

حاولتُ النظر إلى عينيه، لأجعله ينظر إليَّ، لثانية واحدة. بدا أنه لم ينظر إلى عيني ولا مرة منذ مجيئه، وقد وتَّرني ذلك. كنتُ بحاجة إلى معرفة أن الأمور على ما يرام بيننا.

قال: «لا أعرف. لم أتحدث إلى كون منذ فترة. ليس لدي أدنى فكرة عن المكان الذي قد يذهب إليه. كنتُ آمل أن تكون لديكِ بعض الأفكار».

لكنني في واقع الأمر، لم تكن لدي أي أفكار. ليس حقًّا. لا شيء على الإطلاق فعليًّا.

تنحنحتُ قائلة: «إنني وكونراد لم نتحدث منذ.. منذ شهر مايو».

نظر إلي جيرمايا بطرف عينيه، لكنه لم يقل شيئًا. تساءلتُ عمَّا قاله له كونراد. على الأرجح أنه لم يقُل الكثير.

واصلتُ الحديث لأنه ظل صامتًا.

- هل اتصلت بزميله في السكن؟

- ليس لدي رقمه. لا أعرف اسمه حتى.

فقلتُ بسرعة: «اسمه إريك. (كنتُ سعيدة بمعرفة ذلك على الأقل) إنه زميله نفسه في السكن منذ بداية السنة الدراسية. لقد ظلَّا ماكثين في الغرفة نفسها في أثناء الفصل الصيفي كذلك. لذا أعتقد أن هذا هو المكان الذي علينا الذهاب إليه إذن. إلى جامعة «براون». سنتحدث مع إريك، ومع زملائه الآخرين. ومن يدري، لربما كان يتسكع في الحرم الجامعي فحسب».

- تبدو وكأنها خطة!

وبينما كان ينظر إلى مرآة الرؤية الخلفية، ويغيِّر مساره، سألني: «إذن هل كنتِ تزورين كون في الجامعة؟».

فأجبتُ وأنا أنظر من النافذة قائلة: «لا. (لقد كان أمرًا محرِجًا جدًّا للاعتراف به) هل كنتَ تزوره أنت؟».

- لقد ساعدته أنا وأبي في الانتقال إلى مساكن الطلبة. (ثم أضاف على مضض تقريبًا) شكرًا لقدومك.

قلتُ: «لا شكر على واجب».

- إذن هل لوريل موافقة على ذلك؟

أجبتُ قائلة: «أوه، أجل، تمامًا. (لقد كذبتُ) أنا سعيدة لأنني تمكنتُ من القدوم».

لقد اعتدتُ التطلع لرؤية كونراد طوال العام. اعتدتُ تمني قدوم الصيف كما يتمنى الأطفال قدوم عيد الميلاد. كان ذلك هو ما يستحوذ على تفكيري كله. وحتى الآن، حتى بعد كل شيء، كان ما يزال هو كل ما أفكر فيه.

شغَّلتُ الراديو فيما بعد ليشْغَل الصمت الجاثم بيني وبين جيرمايا. في مرة ظننتُ أنني سمعته وقد بدأ يقول شيئًا، فسألته قائلة: «هل قلتَ شيئًا للتو؟».

قال: «كلا».

لفترة من الوقت، استمررنا في القيادة فحسب. لقد كنتُ أنا وجيرمايا شخصين لا ينضب الحديث بينهما مطلقًا، لكن ها نحن أولاء، لا نتفوه بكلمة واحدة.

قال أخيرًا: «لقد رأيتُ نونا الأسبوع الماضي. كنتُ قد مررتُ بدار المسنين الذي تعمل فيه».

كانت نونا ممرضة سوزانا. لقد التقيتُها بضع مرات. إنها مرحة، وقوية. ورغم كونها ضئيلة الجسد -ربما يبلغ طولها نحو مئة وستين سم، مع ذراعين وساقين نحيلتين- فإنني قد رأيتها تحمل سوزانا وكأنها لا تزن شيئًا.. التي في الواقع، في أواخر أيامها، أعتقد أنها كادت تكون كذلك بالفعل.

الفصل العاشر

عندما مرضَتْ سوزانا مرة أخرى، لم يخبرني أحد على الفور. لا كونراد، ولا أمي، ولا سوزانا نفسها. لقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة. حاولتُ التهرب من الذهاب لرؤية سوزانا في تلك المرة الأخيرة. أخبرتُ أمي بأنني كان لدي امتحان مهم في حساب المثلثات. كنتُ على استعداد لقول أي شيء للتهرب من الذهاب.

قلتُ عبر الهاتف: «سأضطر إلى الدراسة طوال عطلة نهاية الأسبوع. لا أستطيع المجيء. ربما في عطلة نهاية الأسبوع القادمة. (حاولتُ أن أجعل صوتي يبدو عاديًّا وليس يائسًا ومستميتًا) حسنًا؟».

فقالت على الفور: «كلا، ليس حسنًا. ستأتين في عطلة نهاية الأسبوع هذه. سوزانا تريد رؤيتك».

- ولكن...

- لا أعذار. (كان صوتها حادًّا كالموس) لقد اشتريتُ لكِ تذكرة القطار بالفعل. أراكِ غدًا.

في أثناء رحلتي بالقطار، عملتْ جاهدةً للإتيان بأشياء يمكنني قولها عند رؤيتي لسوزانا. كنتُ سأخبرها عن مدى صعوبة حساب المثلثات، وكيف أن تايلور واقعة في الحب، وكيف أنني كنتُ أفكر في الترشح لمنصب عريفة الفصل، وهي ليست إلا كذبة. لم أكن لأترشح لمنصب عريفة الفصل، لكنني علمتُ أن سوزانا ستحب سماع ذلك. كنتُ سأخبرها بكل ذلك، ولن أسأل عن كونراد.

أتت أمي لتأخذني من محطة القطار. وعندما ركبتُ السيارة قالت: «أنا سعيدة لأنكِ جئتِ. (ثم أردفَتْ قائلة...) لا تقلقي، كونراد ليس هناك».

لم أجبها، حدَّقتُ من النافذة فحسب. لقد كنتُ غاضبةً منها بشكل غير مُبَرر لأنها أرغمتني على المجيء. غير أنها لم تهتم. لقد واصلَتْ الحديث قائلة: «سأمضي قدمًا وأحذركِ، إنها لا تبدو في حالة جيدة. إنها متعَبة. متعَبة للغاية، لكنها متشوقة لرؤيتك».

بمجرد قولها لتلك الكلمات «إنها لا تبدو في حالة جيدة». أغمضتُ عيني. كرهتُ نفسي لكوني خائفة من رؤيتها، لكوني لم أزرها كثيرًا. لكنني لستُ مثل أمي، قوية وراسخة كالفولاذ. إن رؤية سوزانا في هذه الحالة، كانت صعبة للغاية. بدا الأمر وكأن أجزاء منها، أجزاء مما كانت عليه في السابق، كانت تتهاوى بعيدًا في كل مرة. إن رؤيتها في هذه الحالة تجعل من الأمر حقيقة.

عندما وصلنا إلى أمام المنزل، وجدنا نونا بالخارج تدخن سيجارة. كنتُ قد التقيتُ نونا قبل ذلك بأسبوعين، عندما عادت سوزانا إلى المنزل لأول مرة. كانت لدى نونا مصافحة يد مرهبة للغاية. عندما خرجنا من السيارة، كانت تعقم يديها وترش من بخاخ «فبريز» المعطر على زيِّها كما لو كانت مراهقة تدخن في السر، على الرغم من أن سوزانا لم تمانع ذلك؛ فقد كانت تحب السجائر من حين لآخر، غير أنها لم تعد قادرة على تدخينها. الحشيش فحسب، فقط مرة واحدة كل فترة.

صاحت لونا وهي تلوِّح لنا قائلة: «صباح الخير».

فأجبناها قائلين: «صباح الخير».

كانت جالسة في الباحة الأمامية للمنزل.

قالت لي: «سررتُ برؤيتك».

وقالت لأمي: «سوزانا جاهزة وفي انتظاركما في الطابق السفلي».

جلست أمي بجانب نونا.

- بيلي، فلتدخلي أولًا. أنا سأدردش مع نونا قليلًا.

ومن كلمة «سأدردش»، عرفتُ أنها كانت تعني أنها هي الأخرى ستدخن سيجارة. لقد أصبحت هي ونونا صديقتين بشكل كبير. كانت نونا شخصًا برجماتيًّا وكذلك روحانيًّا للغاية. لقد دعت أمي ذات مرة للذهاب إلى الكنيسة معها، ورغم أن أمي ليست متدينة على الإطلاق، فقد ذهبت. في البداية اعتقدتُ أن الأمر كان لمجرد إرضاء نونا، لكن بعد ذلك عندما عدنا إلى الديار وبدأتْ تذهب إلى الكنيسة بمفردها، أدركتُ أن الأمر كان أكثر من ذلك، لقد كانت تبحث عن شيء من السلام.

قلتُ: «وحدي؟».

وقد ندمتُ على قول ذلك فورًا. لم أرغب في أن يحكم أي منهما عليَّ بأنني خائفة.

لقد كنتُ بالفعل أحكم على نفسي.

قالت أمي: «إنها تنتظرك».

وبالفعل كانت كذلك. كانت جالسة في غرفة المعيشة، وترتدي ثيابًا فعلية وليس بيجامتها. كان لديها مكياج على وجهها. بدت حمرة الخدود ذات اللون الخوخي خاصتها فاقعة وصارخة فوق بشرتها الطباشيرية الشاحبة. لقد بذلَتْ جهدًا، من أجلي. حتى لا تُخيفني. لذلك تظاهرتُ بكوني لستُ خائفة.

قالت وهي تفتح ذراعيها: «فتاتي المفضلة».

عانقتُها، بحذر بقدر ما استطعت، وأخبرتها أنها تبدو أفضل حالًا بكثير. لقد كذبتُ.

قالت إن جيرمايا لن يعود إلى المنزل حتى وقت لاحق من تلك الليلة، وإننا نحن الفتيات سنحظى بالمنزل لأنفسنا طوال فترة ما بعد الظهيرة.

دخلتْ أمي في ذلك الحين، لكنها تركتنا نحن الاثنتين وحدنا. لقد جاءت إلى غرفة المعيشة لإلقاء التحية سريعًا، ثم بينما أعدَّت الغداء أكملنا نحن حديثنا.

بمجرد أن غادرت أمي الغرفة، قالت سوزانا: «إذا كنتِ قلقة من لقاء كونراد، فلا تقلقي يا حلوتي. لن يكون هنا حتى نهاية الأسبوع».

ابتلعتُ ريقي ثم قلتُ: «هل أخبركِ؟».

فضحكتْ نصف ضحكة وقالت: «ذلك الفتى لا يخبرني بأي شيء. لقد ذكرَتْ أمكِ أن حفلة التخرج لم تسر... كما تمنينا. أنا آسفة لذلك يا عزيزتي».

أخبرتها قائلة: «لقد انفصل عني».

كان الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك، لكن عندما تأتي لتلخيصه، تجد أن هذا ما قد حدث. وقد حدث لأنه أراده أن يحدث. لطالما كان الأمر مطلبه.. قراره سواء كنا معًا أم لا.

أخذتْ سوزانا يدي وأمسكتْ بها، وقالت: «لا تكرهي كونراد».

- أنا لا أكرهه.

لقد كذبتُ. لقد كرهته أكثر من أي شيء. وأحببته أكثر من أي شيء. لأنه.. لأنه كان **كل** شيء. وقد كرهتُ ذلك أيضًا.

- إن كوني يمر بوقت عصيب مع كل هذا. إنه ليس بهين. (ثم سكتتْ للحظة وأزاحتْ شعري عن وجهي وأبقتْ يدها على جبهتي كما لو كنتُ أعاني الحمى. كما لو كنتُ أنا المريضة، التي تحتاج إلى الراحة) لا تدعيه يبعدُكِ عنه. هو بحاجة إليكِ. إنه يحبكِ، كما تعلمين.

فهززتُ رأسي قائلة: «كلا، لم يفعل».

وفي رأسي أضفتُ: *إن الشخص الوحيد الذي يحبه هو نفسه. وأنتِ.*

تظاهرتْ وكأنها لم تسمعني.

- هل تحبينه؟

وعندما لم أُجب، أومأتْ برأسها كما لو أنني قد أجبتُ.

- هلَّا تفعلين شيئًا من أجلي؟

ببطء، أومأتُ برأسي.

- فلتعتني به من أجلي. هل ستفعلين ذلك؟

قلتُ: «لن تحتاجي إلي لأعتني به يا سوزانا، ستكونين هنا لتفعلي ذلك بنفسك».

وقد حاولتُ ألا أبدو يائسة، لكن لا يهم.

ابتسمتْ سوزانا وقالت: «أنتِ فتاتي يا بيلي».

بعد الغداء، أخذتْ سوزانا قيلولة. ولم تستيقظ حتى وقت متأخر من فترة ما بعد الظهيرة، ولما استيقظتْ، بدت منفعلة ومرتبكة ومشوَّشَة. لقد انفعلتْ على أمي مرة، وهو ما أرعبني. فلم تكن سوزانا تنفعل على أي شخص مطلقًا. حاولتْ نونا وضعها في الفراش، وقد أبت سوزانا في البداية، لكنها استسلمت بعد ذلك. وفي الطريق إلى غرفة نومها، غمزتْ لي غمزة صغيرة فاترة.

عاد جيرمايا إلى المنزل بحلول وقت العشاء تقريبًا. لقد شعرتُ بالارتياح لرؤيته. فهو يجعل كل شيء أخف وطأة، وأسهل بطريقة ما. مجرد رؤية وجهه قد أزاح بعضًا من الضغط الذي شعرتُ به لوجودي هناك.

دخل إلى المطبخ وقال: «ما رائحة الاحتراق هذه؟ آه، لوريل تطبخ. مرحبًا يا لور!».

ضربته أمي بمنشفة من مناشف المطبخ. إلا أنه تفادى الضربة وبدأ ينظر من تحت أغطية المقالي في مرح.

قلتُ له: «مرحبًا يا جير».

كنتُ جالسة على أحد مقاعد المطبخ، أُقشِّر الفاصوليا.

نظر إليَّ وقال: «أوه، مرحبًا. كيف حالكِ؟».

ثم سار إليَّ وعانقني نصف عناق سريع. حاولتُ البحث في عينيه عن أي مؤشر يدلني كيف كان حاله، لكنه لم يسمح لي. لقد ظلَّ يتنقل في الأرجاء، يمزح مع نونا وأمي.

من بعض النواحي، بدا هو جيرمايا نفسه، لكن من نواحٍ أخرى، استطعتُ أن أرى كيف غيَّره هذا. كيف كبَّره في العمر. لقد تطلب كل شيء مزيدًا من الجهد، حتى مزاحه وابتساماته.

لم يعد أي شيء سهلًا بعد الآن.

الفصل الحادي عشر

شعرتُ وكأن دهرًا كاملًا قد مضى قبل أن يتحدَّث جيرمايا مرة أخرى. كنتُ أتظاهر بكوني نائمة، وكان يقرع بأصابعه فوق مقود السيارة. ثم قال فجأة: «كانت هذه الأغنية الرئيسة لحفلة تخرجي».

فتحتُ عينيَّ على الفور وسألتُ قائلة: «كم عدد حفلات التخرج التي حضرتَها؟».

- الإجمالي؟ خمس.

فقلتُ: «ماذا؟ نعم، حسنًا. أنا لا أصدقك».

رغم أنني كنتُ أصدقه. بالطبع قد حضر جيرمايا خمس حفلات تخرج. إنه بالضبط هذا الفتى، الفتى الذي يرغب الجميع في الذهاب معه. كان يعرف كيف يجعل الفتاة تشعر وكأنها ملكة الحفل، حتى ولو كانت نكرة.

بدأ جيرمايا يعد على أصابعه قائلًا: «في الصف الحادي عشر، حضرتُ اثنتين، حفلتي وحفلة فلورا مارتينيز في مدرسة «ساكرِد هارت» (Sacred

Heart). وهذا العام، حضرتْ حفلتي واثنتين أخريين. وصوفيا فرانكلين في...».

- حسنًا، حسنًا. فهمت. الطلب عليك كثير.

انحنيتُ للأمام أخذتُ أعبثُ بجهاز التحكم في مكيف الهواء.

قال: «اضطُرِرتُ إلى شراء بدلة سهرة لأن هذا سيكون أرخص من التأجير مرارًا وتكرارًا. (ثم نظر جيرمايا إلى الأمام مباشرة، وقال آخر شيء كنت أتوقع منه أن يقوله) لقد بدوتِ جميلة في حفلة تخرجك. لقد أحببتُ فستانك».

حدَّقتُ إليه. هل أطلعه كونراد على صورنا؟ هل قال له أي شيء؟

- كيف علمت بذلك؟

- لقد بروزَت أمي إحدى الصور.

لم أكن أتوقع منه الإتيان بسيرة سوزانا. لقد اعتقدتُ أن حفلة التخرج ستكون موضوعًا آمنًا للحديث حوله.

قلتُ: «سمعتُ أنك توِّجتَ مَلِكًا لحفلة تخرجك».

- أجل.

- أراهن أن ذلك كان ممتعًا.

- أجل، كان الأمر ممتعًا بحق.

كان عليَّ مرافقة جيرمايا بدلًا من ذلك. لو ذهبتُ مع جيرمايا، لكانت الأمور قد اختلفت. كان سيقول كل الأشياء الصحيحة. كان من الممكن أن يكون جيرمايا في منتصف ساحة الرقص، يؤدي جميع الرقصات الغبية التي اعتاد أن يتدرب عليها عندما كنا نشاهد قناة «إم تي في» (MTV). كان سيتذكر أن زهور الأقحوان هي المفضلة لدي، وكان سيعقد صداقة مع حبيب تايلور، ديفيز، وسيخطف أنظار جميع الفتيات الأخريات، متمنيات لو أنه كان رفيقهنَّ.

الفصل الثاني عشر

من البداية، كنتُ أعلم أنه لن يكون من السهل إقناع كونراد بالذهاب. فهو لم يكن شخصًا يحب الذهاب إلى حفلات التخرج. لكن الأمر يتلخص في أنني لم أبالِ. لقد أردتُه حقًّا أن يذهب معي فحسب، أن يكون مُرافقي. لقد مرَّت سبعة أشهر منذ المرة الأولى التي تبادلنا فيها القُبَل، وشهران منذ آخر مرة رأيته فيها، وأسبوع منذ آخر اتصال له.

إن كونك رفيق شخص ما في حفلة التخرج هو شيء ملموس؛ شيء حقيقي. وكان رأسي مملوءًا بالتخيلات حول حفلة التخرج، وكيف ستكون. كيف سينظر إليَّ، وكيف سيضع يده أسفل ظهري، عندما نرقص معًا. كيف سنأكل البطاطس بالجبن في العشاء بَعد ذلك، ونشاهد شروق الشمس من سقف سيارته. لقد خططتُ لكل شيء، وكيف ستسير الأمور جميعها.

عندما اتصلتُ به في تلك الليلة، بدا مشغولًا. لكنني مضيتُ قدمًا على أي حال.

سألته قائلة: «ماذا ستفعل في عطلة نهاية الأسبوع الأولى من شهر أبريل؟».

ارتجف صوتي وأنا أنطق بكلمة «أبريل». كنتُ متوترة للغاية من أنه قد يرفض. في الواقع، في أعماقي كنتُ أتوقع ذلك منه نوعًا ما.

سأل بشيء من الحذر: «لماذا؟».

- إنها حفلة نهاية سنتي الدراسية.

فتنهد وقال: «بيلي، أنا أكره الرقص».

- أعرف ذلك. لكنها حفلة تخرجي، وأنا حقًّا أريد الذهاب، وأريدك أن تأتي معي.

لماذا كان عليه أن يجعل كل شيء بهذه الصعوبة؟

ذكَّرني قائلًا: «أنا في الكُليَّة الآن. ولم أرغب حتى في حضور حفلة تخرجي».

قلتُ بخفة: «حسنًا، هذا سبب أدعى لحضورك حفلتي».

- ألا يمكنك الذهاب مع أصدقائكِ فحسب؟ (سكتُّ) أنا آسف، إنني فقط لا أشعر برغبة في الذهاب. الاختبارات النهائية على الأبواب، وسيكون من الصعب عليَّ القيادة طوال الليل.

إذن لم يستطع فعل هذا الشيء الوحيد من أجلي، من أجل إسعادي. لم يشعر برغبة في ذلك. حسنًا.

قلتُ له: «لا بأس. هنالك الكثير من الفتيان الذين يمكنني الذهاب معهم. لا مشكلة».

كان بإمكاني سماع تروس عقله تعمل على الجانب الآخر.

ثم قال أخيرًا: «لا عليكِ، سأصطحبكِ إلى هناك».

فقلتُ: «دعني أخبرك. لا تقلق بشأن ذلك على الإطلاق. لقد سألني كوري ويلر بالفعل. يمكنني إخباره بأنني قد غيرتُ رأيي».

- من يكون كوري ويلر هذا بحق الجحيم؟

ابتسمتُ. ها قد نلتُ منه الآن، أو على الأقل اعتقدتُ أنني قد فعلتُ.

قلتُ: «كوري ويلر. إنه يلعب كرة القدم مع ستيفن. وهو راقص بارع. إنه أطول منك».

لكن من ثم قال كونراد: «أظن أنكِ ستتمكنين من انتعال الكعب العالي إذن».

- أعتقد أنني سأفعل.

أغلقتُ الخط. هل كان كثيرًا أن أطلب منه مرافقتي في حفلة تخرجي، مرافقتي لليلة واحدة لعينة؟ وقد كذبتُ بشأن كوري ويلر؛ إنه لم يسألني. غير أنني أعلم أنه سيفعل، لو تركته يعتقد أنني أريد منه ذلك.

في السرير، تحت لحافي، بكيتُ قليلًا. كنتُ أحلم بليلة حفلة تخرج مثالية، كونراد مرتديًا بدلته وأنا في فستاني الأرجواني الذي اشترته لي أمي قبل صيفين، ذلك الذي توسلتُ من أجل الحصول عليه. إنه لم يرني متأنقة الملبس من قبل، ولا حتى وأنا أنتعل الكعب العالي. لذا أردته حقًّا، حقًّا أن يفعل.

اتصل لاحقًا، وحولته إلى المجيب الآلي على الفور، لكي يترك رسالة صوتية. وفي الرسالة قال: «مرحبًا. أنا آسف عمَّا بَدَرَ مني قبل قليل. لا تذهبي مع كوري ويلر أو أي فتى آخر. سوف آتي. ولا يزال بإمكانك انتعال حذائك ذي الكعب العالي».

لا بد أنني قد استمعتُ لهذه الرسالة ثلاثين مرة على الأقل. ومع ذلك، فإنني لم أستمع حقًّا لما كان يقوله بالفعل... إنه لم يردني أن أذهب مع شخص آخر، لكنه لم يرغب فعليًّا في الذهاب معي كذلك.

ارتديتُ فستاني الأرجواني. كانت أمي مسرورة، أستطيع قول ذلك. كما ارتديتُ عقد اللؤلؤ الذي أهدته لي سوزانا في عيد ميلادي السادس عشر، وقد سرَّها ذلك أيضًا. كانت تايلور والفتيات الأخريات جميعهن يصففن شعورهن في صالون فاخر. أما أنا فقررتُ أن أصفف شعري بنفسي. موَّجتُ شعري موجات فضفاضة وساعدتني أمي في الجزء الخلفي. أظن أن آخر مرة صففت فيها أمي شعري كنت في الصف الثاني، عندما كنتُ أحظى بشعري مجدولًا في ضفيرتين كل يوم. لقد كانت تجيد استخدام مكواة تجعيد الشعر، لكن بعد ذلك، أصبحتْ تجيد معظم الأشياء.

بمجرد أن سمعت سيارته تتوقف أمام المنزل، ركضتُ إلى النافذة. لقد بدا وسيمًا في بدلته. كانت بدلة سوداء اللون؛ لم أرها من قبل.

أطلقتُ العنان لساقيَّ تركضان نزولًا على الدَّرَج، وفتحتُ الباب الأمامي قبل أن يدق الجرس. لم أستطع كفَّ نفسي عن الابتسام وكنتُ على وشك أن أطوِّقه بذراعيَّ عندما قال: «تبدين أنيقة».

قلتُ له وقد عادت ذراعاي تتدليان بجانبي: «شكرًا. وكذلك أنت».

لا بد أننا قد التقطنا مئات الصور في المنزل. قالت سوزانا إنها تريد صورًا توثيقية لكونراد وهو يرتدي بدلة رسمية، ولي وأنا بذلك الفستان. أبقت أمي سوزانا معنا على الهاتف. أعطت الهاتف لكونراد أولًا، وأيًّا كان ما قالته له، أجابها قائلًا: «أعدُكِ».

تساءلتُ عمَّا كان يعدُ به.

تساءلتُ أيضًا عمَّا إذا سنكون أنا وتايلور هكذا في يوم من الأيام.. معًا على الهاتف بينما يستعد صغارنا للذهاب إلى حفلة التخرج. لقد امتدت أواصر صداقة أمي وسوزانا عبر العقود والأطفال والأزواج. تساءلتُ لو كانت صداقتي أنا وتايلور تتكون من الأشياء نفسها التي كوَّنَتْ صداقتهما. أشياء متينة، لا يمكن اختراقها. بطريقة ما، كنتُ أشك في ذلك. فإن ما بينهما، كان شيئًا لا يحدث سوى مرة واحدة في العمر.

قالت لي سوزانا: «هل صففتِ شعركِ بالطريقة التي تحدثنا عنها؟».

- أجل.

- وهل أخبركِ كونراد بأنكِ تبدين جميلة؟

فقلتُ: «أجل».

على الرغم من أنه لم يفعل، ليس بالضبط.

وعدتني قائلة: «الليلة ستكون مثالية».

التقطت أمي لنا صورًا على الدرجات الأمامية للمنزل، وعلى الدَّرَج الداخلي، وبجانب المدفأة. وكان ستيفن هناك مع رفيقته للحفلة، كلير تشو. لقد ظلَّا يضحكان طوال الوقت، وعندما كانا يلتقطان صورهما، وقف ستيفن خلفها واضعًا ذراعيه حول خصرها وقد مالت عليه إلى الخلف. بدا الأمر سلسًا

للغاية. أما في صورنا، فوقف كونراد متصلبًا بجانبي، وقد وضع ذراعًا واحدة حول كتفيَّ.

همستُ قائلة: «هل كل شيء على ما يرام؟».

فقال: «أجل».

ابتسم لي، ولكني لم أصدق ابتسامته. شيء ما قد تغير. فقط.. لم أكن أعرف ما هو.

أعطيته عروة الأوركيد ليضعها فوق طيَّة الصدر في سُترته. لقد نسي إحضار سوار زهور المعصم الخاص بي. قال إنه قد تركه في ثلاجته الصغيرة هناك في الكُليَّة. لم أكن حزينة ولا غاضبة. كنتُ مُحرَجة. طوال هذا الوقت، كنتُ أفكر بشأني أنا وكونراد، وكيف أننا أصبحنا بشكل ما حبيبين. ولكن ها قد كان عليَّ أن أتوسل إليه لكي يرافقني في حفلة التخرج، ولم يتذكر حتى أن يُحضِر لي سوار الزهور.

استطعتُ القول إنه قد شعر بالضيق حقًّا فور ما أدرك ذلك، تحديدًا في اللحظة التي ذهب فيها ستيفن إلى الثلاجة وعاد ومعه سوار من الزهور الوردية الصغيرة التي تتلاءم مع لون فستان كلير. وأعطاها باقة زهور كبيرة أيضًا.

أخرجت كلير إحدى الورود من باقتها وأعطتها لي.

قالت: «ها نحن أولاء.. سنصنع شيئًا لتزيين صِدار فستانِك».

ابتسمتُ لأظهر لها امتناني.

قلتُ لها: «لا بأس. لا أريدُ أن أحدث ثقبًا في فستاني».

يا له من عذر سخيف! لم تصدقني بالطبع، غير أنها تظاهرت بذلك.

قالت: «ما رأيكِ في أن نضعها في شعركِ إذن؟ أعتقد أنها ستبدو جميلة حقًّا في شعرك».

قلتُ: «بالتأكيد».

كانت كلير تشو شخصًا لطيفًا. كنتُ آمل ألا تنفصل عن ستيفن أبدًا. أملتُ أن يظلَّا معًا إلى الأبد.

وبعد انقضاء أمر الزهور هذا، بدا كونراد أكثر إحساسًا بالضيق، بل وحتى أكثر توترًا. في الطريق إلى السيارة، أمسك بمعصمي وقال بصوت هادئ: «آسف لأنني نسيتُ سوار زهورك. كان يجب عليَّ أن أتذكر ذلك».

ابتلعتُ ريقي بصعوبة وابتسمتُ من دون أن أفتح فمي.

- ماذا كان نوعها؟

- الأوركيد الأبيض. لقد اختارته أمي.

- حسنًا، في حفلة تخرج السنة النهائية، سيكون عليك فقط أن تحضر لي اثنين من أساور الزهور للتعويض عن ذلك. سأرتدي واحدًا في كل معصم.

كنتُ أراقبه وأنا أقول ذلك، سنظل معًا حتى العام القادم، أليس كذلك؟ كان ذلك كل ما أطلبه.

لم يتغير تعبير وجهه. تأبَّط ذراعي وقال: «أيًّا كان ما تريدينه يا بيلي».

في السيارة، نظر إلينا ستيفن في المرآة وقال: «يا صاح، لا أصدق أنني ذاهب إلى موعد غرامي ثنائي معك أنت وأختي الصغيرة».

أخذ ستيفن يهز رأسه ويضحك.

ولم يقل كونراد أي شيء.

كنتُ قد بدأتُ أشعر بالفعل أن الليلة تفلتُ حقًّا من بين يديَّ.

جمَعَتْ حفلة التخرج بين طلاب السنة النهائية وطلاب السنة ما قبل النهائية من المرحلة الثانوية. تلك هي الطريقة التي تنظم بها مدرستنا الحفل. وبطريقة ما كان هذا لطيفًا، لأنك ستحظى بحفل تخرج مرتين. كان طلاب السنة النهائية هم من يصوِّتون من أجل اختيار تيمة الحفل، وهذه السنة، تيمة الحفل هي **هوليوود القديمة**. كانت مقامة في النادي المائي، وكان ثمة سجادة حمراء بل ومصورون صحفيون.

لقد طلبت لجنة تنظيم الحفل واحدة من مجموعات لوازم حفلات التخرج تلك. تكلَّف الأمر طنًّا من المال؛ لقد ظلوا يجمعون المال من أجلها طوال الربيع. رأيتُ ملصقات الأفلام السنيمائية القديمة تملأ الجدران، وكانت ثمة

لافتة وامضة تحمل علامة هوليوود (Hollywood). كان من المفترض أن تبدو ساحة الرقص وكأنها موقع تصوير فيلم، مع إضاءات وكاميرا تصوير سينمائي مزيفة فوق حامل ثلاثي القوائم. حتى إنه كان ثمة كرسي مُخرِج على الجانب.

جلسنا إلى طاولة مع تايلور وديفيز. إن كعبي حذائها اللذين يشبهان الخناجر ويزيد طولهما على عشرة سنتيمترات قد جعلاها هي وديفيز في الطول نفسه. عانق كونراد تايلور وهو يلقي عليها التحية، غير أنه لم يبذل الكثير من الجهد لتجاذب الحديث معها أو مع ديفيز. لقد ظل جالسًا هكذا فحسب، وقد بدا غير مرتاح في بدلته. وعندما فتح ديفيز سترته وأخرج زجاجته الفضية من جيبه الداخلي ليستعرضها أمام كونراد، انكمشتُ في مقعدي وقد شعرتُ بالحرج. ربما قد كبر كونراد كثيرًا على كل هذا الهراء.

ومن ثم رأيتُ كوري ويلر في ساحة الرقص، في وسط دائرة من الناس، من ضمنهم أخي وكلير، يؤدي رقصة «البريك دانسج» (Breakdancing).

مِلتُ على كونراد وهمستُ قائلة: «ذلك هو كوري».

فقال: «كوري مَن؟».

لم أستطع أن أصدق بأنه لم يتذكر. لم أستطع تصديق ذلك فحسب. حدَّقتُ إليه لثانية، أتفحص وجهه، ثم ابتعدتُ عنه قائلة: «لا أحد».

بعد أن جلسنا هناك لبضع دقائق، أمسكت تايلور بيدي وأعلنت أننا ذاهبتان إلى الحمَّام. وقد شعرتُ بالارتياح لذلك فعلًا.

في الحمَّام، أعادت وضع ملمع شفاهها وهمست لي: «أنا وديفيز سنذهب إلى غرفة نوم أخيه في السكن الجامعي بعد الحفل».

سألتُ وأنا أبحثُ في حقيبتي الصغيرة عن عبوة ملمع الشفاه خاصتي: «لماذا؟».

أعطتني ملمع شفاهها وهي تقول: «امم.. كما تعلمين. لكي نكون وحدنا».

وسَّعَت تايلور عينيها لتأكيد ما تقصده.

فقلتُ ببطء: «فعلًا؟ واو! لم أكن أعرف أنكِ قد أعجبتِ به لتلك الدرجة».

- حسنًا، هذا بسبب انشغالكِ حقًّا بكل تلك الدراما المتعلقة بكونراد. الذي، بالمناسبة، يبدو مثيرًا جدًّا الليلة، ولكن لماذا يتصرف بهذه السخافة؟ هل تشاجرتما يا رفيقين؟

- لا...

لم أستطع النظر إلى عينيها، لذلك واصلتُ فقط وضع ملمع الشفاه.

- بيلي، ليس عليكِ أن تتحملي سخافاته. هذه ليلة حفل تخرجك. أعني، إنه حبيبك، أليس كذلك؟ (أخذت تنثر شعرها وتمرر أصابعها فيه وهي تقف مستعرضة نفسها أمام المرآة وقد مطَّتْ شفتيها للأمام) فلتجعليه يرقص معكِ على الأقل.

عندما عدنا إلى الطاولة، كان كونراد وديفيز يتحدثان عن بطولة الرابطة الوطنية لرياضة الجامعات (NCAA)، فاسترخت أعصابي قليلًا. إن ديفيز من مشجعي فريق جامعة كونيتيكت، بينما يفضل كونراد فريق جامعة كارولينا الشمالية. كان صديق السيد فيشر المُقَرَّب لاعبًا غير أساسي في هذا الفريق، وكان كلٌّ من كونراد وجيرمايا من أشد المشجعين. يمكن لكونراد أن يظل يتحدث عن فريق جامعة كارولينا لكرة السلة إلى ما لا نهاية.

أتت أغنية هادئة في ذلك الحين، وأخذَتْ تايلور يد ديفيز وتوجَّها إلى ساحة الرقص. شاهدتهما يرقصان، رأسها على كتفه ويداه على خصرها. قريبًا جدًّا، لن تعود تايلور عذراء بعد الآن. لطالما قالت إنها ستكون الأولى.

سألني كونراد قائلًا: «هل أنتِ عَطْشَى؟».

فقلتُ: «لا... هل تود الرقص؟».

بدا مترددًا وهو يقول: «أيتوجب علينا ذلك؟».

حاولتُ أن أبتسم.

- هيَّا، أنت الشخص الذي من المفترض أنه علمني الرقص.

نهض كونراد ومد لي يده.

- فلنرقص إذن.

أعطيته يدي وتبعته إلى وسط ساحة الرقص. رقصنا معًا، وكنتُ ممتنة لأن صوت الموسيقى كان عاليًا حتى لا يتمكن من سماع خفقان قلبي.

رفعتُ رأسي لأنظر إليه، وقلتُ: «سعيدة لأنك أتيت».

سألني قائلًا: «ماذا؟».

فقلتُ، بصوت أعلى هذه المرة: «سعيدة لأنك أتيت».

- وأنا كذلك.

بدا صوته غريبًا؛ أتذكر ذلك، أتذكر الطريقة التي اختنق بها صوته.

وعلى الرغم من أنه كان واقفًا أمامي مباشرةً، يداه حول خصري، ويداي حول رقبته، لم أشعر من قبل أنه أبعد مما كان عليه في ذلك الحين.

بعد ذلك، عُدْنا للجلوس إلى طاولتنا، وقال لي: «هل ترغبين في الذهاب إلى مكان ما؟».

أجبته وأنا أعبث بعُقد اللؤلؤ حول رقبتي: «حسنًا، لكن تَجَمُّع ما بعد الحفلة لن يبدأ قبل منتصف الليل».

أخذتُ ألفُّ العُقد حول أصابعي. لم أستطع النظر إليه.

قال كونراد: «لا، أعني أنا وأنتِ فقط. مكان يمكننا التحدث فيه».

وفجأة، شعرتُ بدوار. فإذا أراد كونراد الذهاب إلى مكان يمكننا فيه أن نكون بمفردنا، حيث نستطيع التحدث، فهذا يعني أنه يريد الانفصال عني. كنتُ أعرف.

قلت، وقد حاولتُ جاهدة ألا أبدو يائسة: «دعنا لا نذهب إلى أي مكان، فلنبق هنا لبعض الوقت».

قال: «حسنًا».

لذا جلسنا هناك، نشاهد الجميع من حولنا يرقصون، بوجوههم اللامعة من أثر العرق، ومكياجهم الذي بدأ يتلطخ.

سحبتُ الوردة من شعري ووضعتها داخل حقيبتي. ولما ساد الصمتُ بيننا لبعض الوقت، قلتُ: «هل أجبرتك أمك على المجيء؟».

كان يكسر قلبي أن أسأل هذا السؤال، لكن كان عليَّ أن أعرف.

قال: «لا».

ولكنه تأخر في الرد كثيرًا.

في موقف السيارات، كانت السماء قد بدأت تمطر رذاذًا. وشعري، شعري الذي قضيتُ فترة ما بعد الظُهر كلها أموِّجُ خصلاته، بدأ ينفرد بالفعل.

كنا نسير في طريقنا إلى السيارة عندما قال كونراد: «رأسي يقتلني ألمًا».

توقفتُ عن المشي.

- هل تريدني أن أعود إلى الداخل وأرى ما إذا كان أي شخص معه حبة أسبرين؟

- كلا، لا بأس. أتعرفين ماذا، ربما سأعود إلى الكُليَّة. لدي ذلك الامتحان يوم الاثنين، والكثير من الأشياء الأخرى. هل سيكون كل شيء على ما يرام إذا لم أذهب إلى تجمُّع ما بعد الحفلة هذا؟ لا يزال بإمكاني أن أوصِّلكِ.

لم ينظر إلى عينيَّ وهو يتكلم.

- ظننتك ستقضي الليلة هنا.

عبث كونراد بمفاتيح سيارته وغمغم قائلًا: «أعلم، لكنني أفكر الآن في أنني يجب عليَّ أن أعود...».

خفت صوته حتى تلاشى.

قلتُ: «لكنني لا أريدك أن تغادر».

وقد كرهتُ كيف بدا الأمر كما لو أنني أتوسل.

وضع يديه داخل جيبي سرواله وقال: «أنا آسف».

وقفنا هناك في موقف السيارات، وفكرتُ بيني وبين نفسي: *لو دخلنا إلى السيارة، سيكون الأمر قد انتهى. سيوصِّلني ومن ثم يعود إلى الكُليَّة ولن يعود مجددًا أبدًا. وسيكون هذا كل شيء.*

سألته وقد شعرتُ بالذعر يتصاعد داخلي: «ما الذي حدث؟ هل ارتكبتُ خطأ ما؟».

أشاح بنظره بعيدًا.

- لا. ليس بسببك. ليس للأمر علاقة بكِ.

أمسكتُ بذراعه، فجفل.

- هلَّا تحدثتَ إليَّ، أرجوك؟ هلَّا أخبرتني بما يجري؟

لم يقل كونراد أي شيء. كان يتمنى لو أنه داخل سيارته بالفعل، يقودها مبتعدًا. أما بالنسبة لي، فقد أردتُ أن أضربه.

قلتُ: «حسنًا، لا بأس، إذن. إذا لم تقل ذلك، فسأقوله أنا».

- إذا لم أقل ماذا؟

- أن ما بيننا قد انتهى. هذا، أيًّا كان ما هو، قد انتهى. أعني، هذا صحيح، أليس كذلك؟

كنتُ أبكي، وكان أنفي يسيل، وقد اختلط كل ذلك تحت المطر. مسحتُ وجهي بذراعي.

لقد تردد. رأيته مترددًا، ويحاول أن يزن كلماته.

- بيلي...

- لا تفعل. لا تفعل فحسب. لا تقل لي أي شيء.

قال: «فقط انتظري دقيقة. لا تتركي الأمر هكذا».

فقلتُ: «أنت من ترك الأمر هكذا».

بدأت في السير بعيدًا، بأسرع ما تمكَّنت منه قدماي بذلك الحذاء الغبي ذي الكعب العالي.

صاح قائلًا: «انتظري!».

لم ألتفت، بل سارعتُ في مشيتي. ثم سمعته وهو يضرب بقبضته على غطاء محرك سيارته. كدت أتوقف.

ربما كنتُ سأفعل لو كان قد لحق بي. غير أنه لم يفعل. لقد ركب سيارته وغادر تمامًا مثلما قال.

في صباح اليوم التالي، جاء ستيفن إلى غرفتي وجلس إلى مكتبي. كان قد عاد للتو إلى المنزل، ولا يزال يرتدي بدلة السهرة خاصته.

قلتُ له وأنا أتقلبُ على سريري: «أنا نائمة».

- كلا، لستِ كذلك. (ثم سكت للحظة) إن كونراد لا يستحق هذا العناء، حسنًا؟

كنتُ أعرف كم كلَّفه أن يقول ذلك لي، وقد أحببته لأجل ذلك. فقد كان ستفين النصير الأول لكونراد؛ لطالما كان كذلك. عندما نهض ستيفن وغادر، كررتُ ما قاله لنفسي. *إنه لا يستحق هذا العناء.*

عندما نزلتُ إلى الطابق السفلي في اليوم التالي قُرْبَ وقت الغداء، سألتني أمي قائلة: «هل أنتِ بخير؟».

جلستُ إلى طاولة المطبخ وأنزلتُ رأسي عليها. شعرتُ بالخشب باردًا وناعمًا على خدي.

رفعتُ نظري إليها وقلتُ: «أعتقد أن ستيفن قد ثرثر إذن».

فقالت، بحذر: «ليس بالضبط. لقد سألته لماذا لم يقض كونراد الليلة هنا كما خططنا».

أخبرتها قائلة: «لقد انفصلنا».

بطريقة ما، كان من المثير سماع ذلك بصوت عالٍ، لأنه إذا انفصلنا، فهذا يعني أننا في وقت ما، كنا معًا. أن ما بيننا كان حقيقيًّا.

جلستْ أمي أمامي. تنهدتْ ثم قالت: «كنت أخشى من حدوث ذلك».

- ماذا تقصدين؟

- أعني، الأمر أكثر تعقيدًا من كونه يتعلق بكِ أنتِ وكونراد فحسب. ثمة أشخاص آخرون معنيون بالأمر غيركما أنتما.

أردتُ أن أصرخ في وجهها، أن أخبرها كم هي متبلدة المشاعر، كم هي قاسية، وكيف أنها لم تستطع رؤية أن قلبي كان حرفيًّا ينفطر؟ لكن عندما نظرتُ إلى وجهها، تراجعتُ وابتلعتُ الكلمات. لقد كانت محِقَّة. ثمة ما يدعو للقلق أكثر من مجرد قلبي الغبي. علينا التفكير في سوزانا. إن ذلك سيصيبها بخيبة أمل كبيرة. وكنتُ أكره أن أُحبِطَها.

قالت لي أمي بصوت رقيق: «لا تقلقي بشأن بيك. سوف أتولى أمر إخبارها. أتريدينني أن أُعِدَّ لكِ شيئًا لتأكليه؟».

أجبتُ بنعم.

لاحقًا، في غرفتي، وقد عدتُ وحيدة من جديد، أخبرتُ نفسي أن الأمور أفضل هكذا. لقد كان يرغب في إنهاء الأمر طيلة الوقت، لذا فمن الأفضل أنني قلتها أولًا. لم أصدق أي كلمة من ذلك. لو اتصل وطلب مني العودة، ولو أتى إلى المنزل حاملًا الزهور أو جهاز ستريو على كتفيه مُشغِّلًا أغنيتنا.. هل كان لدينا أغنية أصلًا؟ لا أعرف، لكنه لو قام حتى بأصغر لفتة ممكنة، كنتُ سأعود إليه، بكل سرور. غير أن كونراد لم يتصل.

عندما اكتشفتُ أن سوزانا قد ساءت حالتها، وأنها لن تتحسن، اتصلتُ به، مرة واحدة. لم يرُد ولم أترك رسالة. لو كان قد رد، لو كان قد عاود الاتصال بي، لا أعرف ما الذي كنتُ سأقوله.

وكان هذا كل شيء. لقد انتهى ما بيننا.

الفصل الثالث عشر

جيرمايا

عندما عرفتْ أمي أن كونراد سيصطحب بيلي إلى حفل التخرج، فقدت صوابها. لقد فرِحَتْ بشكل جنوني. لدرجة تجعلك تظن بأنهما سيتزوجان أو شيء من هذا القبيل. لم أرها سعيدة هكذا منذ وقت طويل، كان جزءٌ مني سعيدًا بأنه سيفعل ذلك من أجلها. ولكنني في الأغلب كنت غيرانَ. لقد ظلَّتْ أمي تهاتفه وهو في الكُليَّة، لتذكره بأمور مثل التأكد من أنه استأجر بدلة السهرة خاصته في الوقت المناسب. قالت إنه قد يستعير بدلتي، وأجبتُ بأنني أشكُّ في أن يكون مقاسها مناسبًا له. لم يفعل، لقد اكتفت بالأمر عند هذا الحد، مما أشعرني بالارتياح. انتهى بي الأمر بالذهاب إلى فتاة ما في حفلة تخرج مدرسة «كوليجيت» في تلك الليلة، لذا لم يكن بإمكانه ارتداؤها على أي حال. ولكن النقطة هي، أنه حتى لو كان بإمكانه ارتداؤها، ما كنتُ لأريده أن يفعل.

لقد جعلَتْه يقطع وعدًا بأنه سيكون لطيفًا، كجنتلمان مثالي.

قالت: «فلتجعلها ليلة تظل تتذكرها للأبد».

عندما عدتُ إلى المنزل بعد الظهيرة، في اليوم الذي يلي ليلة حفلة التخرج، كانت سيارة كونراد أمام المنزل، مما أثار استغرابي. كنتُ أظنه سيقضي الليلة في منزل لوريل ومن ثم يعود مباشرة إلى الكُليَّة. مررتُ بغرفته، لكنه كان نائمًا، وبعد فترة وجيزة، كنتُ قد غبتُ عن الوعي أنا أيضًا.

في تلك الليلة طلبنا طعامًا صينيًّا قالت أمي إنها تشتهيه، غير أنه عندما وصل، لم تأكل شيئًا.

جلسنا نأكل في غرفة التلفاز، على الأريكة، وهو شيء لم نكن نفعله قبل أن تمرض.

سألتْ وهي تنظر إلى كونراد بنفاد صبر قائلةً: «إذن؟».

كانت تلك أكثر لحظة أراها فيها مفعمة بالحيوية في اليوم بأكمله.

كان يحشو واحدة من لفائف «السبرنج رول» في حلقه، كما لو كان في عجلة من أمره. وقد أحضر كل ملابسه التي تحتاج إلى الغسيل معه إلى المنزل، وكأنه يتوقع أن تغسلها أمي.

سأل قائلًا: «إذن ماذا؟».

- إذن قد جعلتني أنتظر طوال اليوم لأسمع أخبار حفلة التخرج! أريد أن أعرف كل شيء!

قال: «أوه، بخصوص ذلك...».

كانت ثمة نظرة الإحراج تلك على وجهه، وعرفتُ أنه لا يريد التحدث بشأن ذلك. كنتُ على يقين من أنه قد فعل شيئًا ما أفسد الأمر برمته.

فقالت أمي ساخرة: «آه، ذلك. هيَّا يا كوني، أعطني بعض التفاصيل. كيف بدت في فستانها؟ هل رقصتما؟ أريد سماع كل شيء. ما زلتُ أنتظر أن ترسل لوريل لي الصور عبر الإيميل».

قال كونراد: «كان الأمر على ما يرام».

قلتُ: «أهذا كل شيء؟».

كنتُ منزعجًا منه هذه الليلة، من كل شيء بشأنه. لقد رافق بيلي إلى حفل التخرج كما لو كان يقوم بأحد الواجبات الرتيبة. لو كنتُ مكانه، لقمتُ بالأمر بالشكل صحيح.

تجاهلني كونراد. وقال: «لقد بدت جميلة حقًّا. كانت ترتدي فستانًا أرجوانيًّا».

أومأتْ أمي وهي مبتسمة، ثم قالت: «أعرف ذلك الفستان بالتحديد. كيف بدا شكل باقة زهور التزيين؟».

تزحزح في كرسيه قليلًا وأجاب قائلًا: «بدت لطيفة».

- هل انتهى بكما الأمر باختيار النوع الذي يُعلَّق على الصدر أم الذي يُرتدى على المعصم؟

- النوع الذي يُعلَّق.

- هل رقصتما؟

قال: «أجل، كثيرًا. لقد رقصنا ربما.. على كل أغنية».

- ماذا كانت تيمة الحفل؟

قال كونراد: «لا أتذكر».

وعندما بدت أمي محبطة أضاف: «أعتقد أنها كانت «ليلة عبر القارة». كانت أشبه بـ.. جولة في قارة أوروبا. كان ثمة مجسم كبير لبرج إيفيل مُزيَّن بأضواء شجرة عيد الميلاد. ومجسم لجسر لندن يمكنك العبور من فوقه. ومجسم لبرج بيزا المائل أيضًا».

رمقتُه بنظرة. كانت «ليلة عبر القارة» تيمة حفل تخرج مدرستنا للعام الماضي؛ أعرفُ ذلك لأنني كنتُ هناك.

إلا أنني أعتقد أن أمي لم تتذكر، لأنها قالت: «أوه، يبدو هذا لطيفًا للغاية. أتمنى لو أنني كنتُ في منزل لوريل لمساعدة بيلي في الاستعداد. سأتصل بلور الليلة وأُلِحُ عليها لترسل لي تلك الصور. متى تعتقد أنك ستستلم الصور الاحترافية؟ أريد أن أضعها في أُطر».

قال: «لستُ متأكدًا».

- فلتسأل بيلي، هلَّا فعلت؟

وضعت طبقها على طاولة القهوة ثم اتكأت على وسائد الأريكة. وقد بدت منهَكة فجأة.

قال: «سأفعل».

قالت: «أظن أنني سأخلد إلى الفراش الآن. جير، هلَّا نظفت كل هذا؟».

فقلتُ لها وأنا أساعدها في النهوض على قدميها: «بالطبع يا أمي».

طبَعَتْ قبلة على خدَّي كلينا وذهبت إلى غرفة نومها. كنا قد نقلنا غرفة المكتب إلى الطابق العلوي ووضعنا غرفة نومها في الطابق السفلي حتى لا تضطر إلى الصعود والنزول على الدَّرَج.

ولما ذهبَتْ، قلتُ في سخرية: «لقد رقصتما طوال الليل إذن، هاه؟».

قال كونراد وهو يميل برأسه إلى الوراء على الأريكة: «فلتنسَ الأمر وحسب».

- هل ذهبت إلى حفل التخرج أصلًا؟ أم أنك قد كذبت على أمي بشأن ذلك أيضًا؟

حدَّق إلى وجهي وقال: «أجل، ذهبت».

قلتُ: «حسنًا، بطريقة ما أشك في أنكما قد رقصتما طوال الليل».

شعرتُ أنني كنتُ وغدًا، لكنني فقط لم أستطع تجاهل الأمر وتركه يمضي.

- لماذا عليك أن تكون وقحًا هكذا؟ ما الذي يهمك بشأن حفل التخرج؟

هززتُ كتفيَّ وقلتُ: «آمل فقط أنك لم تفسده لها. ما الذي تفعله هنا أصلًا، على أي حال؟».

كنتُ أتوقع منه أن يغضب، في الواقع أعتقد أنني كنتُ أتمنى ذلك. غير أن كل ما قاله هو: «لا يستطيع جميعنا أن يكون السيد «ملك حفل التخرج»».

بدأ يغلق عُلَب الطعام وقد سأل قائلًا: «هل انتهيت من تناول الطعام؟».

قلتُ: «أجل، انتهيتُ».

الفصل الرابع عشر

جيرمايا

عندما توجهنا بالسيارة إلى الحرم الجامعي، كان هنالك أشخاص يتجوَّلون بالخارج في الحديقة، وكانت ثمة فتيات مستلقيات وهن يرتدين السراويل القصيرة والقطع العلوية من البيكيني، ومجموعة من الأولاد يلعبون لعبة التقاط القرص الطائر. وجدنا موقف سيارات أمام مسكن كونراد الجامعي مباشرةً، وعندما دخلنا كانت ثمة فتاة تخرج من المبنى ومعها سلة غسيل ملأى بالملابس. شعرتُ بكوني صغيرة بشكل غير معقول، وتائهة أيضًا.. لم أكن قد أتيت إلى هنا من قبل. بدا المكان مختلفًا عما كنتُ أتخيله، إنه أكثر صخبًا وأكثر ازدحامًا.

بدا جيرمايا عارفًا بالطريق، وكان عليَّ الإسراع لمواكبته. صعد على الدَّرَج، آخذًا سُلَّمتين في كل مرة، وفي الطابق الثالث، توقفنا. تبعته على طول ممر ذي إضاءات ساطعة. وعلى الحائط بجوار المصعد كانت هناك لوحة إعلانات تحمل ملصقًا مكتوبًا عليه: لنتحدث حول الجنس يا عزيزي. وكتيبات

عن الأمراض المنقولة جنسيًّا وكتيب عن كيفية فحص الثدي، وواقيات ذكرية نيونية مُدَبَّسة بشكل متقن في كل مكان. وكان أحدهم قد كتب بقلم تمييز: «خذ واحدًا. أو ثلاثة».

كان باب كونراد يحمل اسمه، وتحته، اسم «إريك تروسكي».

إن رفيقه في الحجرة شاب ممتلئ الجسم بعض الشيء، ولديه عضلات وشعر بني ضارب إلى الحُمْرة، وقد فتح الباب مرتديًا سروالًا قصيرًا خاصًّا بصالة الألعاب الرياضية وتي-شيرت.

سألَنا وعيناه تسقطان عليَّ: «كيف الأحوال؟».

لقد ذكَّرني بالذئب. وبدلًا من الشعور بالإطراء لكون شاب جامعي يتفحصني بعينيه، شعرتُ فقط بالاشمئزاز. أردتُ أن أختبئ خلف جيرمايا بالطريقة نفسها التي كنتُ أختبئ بها وراء تنورة أمي عندما كنتُ في الخامسة من عمري وأعاني خجلًا شديدًا. كان عليَّ أن أذكِّر نفسي بأنني أصبحتُ في السادسة عشرة من عمري، قرابة السابعة عشرة، أي أكبر بكثير من أن أتوتر لوجودي بالقرب من شاب يدعى إريك تروسكي. على الرغم من أن كونراد قد أخبرني بالفعل بأن إريك دائمًا ما يرسل إليه مقاطع فيديو إباحية غريبة الأطوار، وأنه يقضي اليوم بطولِه أمام شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به. باستثناء الوقت الذي يشاهد فيه مسلسلاته التلفزيونية من الساعة الثانية إلى الرابعة.

تنحنح جيرمايا ثم قال: «أنا شقيق كونراد، وهذه.. صديقتنا. هل تعرف أين هو؟».

فتح إريك الباب وسمح لنا بالدخول.

- يا صاح، ليس لدي أي فكرة. لقد رحل فحسب. هل اتصل بك آري؟

سأل جيرمايا قائلًا: «مَن يكون آري؟».

فأجاب: «مشرف السكن».

كررتُ قائلة: «آري مشرف السكن».

وارتفع جانبي فم جيرمايا لأعلى.

سألني إريك: «مَن تكونين؟».

- بيلي.

راقبتُ قسمات وجهه، في انتظار ظهور بصيص من تعبير يوحي بأنه يعرفني، شيء من شأنه أن يخبرني بأن كونراد قد تحدث عني، أو حتى ذكر اسمي. ولكن بالطبع لم يكن هناك أي شيء.

قال وهو يَميل برأسه على الحائط: «بيلي، هاه؟ هذا لطيف. أنا إريك».

قلتُ: «امم، أهلًا».

فتدخل جيرمايا قائلًا: «إذن، لم يخبرك كونراد بأي شيء قبل أن يغادر؟».

- إنه من النادر أن يتحدث، هذه الفترة. لقد أصبح أشبه بالروبوت. (ثم ابتسم لي وأردف..) حسنًا، إنه يتحدث إلى فتيات جميلات.

شعرتُ بغثيان في داخلي. أي فتيات جميلات؟ زَفَرَ جيرمايا نَفَسه بصوت عال وشبك يديه خلف رأسه. ثم أخرج هاتفه ونظر إليه، كما لو كانت ثمة إجابة ما تكمن فيه. جلستُ على سرير كونراد.. ملاءته باللون الأزرق الداكن ولحافه باللون الأزرق الداكن. كان غير مُرتَّب. لطالما كان كونراد يرتب سريره في المنزل الصيفي. تمامًا كأسرَّة الفنادق.

هكذا إذن حال المكان الذي يعيش فيه الآن. هكذا أصبحت حياته الآن.

لم يكن لديه الكثير من الأشياء في غرفته الجامعية. لا تلفاز، ولا ستيريو، ولا صور معلقة على الحائط. وبالتأكيد ولا صورة لي، ولا حتى لسوزانا أو لأبيه. فقط جهاز الكمبيوتر الخاص به، وملابسه، وبعض الأحذية والكتب.

- لقد كنتُ في الواقع على وشك الخروج يا رفاق. إنني ذاهب إلى منزل والدَيَّ الريفي. هلَّا تتأكدان من إغلاق الباب عندما تغادران؟ وعندما تجدان السيد «ك»، أخبراه بأنه مدين لي بعشرين دولارًا ثمن البيتزا.

- لا تقلق يا رجل. سأخبره.

أمكنني القول إن جيرمايا لم يحب إيرك، من الطريقة التي كادت بها شفتاه تأخذان شكل ابتسامة، لكنهما لم تفعلا تمامًا عندما قال ذلك. جلس إلى مكتب كونراد، وأخذ يتفحص الغرفة. طرق شخص ما الباب وتوجه إريك لفتحه. كانت فتاة، ترتدي قميصًا بأكمام طويلة وطِماقًا ونظارة شمسية أعلى رأسها.

سألَته قائلة: «هل رأيت سترتي؟».

أخذت تنظر من حوله وكأنها تبحث عن شيء ما. عن شخص ما. *هل تواعدا؟* تساءلتُ في نفسي. كان ذلك أول ما خطر ببالي. أما الشيء الثاني، *إنني أجمل منها*. كنتُ خجلى من نفسي لأنني فكرتُ في ذلك، لكنني لم أستطع منع نفسي. الحقيقة هي، أنه لا يهم من الأجمل، أنا أم هي. فهو لم يكن يريدني على أي حال.

هبَّ جيرمايا واقفًا: «هل أنتِ صديقة لكون؟ أتعرفين إلى أين ذهب؟».

نظرَتْ إلينا بفضول، استطعتُ القول إنها استلطفت جيرمايا، لما رأيتُ طريقتها وهي تثني شعرها خلف أذنيها وتخلع نظارتها الشمسية.

- أمم، أجل. مرحبًا. أنا صوفيا. من أنت؟

- أخوه.

ذهب جيرمايا إليها وصافحها. وعلى الرغم من كونه متوترًا، فإنه أخذ متسعًا من الوقت لإلقاء نظرة متفحصة عليها، ومنحها إحدى ابتساماته المميزة المعهودة، التي قد ذابت فيها على الفور.

- أوه، واو. أنتما لا يشبه بعضكما بعضًا حتى؟

كانت صوفي واحدة من هؤلاء الناس الذين ينهون جملهم بعلامة استفهام. أستطيع أن أقول بالفعل إنني لو كنتُ أعرفها، لكرهتها.

قال جيرمايا: «أجل، كثيرًا ما سمعنا ذلك. هل أخبركِ كون بأي شيء يا صوفي؟».

لقد أحبَّتْ الطريقة التي نادى بها اسمها.

قالَتْ: «أعتقد أنه قال إنه ذاهب إلى الشاطئ، لركوب الأمواج أو شيء ما من هذا القبيل؟ إنه في غاية الجنون».

نظر إليَّ جيرمايا. الشاطئ. إنه في المنزل الصيفي.

عندما اتصل جيرمايا بوالده، جلستُ على حافة سرير كونراد وتظاهرتُ بعدم الإنصات. لقد أخبر السيد فيشر بأن كل شيء كان على ما يرام، وأن كونراد بأمان في كازينز. ولم يذكر له حتى أنني معه.

قال: «أبي، سأذهب وأحضره، إنه ليس بأمر كبير».

قال السيد فيشر شيئًا ما من جانبه.

فقال جيرمايا: «ولكن يا أبي...».

ثم نظر إليَّ وحرَّك شفتيه من دون أن يصدر صوتًا: *سأعود حالًا*. وتوجه إلى الردهة وأغلق الباب خلفه.

وبعد خروجه، استلقيتُ على سرير كونراد وحدقتُ إلى السقف. إذن، هذا هو المكان الذي كان ينام فيه كل ليلة. إنني أعرفه منذ بداية حياتي، لكن من بعض النواحي، كان ما يزال لغزًا غامضًا بالنسبة لي. أحجية.

نهضتُ من السرير وذهبتُ إلى مكتبه. وبحذر شديد، فتحتُ الدُّرج ووجدتُ علبة أقلام، وبعض الكتب، وورق. لطالما كان كونراد حريصًا على أغراضه. أقنعتُ نفسي بأنني لم أكن *أتجسس*. كنتُ أبحث عن دليل. إنني بيلي كونكلين، الفتاة المحقِّقة.

وجدتها في الدُّرج الثاني. علبة متجر تيفاني فيروزية اللون موضوعة في الخلف. ورغم أنني وأنا أفتحها كنتُ أعلم بأن ذلك خطأ، فإنني لم أستطع منع نفسي. كانت علبة جواهر صغيرة، وكانت ثمة قلادة داخلها، قلادة تحمل دلَّاية. أخرجتها وتركتها تتدلَّى من يدي. في البداية، اعتقدتُ أنها كانت علامة الرقم «8»، وأنه لربما كان يواعد فتاة تتزلج على الجليد.. وقررتُ أنني أكرهها، أيضًا. ثم أمعنتُ النظر أكثر. ووضعتُها في راحة يديَّ بشكل أفقي. لم تكن رقم «8».

كانت علامة إلى ما لا نهاية.

∞

وحينها عرفتُ. أنها لم تكن من أجل فتاة تتزلج على الجليد ولا صوفي التي تقبع غرفتها بنهاية الردهة. لقد كانت من أجلي. لقد اشتراها من أجلي. ها هو دليلي. دليل على أنه كان بالفعل يهتم لأمري.

كان كونراد بارعًا في الرياضيات. حسنًا، إنه بارع في كل شيء، لكنه كان حقًّا بارعًا في الرياضيات.

بعد أسابيع قليلة من بداية محادثاتنا في الهاتف، عندنا أصبح الأمر أكثر روتينية ولكن ليس أقل حماسًا أو إثارة، أخبرته بكل ما يتعلق بمدى كرهي لحساب المثلثات ومدى سوء أدائي فيه بالفعل. وقد شعرتُ بالذنب فور تطرقي لهذا الموضوع مباشرةً... فقد كنتُ أشكو من الرياضيات بينما كانت تعاني سوزانا السرطان. بدت مشكلاتي تافهة جدًّا وطفولية، فكيف تقارَن أمور المدرسة الثانوية بكل ما يمر به كونراد؟

قلتُ: «آسفة».

- على ماذا؟

- على الحديث عن درجاتي السيئة في حساب المثلثات بينما... (تلاشى صوتي للحظة.) بينما والدتك مريضة.

- لا تعتذري. يمكنك قول ما تريدين. (ثم سكت لبرهة.) و.. بيلي، إن حالة أمي تتحسن. لقد ازداد وزنها خمسة أرطال هذا الشهر.

ذلك الأمل في صوته، لقد أثر فيَّ لدرجة أنني كِدْتُ أبكي.

قلتُ: «أجل، سمعتُ ذلك من أمي أمس. ذلك خبر سار حقًّا».

- إذن، حسنًا.. ومن ثم.. هل علَّمكِ مُعلمك الـــ(SOH-CAH-TOA)؟ أم ليس بعد؟

ومنذ ذلك الحين، بدأ كونراد في مساعدتي في حساب المثلثات، عبر الهاتف. في البداية لم أكن أنتبه حقًّا، أحببتُ فقط أن أستمع إلى صوته، أن أستمع إليه وهو يشرح الأشياء. ولكنه كان سيختبرني بعد ذلك، وكرهتُ أن أخيِّبَ ظنَّه. هكذا بدأت جلساتنا التدريسية. ومن الطريقة التي كانت تبتسم أمي بها لي بتكلُّف عندما يرن جرس الهاتف في الليل، علمتُ أنها ظنَّت أننا نحظى بشكل من أشكال المحادثات الرومانسية، ولم أصحح لها ذلك.

كان من الأسهل ترك الأمر على هذا النحو. وقد منحني ذلك شعورًا جيدًا. أن يعتقد الناس بأننا حبيبان. سأعترف بهذا. لقد تركتهم يعتقدون ذلك. لقد أردتهم أن يعتقدوا ذلك. كنتُ أعلم أنه لم يكن صحيحًا، ليس بعد، لكنني

شعرتُ بأنه من الممكن أن يكون كذلك. يومًا ما. وفي تلك الأثناء، حظيتُ بمدرس رياضيات خصوصي وكنتُ قد بدأتُ حقًّا في فهم حساب المثلثات. كانت لدى كونراد طريقة لجعل الأشياء المستحيلة قابلة للتحقيق. لم أحبه أكثر من تلك الليالي المدرسية التي قضاها معي على الهاتف، وهو يشرح لي المسائل مرارًا وتكرارًا، حتى أفهمها، أخيرًا.

عاد جيرمايا إلى الغرفة، وأغلقتُ قبضتي حول القلادة قبل أن يتمكن من رؤيتها.

سألته قائلة: «ما الأخبار إذن؟ هل والدك غاضب؟ ماذا قال؟».

- لقد أراد الذهاب إلى كازينز بنفسه، لكنني أخبرته بأنني سأتولى أمر ذلك. ليس ثمة مجال لأن يستمع كونراد لكلام أبي الآن. لو جاء أبي، فسوف يزعجه ذلك أكثر. (جلس جيرمايا على السرير) إذن، أظننا سنذهب إلى كازينز هذا الصيف في نهاية المطاف.

وبمجرد أن قالها، أصبحَتْ حقيقة. أعني داخل رأسي. لم تعد رؤية كونراد شيئًا بعيد المنال؛ لقد أصبح الأمر قيد الحدوث. حينها، نسيتُ كل شيء بشأن خططي لإنقاذ كونراد، واندفعتُ قائلة: «ربما عليك فقط أن توصلني في الطريق».

حدَّق جيرمايا إليَّ وقال: «هل أنتِ جادة؟ لن أستطيع التعامل مع هذا وحدي. أنتِ لا تعرفين مدى سوء الوضع. منذ أن مرضت أمي في المرة الأخيرة، أصبح حال كونراد مخيفًا، إنه يدمر نفسه بنفسه، ولم يعد يأبه لأي شيء على الإطلاق. (توقف جيرمايا عن الكلام قليلًا ثم عاد يقول...) لكنني أعلم أنه ما يزال يهتم برأيك فيه».

لعقتُ شفتيَّ، شعرتُ بأنهما قد أصبحتا جافتين للغاية فجأة.

- لستُ متأكدة من ذلك.

- حسنًا، أنا متأكد. أعرف أخي. هلَّا أتيتِ معي من فضلك؟

عندما فكرتُ في آخر شيء قلته لكونراد، سيطر عليَّ الشعور المخزي الذي اندلع يحرقني من الداخل. يجب عدم قول ذلك النوع من الأشياء لشخص

قد توفيت والدته للتوِّ. يجب عدم فعل ذلك فحسب. كيف عساي أواجهه؟ إنني فقط لا أستطيع.

ثم قال جيرمايا: «سأعيدكِ في الوقت المناسب لحضور حفلة القارب خاصتك، إن كان هذا هو ما يقلقكِ بشدة».

لم يكن ذلك كلامًا يشبه جيرمايا، حتى إنه أخرجني فور سماعه من دوامة الخزي وحدَّقتُ إليه في غضب قائلة: «أتعتقد حقًّا أنني أهتم بحفلة قارب غبية بمناسبة الرابع من يوليو؟».

رمقني بنظرة.

- إنكِ بالفعل تحبين الألعاب النارية.

قلتُ: «فلتغلق فمك. (وحينما ابتسم لي أردفتُ قائلة..) حسنًا. لقد ربحتَ. سآتي».

- حسنٌ إذن.. (نهض) سأذهب لقضاء حاجتي قبل أن ننطلق. وآه، صحيح، يا بيلي؟

- نعم؟

ابتسم لي في تفاخر وقال: «كنتُ أعرف أنكِ ستستسلمين. لم يكن لديكِ فرصة على الإطلاق».

ألقيتُ عليه وسادة، لكنه تفاداها، وقام بحركة احتفالية صغيرة احتفالًا بانتصاره عند الباب.

- فلتسرع وتذهب للتبول، أيها الأحمق.

ولما ذهب، ارتديتُ القلادة، من تحت التانك-توب الذي كنتُ أرتديه. لقد تركَتْ علامة إلى ما لا نهاية صغيرة مطبوعة في يدي. لقد كنتُ محكِمةً قبضتي عليها بشدة.

لماذا فعلتُ ذلك؟ لماذا ارتديتُها؟ لماذا لم أضعها في جيبي أو أتركها في العلبة؟ لا أستطيع حتى تفسير ذلك. كل ما كنتُ أعرفه هو، أنني حقًّا أردتُ ارتداءها. شعرتُ بأنها تنتمي إليَّ.

الفصل الخامس عشر

قبل أن نتوجه إلى السيارة، أخذتُ كتب كونراد ودفاتره وحاسوبه المحمول وحشوت كل ذلك بقدر الإمكان داخل حقيبة الظهر من ماركة «ذا نورث فيس» (The North Face) التي وجدتها في خزانة ملابسه.

قلتُ وأنا أسلِّم لجيرمايا الحاسوب المحمول: «هكذا سيكون قادرًا على الدراسة من أجل اختبارات نصف الفصل الدراسي تلك التي يوم الاثنين».

غمز لي وقال: «أحب طريقتكِ في التفكير، يا بيلي كونكلين».

وفي الطريق للخارج، توقفنا عند غرفة آري، مشرف السكن. كان بابه مفتوحًا ووجدناه جالسًا إلى مكتبه. أطلَّ جيرمايا برأسه إلى الداخل، وقال: «مرحبًا آري. أنا شقيق كونراد، جيرمايا. لقد عثرنا على كونراد. أشكرك لتنبيهي يا رجل».

فابتسم له آري قائلًا: «عفوًا. لا عليك».

كان جيرمايا يكوِّن صداقات أينما ذهب. إن الجميع يرغب في أن يكون صديقًا لجيرمايا فيشر.

ومن ثم انطلقنا في طريقنا. متجهين مباشرة إلى كازينز، ونُقطة. قُدنا والنوافذ مفتوحة، وصوت الراديو عالٍ.

لم نتحدث كثيرًا، لكنني هذه المرة، لم أنزعج. أعتقد أن كلينا كان منشغلًا جدًّا بالتفكير. شخصيًّا، كنتُ أفكر في آخر مرة سلكتُ فيها هذا الطريق. الفارق الوحيد أنني حينها لم أكن مع جيرمايا، كنتُ مع كونراد.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل السادس عشر

لقد كانت، وبلا شك، واحدة من أفضل ليالي حياتي. تمامًا كليلة رأس السنة التي قضيناها في منتجع عالم ديزني الترفيهي. عندما كان والداي ما يزالان متزوجين، وكنتُ في التاسعة من عمري. حينها شاهدنا صاروخ الألعاب النارية فوق قصر سندريلا بالضبط، ولم يتذمَّر ستيفن كعادته.

عندما اتصل، لم أتعرف على صوته، جزئيًّا لأنني لم أتوقع سماعه، وجزئيًّا لأنني كنتُ ما زلت نصف نائمة.

قال: «أنا في سيارتي، في طريقي إلى منزلك. هل يمكنني رؤيتك؟».

كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل. وتبعدُ بوسطن مسافة خمس ساعات ونصف. لقد قاد سيارته طوال الليل، لأنه أراد رؤيتي.

أخبرته أن يركن سيارته في آخر الشارع، وأنني سألقاه عند الناصية، بعدما تأوي أمي إلى الفراش. وقال إنه سينتظر.

أطفأتُ الأنوار وانتظرتُ بجوار النافذة، وأنا أراقب المصابيح الخلفية للسيارات في ترقُّب، وفور رؤيتي لسيارته، أردتُ أن أركض إلى الخارج، لكن كان عليَّ الانتظار. كان بإمكاني سماع صوت حركة أمي في غرفتها وعرفتُ بأنها ستقرأ في السرير لمدة نصف ساعة على الأقل قبل أن تغفو. بدا الأمر وكأنه تعذيب، بعلمي بأنه ينتظرني بالخارج، وألا أكون قادرة على الذهاب إليه. إنها فكرة جنونية، لأننا كنا في فصل الشتاء، وسيكون الجو باردًا حد الصقيع في كازينز. ولكن عندما اقترحها، بدت جنونية على نحو رائع.

في الظلام ارتديتُ وشاحي وطاقيتي اللذين غزلتهما لي نانَّا من أجل عيد الميلاد. ثم أغلقتُ باب غرفتي ومشيتُ على أطراف أصابعي على طول الطُّرقة المؤدية إلى غرفة أمي، ووضعتُ أذني على الباب. كان الضوء مطفأً. وتمكنتُ من سماع صوت شخيرها الناعم. وحتى ستيفن لم يكن قد عاد إلى المنزل في ذلك الحين، وهذا من حسن حظي. لأن نومه خفيفٌ تمامًا مثل أبينا.

لقد غفت أمي أخيرًا، والبيت هادئ وساكن. كانت شجرة الميلاد خاصتنا ما تزال موضوعة. كنا نترك أنوارها مضاءة طوال الليل لأنها تجعلنا نستشعر أجواء عيد الميلاد، وكأنه في أي لحظة، يمكن لـ«سانتا» أن يظهر ومعه الهدايا. لم أكلف نفسي عناء ترك رسالة لها. سأتصل بها في الصباح، عندما تستيقظ وتتساءل أين أنا.

تسللتُ نزولًا على الدَّرَج، وتوخَّيتُ الحذر من السُّلَّمة التي تُصْدِر صريرًا في منتصفه، لكن بمجرد خروجي من المنزل، طرتُ نزولًا على الدرجات الأمامية، وعبر العشب المتجمِّد. كان يُجرَشُ تحت نعلَيْ حذائي الرياضي. نسيتُ أن أرتدي معطفي. لقد تذكرتُ الوشاح والطاقية، لكنني لم أتذكر المعطف.

وجدتُ سيارته على الناصية، بالضبط حيث كانت من المفترض أن تكون. بدت السيارة معتمة، لم تكن ثمة أنوار مضاءة، وفتحتُ باب مقعد الراكب الأمامي كما لو أنني قد فعلتُ ذلك مليون مرة من قبل.

أحنيتُ رأسي إلى الداخل، لكنني كنتُ ما زلتُ لم أدخل بعد. أردتُ أن أنظر إليه أولًا. كان يتوجَّب عليَّ ذلك. إنه الشتاء، وكان يرتدي الصوف الرمادي. بدت وجنتاه ورديتي اللون، وقد تلاشت سمرة بشرته الصيفية، لكنه كان ما يزال يبدو كما هو.

قلتُ: «مرحبًا».

ثم ركبتُ.

قال: «إنكِ لا ترتدين معطفًا!».

فقلتُ: «الجو ليس باردًا لتلك الدرجة».

على الرغم من أن هذا لم يكن صحيحًا، وعلى الرغم من أنني كنتُ أرتجف وأنا أنطق بكل كلمة.

فخلع كنزته الصوفية وسلَّمها لي قائلًا: «هاك، خذي».

ارتديتُها. كانت دافئة وغير معبَّأة برائحة السجائر، تبدو معبأة برائحته فحسب. إذن فقد أقلع كونراد عن التدخين في نهاية المطاف. ابتسمتُ تلقائيًّا لمرور تلك الفكرة بخاطري.

قلتُ له وهو يديرُ المُحَرِّك: «لا أصدق أنكَ هنا بحق».

بدا خَجِلًا بعض الشيء وهو يقول: «ولا أنا. (ثم تردد قليلًا) أما زلتِ آتية معي؟».

لم أصدق أنه كان عليه أن يسألني أصلًا. سأرافقه إلى أي مكان.

أجبته قائلة: «أجل».

شعرتُ بأنه لم يكن ثمة شيء خارج حدود تلك الكلمة، وتلك اللحظة. لم يكن هناك سوانا. إن كل ما حدث في الصيف الماضي، وفي كل صيف قبْلَه، قد أدى إلى هذا، وإلى الآن.

بدا الجلوس بجانبه في مقعد الراكب الأمامي وكأنه هدية خرافية. شعرتُ أنها كانت أفضل هدية لعيد الميلاد في حياتي. لأنه كان يبتَسِم لي، وهو ليس

في مزاج كئيب، ولا يتعامل برسميَّة، ولا حزين، ولا أي شيء آخر من تلك الصفات التي عادةً ما كنتُ أصف بها كونراد. لقد كان خفيف الروح، كان مفعمًا بالحيوية والحماس، كان في أفضل صورة رأيته عليها يومًا.

أخبرني وهو ينظر إلي بطرف عينه قائلًا: «أعتقد أنني سأصبح طبيبًا».

- حقًّا؟ مذهل.

- الطب مجال رائع حقًّا. لفترة من الوقت، اعتقدتُ أنني أرغب في أن أكرس جهودي في البحث العلمي فيه، لكنني أظن الآن أنني أفضِّل العمل مع أشخاص فعليين من لحم ودم.

ترددتُ، ومن ثم قلتُ: «من أجل والدتك؟».

فأومأ قائلًا: «إنها تتحسَّن، كما تعلمين. الطب يجعل ذلك ممكنًا. إنها تستجيب بشكل جيد للعلاج الجديد. هل أخبرتكِ والدتك؟».

قلتُ: «أجل، لقد فعلَتْ».

على الرغم من أنها لم تفعل شيئًا كهذا. ربما لم ترغب في رفع آمالي. بل لعلها لم ترغب في رفع آمالها هي. إن طبع أمي هكذا. لم تكن تسمح لنفسها أن تتحمس لشيء ما حتى تتيقن من كونه أكيدًا. ولكن ليس أنا. لقد شعرتُ بالفعل بأنني أكثر خفة، وأكثر سعادة. فقد كانت سوزانا تتحسن. وكنتُ مع كونراد. لقد كان كل شيء يحدث بالطريقة التي كان من المفترض أن يحدث بها.

ملتُ نحوه وضغطتُ على ذراعه قائلة: «هذا أفضل خبر على الإطلاق».

وكنتُ أعني ذلك حقًّا.

ابتسم لي، وقد كان مكتوبًا على وجهه بأكمله: الأمل.

عندما وصلنا إلى المنزل، كان البرد قارسًا. رفعنا درجة حرارة مكيف الهواء وأشعل كونراد نارًا. راقبته وهو يجلس القرفصاء ويمزق قطعًا من الورق وينكز الحطب برفق. أراهن على أنه كان رفيقًا بكلبه، «بوجي». أراهن

أيضًا أنه قد اعتاد السماح لبوجي بالنوم في السرير معه. وفجأة، أصابني التفكيرِ في الأسِرَّة والنوم بالتوتر. لكن ما كان يجب عليَّ أن أكون كذلك، لأنه بعدما أشعل النار، جلس على كرسي الاسترخاء (the La-z-boy) وليس على الأريكة إلى جواري. خطرت لي تلك الفكرة فجأة: لقد كان مُتوترًا أيضًا. كونراد الذي لم يتوتر من قبل. مُطلقًا.

سألته وقد كان بإمكاني سماع خفقان قلبي في أذنيَّ: «لماذا تجلس بعيدًا هناك؟».

لم أصدق أنني تحليتُ بالشجاعة الكافية لقول ما كنتُ أفكر فيه.

بدا كونراد متفاجئًا أيضًا، وجاء وجلس بجانبي. اقتربتُ منه. أردتُه أن يطوقني بذراعيه. أردتُ فعل كل الأشياء التي لم أرها إلا على شاشة التلفاز، وسمعتُ تايلور تتحدث عنها. حسنًا، ربما ليس كل الأشياء، لكن بعضًا منها على الأقل.

بصوت خفيض، قال كونراد: «لا أريدكِ أن تخافي».

فهمستُ قائلة: «لستُ كذلك».

رغم أنني كنتُ خائفة. ليس خوفًا منه، بل خوفًا من كل ما شعرتُ به. ففي بعض الأحيان يكون حجم شعور المرء أكبر من اللازم. إن شعوري تجاهه كان أكبر من العالم برُمَّتِه. أكبر من أي شيء.

أخذَ نَفَسًا وقال: «جَيِّد».

وبعد ذلك بدأ في تقبيلي. قُبْلَة طويلة وبطيئة، وعلى الرغم من أننا قد تبادلنا القبلات مرة واحدة من قبل، لم أتوقع قط أنها ستكون بهذا الشكل. لقد أخذ ونته؛ مرر يده على طول الجزء السفلي من شعري، بالطريقة التي تداعب بها نسمات الهواء أجراس الرياح المُعَلَّقة.

إن تقبيله، وكوني معه بهذا الشكل... كان أشبه بعصير ليمون بارد مع شفَّاطة طويلة، مذاقه حلو ومضبوط وممتع بطريقة تبدو غير متناهية. كان كل ما يجول في خاطري هو أنني لا أريده أن يتوقف عن تقبيلي أبدًا. يمكنني *أن أظل أفعل هذا إلى الأبد.*

تبادلنا القبلات على الأريكة لمدة من الممكن أن تكون ساعات أو دقائق. كل ما فعلناه في تلك الليلة كان القُبَل. لقد كان حذرًا، في الطريقة التي لمسني بها، كما لو كنتُ حُلية عيد الميلاد التي يخشى أن يكسرها.

وبمجرد أن همس قائلًا: «هل أنتِ على ما يرام؟».

رفعتُ يدي إلى صدره واستطعتُ الشعور بقلبه يخفق بقوة خفقان قلبي نفسها. اختلستُ نظرة خاطفة إليه، ولسبب ما، سرَّتني رؤية عينيه مغمضتين. كانت رموشه أطول من رموشي.

لقد غفا في النوم أولًا. وكنتُ قد سمعتُ شيئًا ما ذات مرة يحذر من أنه لا ينبغي لك أن تنام والنار ما تزال موقدة، لذا انتظرتها حتى تنطفئ. أخذتُ أراقب كونراد وهو نائم لفترة من الوقت. بدا وكأنه ولد صغير، وقد سقطت خصلات من شعره على جبهته ولامست رموشه خديه. لم أذكر أنني رأيته يبدو صغيرًا بتلك الدرجة من قبل. عندما صرتُ متأكدة من أنه قد استغرق في النوم، انحنيتُ وهمستُ في أذنه قائلة: «كونراد. لا يوجد سواك. بالنسبة لي، لم يكن قط ثمة سواك».

فزِعَتْ أمي عندما لم تجدني في المنزل ذلك الصباح. لقد فاتتني مكالمتان منها لأنني كنتُ نائمة. وحينما اتصلَتْ في المرة الثالثة، قلتُ، في غضب: «ألم تقرئي رسالتي؟».

ثم تذكرتُ أنني لم أترك رسالة.

زمجرَتْ فعليًّا، وقالت: «كلا، لم أر أي رسالة. لا تغادري مرة أخرى في منتصف الليل أبدًا من دون أن تخبريني يا بيلي».

فقلتُ مازحة: «حتى لو كنتُ فقط ذاهبة للتمشية في منتصف الليل؟ (كانت قدرتي على إضحاك أمي شيئًا مؤكدًا. كنتُ أقول نكتة فيتبخر غضبها. وبدأتُ في غناء أغنيتها المفضلة لـ «باتسي كلاين» (Patsy Cline) ... أخرج للتمشية.. بعد منتصف الليل.. تحت ضوء القمر...[1]».

(1) من أغنية (Walkin' After Midnight) 1957.

- غير مضحك. أين أنتِ؟

كانت نبرتها عصبية وحادة. ترددتُ في الإجابة. لم يكن هنالك شيء تكرهه أمي أكثر من الشخص الكذَّاب. وكانت ستكتشف الحقيقة على أي حال. وكأنها وسيط روحاني.

- امم. كازينز؟

سمعتها تأخذ نَفَسًا.

- مع مَن؟

نظرتُ إليه. كان يستمع باهتمام. وتمنيتُ لو لم يكن كذلك.

قلتُ وقد خفضتُ من صوتي: «كونراد».

فاجأني رد فعلها. سمعتها تأخذ نَفَسًا آخر، لكن هذه المرة كان مع تنهيدة صغيرة، كتنهيدة ارتياح.

- أنتِ مع كونراد؟

- أجل.

- كيف حاله؟

كان سؤالًا غريبًا، وبخاصة في خضم غضبها مني.

ابتسمتُ له، وقد روَّحتُ وجهي كما لو قد شعرتُ بالطمأنة. وغمز لي بعينه.

قلتُ وكنتُ قد بدأت أسترخي: «في أفضل حال».

قالت: «جيِّد. جيِّد. (ولكنها بدت وكأنها تحدِّثُ نفسها وهي تقول ذلك) بيلي، أريدكِ في المنزل الليلة. هل هذا واضح؟».

فقلتُ: «أجل».

كنتُ ممتنة. ظننتُ أنها ستطالبنا بالمغادرة على الفور.

- أخبري كونراد بأن يقود بحذر. (ثم سكتت لوهلة) و.. بيلي؟

- نعم يا لوريل؟

لطالما كانت تبتسم عندما أناديها باسمها الأول.

- استمتعي. فسوف يكون هذا آخر يوم ممتع لكِ لفترة طويلة، طويلة جدًّا.

تأوهتُ قائلة: «هل أنا معاقبة؟».

أن أكون معاقبة لهو أمر جديد. لم تعاقبني أمي قط، لكنني أيضًا أعتقد بأنني لم أعطها سببًا لتفعل ذلك.

- هذا سؤال غاية في الغباء.

والآن بما أنها لم تعد غاضبة، لم أستطع مقاومة قول الآتي...

- ظننتُكِ كنتِ تقولين بأنه ليس ثمة أسئلة غبية؟

أغلقَتْ الهاتف. كنت أعرف أنني قد جعلتها تبتسم. أغلقتُ هاتفي ونظرتُ إلى كونراد قائلة: «ماذا سنفعل الآن؟».

- أيًّا كان ما نريده.

- أريدُ الذهاب إلى الشاطئ.

إذن، كان هذا ما فعلناه. ثقَّلنا ملابسنا وركضنا على الشاطئ بأحذية المطر التي وجدناها في غرفة الوحل. انتعلت حذاء المطر الخاص بسوزانا، وكان مقاسه كبيرًا جدًّا، وظلت ساقاي تنزلقان في الرمال. لقد وقعتُ على مؤخرتي مرتين. رافقتني ضحكاتي طوال الوقت، لكنني بالكاد كنتُ أسمعها لأن صوت الريح كان عاليًا جدًّا. عندما عدنا إلى الداخل، وضعت يديَّ المتجمدتين على خديه، وبدلًا من دفعهما بعيدًا قال: «آاه، شعور رائع».

ضحكتُ وقلتُ: «هذا لأنك بارد القلب».

وضع يديَّ في جيبي معطفه وقال بصوت خافت لدرجة أنني أتساءل ما إذا كنتُ قد سمعته بشكل صحيح: «مع الآخرين، ربما. ولكن ليس معكِ».

لم ينظر إليَّ حين قالها، وهكذا عرفتُ أنه كان يعنيها.

لم أكن أعرف ماذا أقول، لذا بدلًا من ذلك، شببتُ على أطراف أصابع قدميَّ وطبعتُ قُبلةً على خده. وشعرتُ به باردًا وناعمًا على شفتيَّ.

ابتسم كونراد ابتسامة وجيزة ثم بدأ يسير مبتعدًا.

سألني وظهره مُدارٌ لي: «هل أنتِ بردانة؟».

قلتُ: «نوعًا ما».

كنتُ أحمر خجلًا.

فقال: «سأشعل نارًا أخرى».

وبينما كان يعمل على إشعال النار، وجدتُ عُلبة قديمة من مسحوق مشروب الشوكولاتة الساخنة من نوع «سويس مِس» (Swiss Miss) في الخزانة، بجانب شاي «توينينجز» (Twinings) والقهوة الخاصة بأمي. لطالما اعتادت سوزانا أن تُحَضِّر لنا مشروب الشكوكولاتة الساخنة في الليالي الممطرة، عندما يكون الجو باردًا. كانت تستخدم الحليب في تحضيره، لكن بالطبع لا يوجد أي حليب الآن، لذا استخدمتُ الماء.

عندما جلستُ على الأريكة وبدأتُ أقَلِّب المشروب بداخل كوبي، وشاهدتُ حبَّات حلوى المارشميللو الصغيرة تذوب داخله، كان بإمكاني الشعور بضربات قلبي، وكأنه، يخفق مليون مرة في الدقيقة. عندما أكون معه، لا أستطيع التقاط أنفاسي.

لم يتوقف كونراد عن التحرك في الأرجاء. كان يمزق قطعًا من الورق، وينكز الجمر، ويجلس القرفصاء أمام المدفأة، مؤرجحًا وزنه للأمام والخلف.

سألته قائلة: «أترغب في شُرْب الكاكاو؟».

فالتفت إليَّ خلفه وأجاب: «حسنًا، بالطبع».

جلس بجانبي على الأريكة وشرب من الكوب الذي يحمل تصميم «عائلة سيمبسون» (Simpsons). لطالما كان المفضل لديه.

- إن مذاقه...

- رائع؟

- مُترَّب.

نظر بعضنا إلى بعض وضحكنا.

قلتُ وأنا آخذ رشفتي الأولى: «لمعلوماتك، الكاكاو هو اختصاصي. وعلى الرحب والسعة».

وبالفعل كان مذاقه مُتربًا قليلًا. حدق إليَّ ورفع وجهي لأعلى. ثم مد يده وفرك خدي بإبهامه كما لو كان يمسح عنه سخامًا.

سألتُ فجأةً في ريبة: «هل لديَّ مسحوق كاكاو على وجهي؟».

قال: «كلا. فقط بعض من الأوساخ... أوبس، أقصد النمش».

ضحكتُ وضربته على ذراعه، ومن ثم أمسك بيدي وجذبني إليه. أزاح شعري عن عينيَّ، وقلقتُ من أن يكون بإمكانه سماع الطريقة التي لفظتُ بها أنفاسي عندما لمسني. كان الليل قد بدأ يخيم بالخارج، والجو يزداد ظلمة أكثر فأكثر. تنهد كونراد وقال: «من الأفضل أن أعيدَكِ إلى منزلك».

نظرتُ إلى ساعتي. كانت تشير إلى الساعة الخامسة.

- أجل... أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب.

لم يتحرك أي منا. مدَّ يده ولفَّ شعري حول أصابعه كبكرة من خيوط الغزْل.

قال: «أحب نعومة شعركِ».

همستُ قائلة: «شكرًا».

لم أفكر في شعري من قبل على أنه شيء مميز. كان مجرد شعر. وهو بُني اللون، والشعر البُني ليس مميزًا كالأشقر أو الأسود أو الأحمر. ولكن من الطريقة التي نظر بها إليه... إليَّ. وكأنه يحمل نوعًا ما من السحر بالنسبة إليه، وكأنه لن يملَّ من لمسه أبدًا.

تبادلنا قبلة أخرى، لكنها كانت مختلفة عن الليلة السابقة. لم يكن ثمة شيء بطيء أو متكاسل بشأنها. فتلك الطريقة التي نظر بها إلي.. كيف كانت مُلِحَّة، ملأى بالرغبة في، والحاجة إليَّ... كانت كالمخدر. كانت وكأنها تصرخ قائلة: ـرغبة - رغبة - رغبة. ولكنني كنتُ أنا مَن اتَّقَدَ بالرغبة في المقام الأول.

عندما جذبته إليَّ أكثر، عندما وضعتُ يدي على ظهره من تحت قميصه، ارتجف لثانية.

فسألته قائلة: «هل يداي باردتان للغاية؟».

قال: «كلا. (ثم تركني ونهض واعتدل في جلسته. كان وجهه أحمر نوعًا ما، وشعره مُلبَّدًا من الخلف، وأردف..) لا أريد التعجُّل في شيء».

نهضتُ في جلستي أنا الأخرى.

- ولكنني اعتقدتُ أنك بالفعل قد...

لم أعرف كيف أنهي الجُملة. إن الأمر محرج للغاية. لم يسبق لي أن فعلتُ ذلك من قبل.

ازداد وجه كونراد احمرارًا. وقال: «أجل، أعني، لقد فعلتُ ذلك من قبل. ولكن أنتِ فلا».

قلتُ وأنا أنظر إلى جوربي: «أوه، (ثم رفعتُ نظري) وكيف تعرف بأنني لم أفعل؟».

والآن وقد أصبح يبدو أحمر كالبنجر، قال متلعثمًا: «اعتقدتُ فقط أنكِ لم تفعلي.. أقصد.. لقد افترضتُ ذلك فحسب».

- إنك تعتقد بأنني لم أفعل أيًّا من ذلك من قبل، صحيح؟

- حسنًا، أجل. أقصد، لا.

قلتُ: «لا ينبغي لك وضع افتراضات من هذا القبيل».

فقال: «أنا آسف. (ثم تردد قبل أن يردف قائلًا...) إذن... هل فعلتِ؟».

نظرتُ إليه فحسب.

ولما فتح فمه ليتحدث، أوقفته.

قلتُ: «لم أفعل. ولا حتى من قريب».

ثم ملتُ إلى الأمام وطبعتُ قُبلةً على خده. شعرتُ وكأنه امتياز، مجرد أن أكون قادرة على القيام بذلك، أن أقبِّله متى أردتُ.

همستُ -وقد شعرتُ بسعادة بالغة وامتنان لكوني هنا، في تلك اللحظة- قائلة: «أنتَ حقًّا لطيف معي».

بدت عيناه مُظلِمَتين وجادتين عندما قال: «إنني فقط.. أريد دائمًا أن أتأكد من كونكِ بخير. إنه أمر مهم بالنسبة لي».

قلتُ: «أنا بخير. أنا أكثر من كوني بخير».

أومأ كونراد وقال: «عظيم. (وقف ومدَّ لي يده لمساعدتي على النهوض) دعينا نعيدكِ إلى المنزل إذًا».

لم أعد إلى المنزل في تلك الليلة حتى جاوز الوقت منتصف الليل. توقفنا وتناولنا العشاء في مطعم على الطريق السريع. طلبتُ شطائر الـ«بان كيك» (pancakes) والبطاطس المقلية، تولَّى هو أمر الدفع. وعندما وصلتُ إلى المنزل، وجدتُ أمي غاضبة للغاية. غير أنني لم أندم على ذلك. لم أندم على ذلك قط، ولا لثانية واحدة. وكيف تندم على واحدة من أفضل ليالي حياتك؟ لا مجال للندم. إنك تتذكر كل كلمة، وكل نظرة. حتى وإن كانت تؤلمك، ستظل تتذكر.

الفصل السابع عشر

قُدنا السيارة عبر المدينة، مرورًا بجميع الأماكن القديمة؛ ملعب الجولف المصغر، ومطعم المأكولات البحرية. لقد قاد جيرمايا بأسرع ما يمكنه، وهو يُصَفِّر. تمنيتُ لو أن بإمكانه أن يُبطئ السرعة، أن يجعل تلك الجولة تستمر إلى الأبد. ولكنها لن تستمر إلى الأبد، بالتأكيد. فقد كنا على وشك الوصول.

مددتُ يدي في حقيبتي وأخرجتُ عبوة صغيرة من ملمع الشفاه. وضعتُ بعضًا منه على شفتيَّ وخلخلتُ أصابعي بين خصلات شعري. كان مُلبَّكًا بالكامل لأننا أبقينا النوافذ مفتوحة، وبدا مظهره فوضويًّا بشكل يرثى له. كان بإمكاني الشعور بعينين جيرمايا تنظران إليَّ. على الأرجح أنه كان يهز رأسه ويقول في باله كم أنني فتاة بلهاء. أعرف، أردتُ أن أقول له ذلك، أعرف أنني فتاة بلهاء. إنني لستُ أفضل من تايلور. ولكني لا يمكنني الدخول ورؤية كونراد بشعر أشعث.

عندما رأيتُ سيارته أمام المنزل، كان بإمكاني الشعور بقلبي ينقبض. إنه بالداخل. وكالطلقة، خرج جيرمايا من السيارة متوجهًا إلى البيت. صعد الدرج متخذًا سلَّمتين في كل خطوة، وقد لحقتُ به.

كان الأمر غريبًا؛ فرائحة المنزل ما تزال هي نفسها. لسبب ما، لم أكن أتوقع ذلك. ربما مع رحيل سوزانا، اعتقدتُ أن كل شيء سيبدو مختلفًا. ولكن شيئًا لم يختلف. كدت أتوقع رؤيتها تحوم في الأرجاء مرتدية أحد فساتينها المنزلية، تنتظرنا في المطبخ.

في واقع الأمر، كانت لدى كونراد الجرأة ليبدو منزعجًا حين رآنا. لقد عاد للتو من ركوب الأمواج؛ فقد كان شعره مبللًا وما يزال يرتدي ثوب سباحته. انتابتني حالة من الذهول، فعلى الرغم من أنه لم يمر إلا شهران فحسب، بدا الأمر وكأنني أرى شبحًا. شبح الحب الأول القديم. حدَّقت عيناه إليَّ لنحو ثانية واحدة قبل أن يلتفت إلى جيرمايا.

سأله قائلًا: «ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟».

فقال جيرمايا: «أنا هنا لآخذك وأعيدك إلى الجامعة. (وأستطيع القول إنه كان يبذل جهدًا كبيرًا ليبدو هادئًا ومسترخيًا) لقد أخفقتَ حقًّا يا رجل. كاد أبي يفقد عقله».

لوَّح له كونراد ليتركه وشأنه، وقال: «قل له أن يذهب ليفعل ما يحلو له. أنا باقٍ هنا».

- كون، لقد فاتتك محاضرتان وامتحانات نصف الفصل الدراسي خاصتك ستبدأ يوم الاثنين. لا يمكنك الانسحاب فحسب. سوف يطردونك من برنامج الدراسة الصيفية.

- تلك مشكلتي أنا. وما الذي تفعله هي هنا؟

لم ينظر إليَّ عندما قال ذلك، وشعرتُ وكأنه قد طعنني في صدري.

بدأتُ أتراجع بعيدًا عنهما، نحو البابين الزجاجيين الجرَّارين. كنتُ أجد صعوبة في التقاط أنفاسي.

قال جيرمايا: «أحضرتُها معي لتساعدني. (ثم نظر إليَّ وأخذ نَفَسًا...) انظر، لقد أحضرنا كتبك وكل لوازمك. يمكنك المذاكرة الليلة وغدًا وبعد ذلك يمكننا التوجه إلى الجامعة».

قال كونراد وهو يمشي متجهًا إلى الأريكة: «سحقًا لذلك».

نزع الجزء العلوي من بدلة سباحته. كانت كتفاه قد بدأتا تكتسبان سُمْرَة من الشمس بالفعل. جلس على الأريكة، رغم أنه كان ما يزال مبتلًّا.

سأله جيرمايا بصوت بالكاد بدا محافظًا على ثباته: «ما مشكلتك؟».

- الآن، هذه هي مشكلتي. أنت وهي. هنا. (ولأول مرة منذ وصولنا، نظر كونراد إلى عينيَّ...) لماذا تريدين مساعدتي؟ لماذا أنتِ هنا أصلًا؟

فتحتُ فمي لأتكلم، بيد أن كلمة لم تخرج. وتمامًا كما هو الحال دائمًا، يمكنه تدميري بنظرة، بكلمة.

بصبر، انتظر مني أن أقول شيئًا، وعندما لم أفعل، قال هو: «اعتقدتُ أنكِ لا ترغبين في رؤيتي أبدًا مرة أخرى. أنتِ تكرهينني، أتذكرين؟».

كانت نبرته ساخرة، ومُستَخِفَّة.

قلتُ: «أنا لا أكرهك».

ثم هربتُ. دفعتُ الباب الجرار وخرجتُ إلى الشُّرفة. أغلقتُ الباب خلفي وركضتُ على الدَّرَج، نزولًا إلى الشاطئ.

كنتُ بحاجة إلى أن أكون على الشاطئ فحسب. سيجعلني الشاطئ أشعر بتحسن. فلا شيء، لا شيء كان أفضل من إحساسي بالرمال تحت قدميَّ. كانت راسخة ومراوغة، ثابتة ودائمة التغير في الوقت نفسه. إنه الصيف.

جلستُ على الرمال وشاهدتُ الأمواج وهي تركض نحو الشاطئ ثم تتمدد كطبقة رقيقة من الكريمة البيضاء فوق كعكة. إن المجيء إلى هنا كان خطأ. لا شيء أستطيع قوله أو فعله من شأنه أن يمحو الماضي. يالها من طريقة التي قال بها «هي»، بذلك الازدراء. إنه لم ينادني باسمي حتى.

بعد فترة، عدتُ إلى المنزل. وجدتُ جيرمايا في المطبخ وحده. ولم أجد كونراد في أي مكان على مرمى البصر.

قال: «حسنًا، لقد سارت الأمور على ما يرام».

- ما كان يجب أن آتي مطلقًا.

تجاهلني جيرمايا وقال: «بنسبة عشرة إلى واحد سنجد أن الشيء الوحيد الذي لديه في الثلاجة هو البيرة. هل من مراهن؟».

كان يحاول إضحاكي، لكنه لم ينجح في ذلك.

- فقط الأحمق هو مَن يقبل هذا الرهان.

عضضتُ شفتي. كنتُ حقًّا، حقًّا لا أرغب في البكاء.

قال جيرمايا: «لا تدعيه يؤثر فيكِ».

شدَّ شعري المرفوع على هيئة ذيل حصان ولفَّه حول معصمه كالثعبان.

- ليس بيدي حيلة.

تلك الطريقة التي نظر بها إلي.. وكأنني لا أعني شيئًا بالنسبة إليه، بل أقل من اللاشيء.

قال جيرمايا: «إنه أحمق؛ هو لا يعني أي شيء مما يقوله. (ثم وكزني بمرفقه...) هل أنتِ نادمة على مجيئكِ؟».

- أجل.

ابتسم لي جيرمايا ابتسامة على جانب فمه وقال: «حسنًا، أنا لستُ كذلك. إنني سعيد لأنكِ جئتِ. سعيد لأنني لن أتعامل مع هرائه بمفردي».

ولأنه كان يحاول، حاولتُ أنا كذلك. فتحتُ الثلَّاجة كما لو أنني واحدة من هؤلاء النساء اللواتي يشاركن في برنامج المسابقات التلفزيوني «السعر الصحيح» (The Price Is Right)، النساء اللائي يرتدين فساتين السهرة والأحذية ذات الكعوب العالية المرصعة بالجواهر.

قلتُ: «تا-دااا».

كان مُحِقًّا، إن الشيء الوحيد الذي وجدته بالداخل كان عُلبَتين من البيرة من نوع «آيس هاوس» (Icehouse). كانت سوزانا ستفقد أعصابها لو كان بإمكانها رؤية ما أصبح عليه حال ثلَّاجة «صب-زيرو» (Sub-Zero) خاصتها.

سألته قائلة: «ماذا سنفعل؟».

نظر من النافذة، إلى الشاطئ، وقال: «على الأرجح أننا سنضطر إلى البقاء هنا الليلة. سأبذل جهدي معه؛ وسوف يأتي. إنني فقط بحاجة إلى

بعض الوقت. (سكت لبرهة) إذن ما رأيكِ بهذا. لماذا لا تذهبين لإحضار بعض الطعام من أجل العشاء، وسأبقى أنا هنا وأتحدث مع كون».

كنتُ أعلم أن جيرمايا كان يحاول التخلص مني، وقد أسعدني ذلك. فقد كنتُ بحاجة إلى الخروج من ذلك المنزل، والابتعاد عن كونراد.

سألته: «ما رأيك بلفائف محشوَّة بالبطلينوس على العَشاء؟».

أومأ جيرمايا، واستطعتُ القول بأنه قد شعر بالارتياح.

- يبدو هذا جيدًا. كما تشائين.

بدأ في إخراج محفظته، لكنني أوقفته.

- لا بأس.

فهزَّ رأسه قائلًا وهو يعطيني ورقتين مجعدتين من فئة عشرين دولارًا ومفاتيحه: «لا أريدكِ أن تنفقي من مالكِ الخاص. يكفي أنكِ قطعتِ كل هذه المسافة من أجل المساعدة».

- لقد أردتُ فعل ذلك.

قال: «هذا لأنكِ إنسانة طيبة وأردتِ حقًّا مساعدة كون».

فقلتُ له: «وأردتُ مساعدتك، أيضًا. أعني، ما زلتُ أرغب في ذلك. يجب عليك عدم التعامل مع هذا بمفردك».

وللحظة واحدة وجيزة، لم يكن يشبه نفسه. كان يشبه أباه.

- ومن غيري سيفعل؟

ومن ثم ابتسم لي، وقد عاد جيرمايا ثانية. ولد سوزانا، ونور شمسها وابتساماتها. ملاكها الصغير.

لقد تعلمتُ قيادة السيارات ذات ناقل السرعات اليدوي على سيارة جيرمايا. إنه لشعور جيد أن أكون في مقعد السائق مرة أخرى. وبدلًا من تشغيل مكيف الهواء، أنزلتُ النوافذ وتركتُ الهواء المالح ينساب إلى الداخل. قدتُ إلى المدينة ببطء، وركنتُ السيارة بالقرب من الكنيسة المعمدانية القديمة. كان

ثمة أطفال يركضون في الأرجاء ببدلات سباحة وسراويل قصيرة، وكذلك آباء يرتدون ملابس من أقمشة كاكية اللون، وكلاب من نوع «جولدن ريتريفر» من دون سلاسل. على الأغلب أنها كانت عطلة نهاية الأسبوع الأولى منذ انتهاء الدراسة، بالنسبة إلى معظمهم. كان ثمة هذا الشعور في الأجواء. ابتسمتُ عندما رأيتُ صبيًّا يقتفي أثر فتاتين أكبر منه سنًّا، كانتا أختيه على الأرجح.

صاح قائلًا، وخُفَّاه يُطرقعان على طول الرصيف: «انتظرا».

وما كان منهما إلا أن أسرعتا في مشيتهما، ولم تلتفتا للوراء.

كانت محطتي الأولى هي المتجر العام. لقد اعتدتُ قضاء ساعات هناك، أفكر في اختياري لقطع الحلوى الصغيرة. بدا كل خيار أمرًا بالغ الأهمية. كان الأولاد يغرفون من الحلوى بشكل عشوائي، مغرفة من هذا النوع، وحفنة من ذاك. أما أنا فكنت حريصة كل الحرص، عشر قطع من حلوى السمكة السويسرية، وخمس قطع من كرات الشوكولاتة، ومغرفة متوسطة الحجم من حلوى «جيلي بيلي» بنكهة الكُمثرى. وتكريمًا لذكريات الأيام الخوالي، ملأتُ كيسًا. وضعتُ فيه حبات الفول السوداني المغطاة بالشوكولاتة من أجل جيرمايا، وقالب شوكولاتة «كلارك» من أجل كونراد، ورغم أنه ليس هنا، فإنني وضعتُ حبات من حلوى الليمون الحامضة من أجل ستيفن. كان تذكارًا من الحلوى، تكريمًا لأيام طفولتنا في كازينز، عندما كان اختيار أنواع الحلوى هو أكبر وأفضل جزء في يومنا.

وبينما أنا واقفة في الطابور في انتظار الدَّفْع سمعتُ إحداهن تقول: «بيلي؟».

استدرتُ. لقد كانت مورين أورايلي، صاحبة متجر القبعات الفاخرة في البلدة.. «مورين للقبعات النسائية».

إنها تكبر والديَّ سنًّا، في أواخر الخمسينات من عمرها، وكانت تجمعها علاقة ودودة مع أمي وسوزانا. وهي تأخذ عملها في مجال القبعات بجدية شديدة.

تعانقنا، وبدت لي رائحتها تمامًا كما هي، مثل رائحة صابون «مورفي».

سألتني قائلة: «كيف حال والدتك؟ وحال سوزانا؟».

قلتُ لها: «أمي بخير».

تحركتُ إلى الأمام مع الطابور، مبتعدة عن مورين. ولكنها تبعتني قائلةً: «وسوزانا؟».

تنحَّمتُ.

- لقد عاودها السرطان مجددًا، و.. توفيت.

تجعَّد وجه مورين.

- لم أسمع بالأمر. أنا آسفة لسماع ذلك. لقد كنتُ أحبها كثيرًا. متى حدث ذلك؟

قلتُ: «بداية شهر مايو».

كان دوري في الدفع قد أوشك، وبعد ذلك يمكنني المغادرة وستكون هذه المحادثة قد انتهت.

أمسكت مورين بيدي وشدَّت عليها، وكان رد فعلي الأوَّلي هو أن انتزعتُ يدي بعيدًا، على الرغم من أنني لطالما أحببتُ مورين. إنني فقط لم أرغب في الوقوف في المتجر العام، والتحدث عن وفاة سوزانا كما لو كانت نوعًا من الثرثرة. فمن نحن بصدد الحديث عنها هي **سوزانا**.

لا بد أنها قد شعرت بذلك، لأنها تركت يدي.

قالت: «أتمنى لو كنتُ أعرف. أرجوكِ أرسلي التعازي للولَدين وأمكِ. و.. يا بيلي، تعالي لرؤيتي في المتجر لاحقًا في وقت ما. سنأخذ مقاساتك لنصنع لكِ قبعة. أعتقد أنه قد حان الوقت لكي يكون لديكِ واحدة، قبعة أنيقة مُزيَّنة».

قلتُ، وأنا أتحسس محفظتي: «إنني لم أعتمر قبعة من قبل».

فقالت مورين مجددًا: «وها قد حان الوقت. إن من شأنها أن تُبهجكِ قليلًا. تعالي، سأعتني بكِ. إنها هدية».

وفيما بعد، سرتُ عبر المدينة ببطء، وقد توقفتُ عند المكتبة ومتجر مستلزمات ركوب الأمواج. كنتُ أسير بلا هدف أو وجهة، وأغمس يدي في كيس الحلوى من حين لآخر. لم أرغب في مصادفة أي شخص آخر، غير أنني لم أكن في عجلة من أمري للعودة إلى المنزل. كان من الواضح أن كونراد لا يرغب في وجودي. هل كنتُ أزيدُ الأمور سوءًا؟ آه من تلك الطريقة التي كان

ينظر بها إلي... كان الأمر أصعب مما اعتقدتُ أنه سيكون، أي.. رؤيته مرة أخرى، والعودة إلى ذلك المنزل مجددًا. أصعب بمليون مرة.

عندما عدتُ إلى المنزل ومعي اللفائف المحشوَّة مغلَّفة في كيس ورقي، كان جيرمايا وكونراد يشربان البيرة في التِّراس الخلفي. وكانت الشمس تغربُ. بدا أنه سيكون غروبًا بديعًا.

ألقيتُ المفاتيح والحقيبة على الطاولة وارتميتُ على أحد كراسي الاستلقاء.

قلتُ: «ناولني عُلبة بيرة».

ليس الأمر لأنني أُحبُ البيرة بشكل خاص. كلا. لم أفعل. وإنما ذلك لأنني أردتُ أن أكون جزءًا منهما، فإن احتساءهما للقليل من البيرة في التِّراس الخلفي قد نجح في أن يجمعهما معًا بطريقة ما ولو بسيطة. تمامًا كالأيام الخوالي، كل ما أردته كان أن يُشركاني في لحظاتهما.

توقعتُ أن يحملق إليَّ كونراد في سخط ويقول لي لا، وأنه لن يمرر إليَّ أيًّا من عُلب البيرة. وعندما لم يفعل، اندهشتُ لشعوري بخيبة أمل.

مدَّ جيرمايا يده إلى المُبَرِّد وألقى لي بعُلبة بيرة من نوع «آيس هاوس». وغمز لي.

قال: «منذ متى وبيلي بوتون تشرب الكحول؟».

فذكَّرته قائلة: «لقد قاربتُ على إتمام السابعة عشرة. ألا تعتقد أنني أصبحتُ كبيرة على مناداتي بهذا الاسم؟».

قال جيرمايا: «أعرف كم عمركِ».

مدَّ كونراد يده إلى الكيس الورقي وأخرج شطيرة. قضمها بنهم. وتساءلتُ ما إذا كان قد أكل أي شيء طوال اليوم.

قلتُ له: «على الرحب والسعة».

لم أستطع منع نفسي من قول ذلك.

لم ينظر كونراد تجاهي منذ عودتي. أردته أن يعترف بكوني موجودة هنا.

تمتم بصوت أجش: «شكرًا».

ورمقني جيرمايا بنظرة تحذيرية، وكأنه يقول: *فقط لا تزعجيه حينما تبدأ الأمور في السير على نحو جيد.*

رنَّ هاتف جيرمايا على الطاولة، ولم يحرك ساكنًا لالتقاطه.

قال كونراد: «لن أغادر هذا المنزل. أَخبِره بذلك».

رفعتُ رأسي فور سماعي لما قاله. ما الذي يعنيه ذلك، إنه لن يغادر؟ أي.. مطلقًا؟ حدَّقتُ إلى كونراد بشدة، لكن وجهه كان جامد الشعور أكثر من أي وقت مضى.

نهض جيرمايا، والتقط هاتفه، وولج إلى داخل المنزل. لقد أغلق الباب الجرَّار خلفه. ولأول مرة، تُركنا أنا وكونراد وحدنا. شعرتُ بأن الهواء المُعلَّق بيننا كان ثقيلًا، وتساءلتُ عمَّا إذا كان آسفًا لما قاله سابقًا. تساءلتُ عمَّا إذا كان عليَّ أن أقول شيئًا ما، أن أحاول تصليح الأمور. ولكن ماذا عساي أن أقول؟ لم أكن أعرف ما إذا كان هنالك أي شيء يمكنني قوله.

لذا لم أحاول. وبدلًا من ذلك، تركتُ اللحظة تمر وتنهدتُ واتكأتُ على الكرسي فحسب. تداخل اللونان الوردي والذهبي في السماء معًا في مشهد بديع. انتابني شعور بأنه لا يوجد أي شيء أجمل من هذا.. أن هذا الغروب بالتحديد أجمل من أي شيء آخر في العالم، بعشرة أضعاف. شعرتُ بكل توتر هذا العالم يخرج مني وينجرف متسربًا إلى البحر. أردتُ حفظ كل شيء وتذكُّره جيدًا، في حال أنني لم أتمكن من العودة إلى هنا مرة أخرى. فأنت لا تعرف متى تكون آخر مرة ترى فيها مكانًا.. أو شخصًا.

الفصل الثامن عشر

جلسنا نشاهد التلفاز لفترة من الوقت. لم يتخذ جيرمايا أي بادرة للتحدث مع كونراد، ولم يأتِ أحد على ذِكر سيرة الكُلية أو السيد فيشر. تساءلتُ ما إذا كان جيرمايا ينتظر أن يكون بمفرده معه ثنيةً. أجبرتُ نفسي على التثاؤب. وقلتُ من دون أن أوجِّه كلامي إلى أحد بعينه: «أنا متعَبة جدًّا».

وبمجرد أن قلتُها، أدركتُ أنني كنتُ كذلك حقًّا. كنتُ متعَبة جدًّا. شعرتُ كما لو أنه كان أطول يوم في حياتي. على الرغم أن كل ما فعلته حقًّا هو الركوب في السيارة، ومع ذلك شعرتُ بأن طاقتي كانت مستنفَدة تمامًا.

أعلنتُ وأنا أتثاءب مرة أخرى -لكنه تثاؤب حقيقي هذه المرة- قائلة: «إنني ذاهبة للنوم».

قال جيرمايا: «تصبحين على خير».

ولم يقل كونراد أي شيء.

وبمجرد أن دخلتُ إلى غرفتي، فتحتُ حقيبة المَبيت خاصتي، وانتابني الرعب عندما رأيتُ ما بداخلها. كان ثمة بيكيني تايلور الجديد ذو نقشة

المربعات، وصندلها ذو النعلين السميكين العاليين، وفستان صيفي مُثقَّب، وسروال قصير قد أشار إليه أبوها بكونه لباسًا داخليًّا من الدَّنيم، وبضع بلوزات حريرية، وبدلًا من التي-شيرت الفضفاض الذي كنتُ أتطلع إلى ارتدائه وقت النوم، هناك بيجامة نوم وردية بنقشة قلوب حمراء صغيرة. وسراويل قصيرة جدًّا، كلٌّ معه التانك-توب المطابق له في اللون. كنتُ أرغبُ في قتلها. لقد حسبتُ أنها كانت تضيف أغراضًا إلى ما قد حزمته بالفعل، وليست تستبدله. إن الشيء الوحيد الذي تركته من أغراضي الشخصية هي ملابسي الداخلية.

إن فكرة التجوُّل بتلك البيجامة في أرجاء المنزل، وأن يراني أحدهما وأنا في طريقي لتفريش أسناني في الصباح، جعلتني أرغب في ضربها بقوة. كنتُ أعلم أن تايلور قد فعلت ذلك بحسن نيَّة. لقد اعتقَدَتْ أنها تُسدي إليَّ معروفًا. إن التنازل عن صندلها ذي النعلين السميكين العاليين لليلة لهو لفتة إيثار، بالنسبة إلى تايلور. غير أنني كنتُ ما أزال غاضبة.

لقد حدث الأمر نفسه مع كوري. فعلت تايلور ما أرادت فعله، ولم تهتم بشأن رأيي في ذلك. إنها لم تهتم قط بشأن رأيي. ومع ذلك لم يكن هذا ذنبها وحدها، لأنني مَن سمحتُ لها.

بعدما فرَّشتُ أسناني، ارتديتُ بيجامة تايلور وأويت إلى الفراش. كنتُ أشاور نفسي فيما كنتُ سأقرأ كتابًا قبل النوم أم لا، كتاب من أحد الكتب ذات الأغلفة القديمة الموجودة على رف كتبي، عندما طرق أحد بابي.

رفعتُ الأغطية حتى رقبتي وقلتُ: «تفضَّل!».

لقد كان جيرمايا. أغلق الباب خلفه وجلس عند آخر طرف سريري.

همس قائلًا: «مرحبًا».

خففتُ قبضتي على أغطيتي. فقد كان جيرمايا فحسب.

- مرحبًا. ما الذي يجري؟ هل تحدثت معه؟

- ليس بعد. سأخفف عنه الليلة وأحاول مرة أخرى غدًا. إنني أحاول فقط تحضير الأرض أولًا، ومن ثم غرس بعض البذور. (ثم رمقني بنظرة تآمرية) فأنتِ تعرفين طبعه.

بالفعل كنتُ أعرف.

- حسنًا. يبدو هذا جيدًا.

مدَّ يده إليَّ لنضرب كفَّينا معًا. وقال: «لا تقلقي. سنتولى هذا الأمر».

ضربتُ كفَّه. وكررتُ قائلة: «سنتولى هذا الأمر».

كان بإمكاني سماع نبرة الشك في صوتي، لكن جيرمايا ابتسم فحسب، وكأن الأمر محسوم بالفعل.

الفصل التاسع عشر

جيرمايا

عندما نهضَتْ بيلي لتأوي إلى الفراش، كنتُ أعلم أنها كانت تريد مني البقاء ومحاولة التحدث مع كونراد بشأن الكلية والدراسة. عرفتُ ذلك لأنه عندما كنا صغارًا، اعتدنا أن نمارس التخاطر على بعضنا بعضًا. كانت بيلي مقتنعة أنني أستطيع قراءة أفكارها وأنها تستطيع قراءة أفكاري كذلك. أما الحقيقة فهي أنني كنتُ أستطيع قراءة أفكار بيلي فحسب. كلما تكون على وشك أن تكذب، كانت تُضيِّق عينها اليسرى قليلًا. وكلما تكون متوترة، كانت تمتص خديها إلى الداخل قبل أن تتحدث. إنها شخص من السهل عليك قراءته، لطالما كانت كذلك.

نظرتُ إلى كونراد وسألته قائلًا: «أتود الاستيقاظ باكرًا والذهاب لركوب الأمواج غدًا؟».

قال: «بالتأكيد».

غدًا سأتحدث معه بشأن الدراسة، ومدى أهمية العودة إلى الكُلية. سيسير كل شيء على ما يرام.

شاهدنا التلفاز لمزيد من الوقت، ولما غطَّ كونراد في النوم على الأريكة، صعدتُ إلى غرفتي في الطابق العلوي. وفي آخر الطُّرقة، كان ضوء غرفة بيلي ما زال مضاءً. ذهبتُ ووقفتُ أمام بابها وطرقته بهدوء. شعرتُ بكوني أبله وأنا واقف أمام بابها، وأطرقه. فعندما كنا أطفالًا، اعتدنا أن نركض دخولًا وخروجًا من غرفتي بعضنا بعضًا فحسب من دون تفكير. تمنيت لو ظلَّت الأمور بتلك البساطة.

قالت: «تفضَّل».

دخلتُ وجلستُ على حافة سريرها. وعندما أدركتُ أنها قد ارتدت بيجامتها بالفعل، كدتُ أتراجع للوراء فورًا وأغادر. كان عليَّ أن أذكر نفسي بأنني رأيتها مرتدية بيجامتها مليون مرة من قبل، فما هي المشكلة الكبيرة إذن؟ غير أنها كانت معتادة دائمًا ارتداء تي-شيرت فضفاض مثل بقيتنا، أما الآن فهي ترتدي «توب» ضيقًا بحمالتين رفيعتين. تساءلتُ عمَّا إذا كان مريحًا في النوم.

الفصل العشرون

4 يوليو

عندما استيقظتُ في الصباح التالي، لم أنهض من الفراش على الفور. وإنما استلقيتُ فحسب متظاهرةً وكأنه كأي صباح آخر في المنزل الصيفي. كانت رائحة ملاءات سريري هي نفسها؛ ودُبِّي المحشو، جونيور مِنت، ما يزال جالسًا فوق التسريحة. بدا كل شيء مثلما كان دائمًا. كالأيام التي كانت سوزانا وأمي تتجولان فيها على الشاطئ، والأولاد يأكلون كل كعك التوت الأزرق ويتركون لي حبوب الإفطار من «كاشي» الخاصة بأمي. كان سيكون هناك نحو إنش واحد متبقٍّ من الحليب، وسيكون العصير قد نفد، أيضًا.

كان ذلك يغضِبُني في السابق. أما الآن فابتسمتُ لورود الأمر على بالي. ولكنه لم يكن إلا خيالًا. لقد علمتُ ذلك. فلم يكن ثمة أم، ولا أخ، ولا سوزانا.

على الرغم من أنني قد خلدتُ إلى السرير مبكرًا في الليلة السابقة، فإنني نمتُ متأخرًا. كانت الساعة قد شارفت على الحادية عشرة بالفعل. لقد نمتُ لاثنتي عشرة ساعة. لم أنم جيدًا بهذا القدر منذ أسابيع.

نهضتُ من السرير وذهبتُ لألقي نظرة من نافذتي. لطالما كان النظر من نافذة غرفة نومي بالمنزل الصيفي يشعرني بتحسن مزاجي. تمنيتُ لو أن كل النوافذ كانت تطل على محيط، لا يُرى من خلالها شيء سوى أميال وأميال من البحر والرمال. على الشاطئ، كان جيرمايا وكونراد يتمايلان فوق لوحيْ ركوب الأمواج الخاصَّين بهما مرتديين بدلتي سباحتهما السوداوين. يا له من مشهد مألوف. وبتلك البساطة، أصبحتُ متفائلة. ربما كان جيرمايا محقًّا. ربما سيعود كونراد معنا بعد كل شيء.

وبعد ذلك سأعود إلى منزلي، بعيدًا عنه وعن كل ما يذكِّرني به. سأعود لأستلقي حول مسبح الحي وأتسكع بجوار بار الوجبات الخفيفة مع تايلور، وقريبًا جدًّا سينقضي الصيف. وسأنسى كيف كان من قبل.

هذه المرة كانت فعلًا المرة الأخيرة.

قبل أن أفعل أي شيء آخر، اتصلتُ بتايلور. شرحتُ لها كيف أننا جميعًا في كازينز، كيف أن كل ما نحتاج إليه هو فقط أن نقنع كونراد بالعودة إلى الكُلية لننهي موسمنا الصيفي.

وكان أول ما قالته: «بيلي، ماذا تظنين نفسكِ فاعلة؟».

- ماذا تقصدين؟

فقالت: «أنتِ تعرفين ما أقصده. هذا الموقف برمته ما هو إلا عبث. عليكِ أن تكوني في منزلكِ حيث تنتمين. (تنهدتُ) لماذا يهمك إن كان كونراد قد ترك دراسته في الكُلية؟ دعيه يصبح فاشلًا إن كان يريد ذلك».

وعلى الرغم من أنني أعلم أنه لا يمكن لأحد أن يسمعني، خفضتُ صوتي وأنا أقول: «إنه يمر بالكثير في الوقت الحالي. هو بحاجة إلينا».

- إنه بحاجة إلى أخيه. الذي هو، بالمناسبة، أوسم منه وأكثر جاذبية، أفيقي! كونراد لا يحتاج إليكِ، لقد خانكِ، أتذكرين؟

بتُّ أهمس الآن.

- لم يخُنِّي، وأنتِ تعرفين ذلك. لقد كنا قد انفصلنا بالفعل. الأمر ليس كما لو أننا كنا حبيبين حقيقيين أصلًا في المقام الأول.

كان من الصعب النطق بذلك الجزء الأخير.

- أوه، صحيح.. إنه لم يخنكِ، لقد هجركِ بعد حفلة التخرج مباشرة. يا له من فتى رائع.

تجاهلتُها.

- أما زلتِ ستتسترين عليَّ إذا اتصلت أمي؟

فاستنشقتْ نَفَسًا وقالت: «بالطبع. إنني صديقة وفية».

- شكرًا لكِ. أوه، وأشكركِ شكرًا جزيلًا على أخذكِ لجميع ملابسي.

فقالت بنبرة متعجرفة: «على الرحب والسعة. و.. بيلي؟».

- نعم؟

- لا تغفلي عن المهمة التي في متناول يدكِ.

- حسنًا، إن جيرمايا يحاول إقناعه بأن..

- ليست هذه أيتها الغبية. إنني أتحدث عن مهمتك. عليكِ أن تجعلي كونراد يرغب في العودة إليكِ مرة أخرى. ومن ثم عليكِ أن تصدِّيه. بقسوة.

كنتُ سعيدة لأن حديثنا كان هاتفيًّا، لئلا يمكنها أن تراني وأنا أدير بؤبؤي عينيَّ لأعلى في ضجر. ولكن الأمر هو، أن معها الحق. إن تايلور لم تُجرَح عاطفيًّا مطلقًا لأنها هي دائمًا من تتولى زمام الأمور. هي المهيمنة على اللعبة وهي صاحبة القرار. الأولاد هم من يرغبون فيها، وليس العكس. لطالما كانت تذكر ذلك الاقتباس من فيلم «امرأة جميلة» (Pretty Woman)، ذلك الاقتباس الذي يتحدث عن كونها عاهرة: «أنا مَن تقول مَن، وأنا مَن تقول متى».

لم يكن الأمر أن الفكرة لم ترُقْني. وإنما فقط أنها لن تنجح معي أبدًا. فإن جعل كونراد يلحظني، ولو لفترة وجيزة، كان أشبه بضرب من ضروب المستحيل. لن ينجح الأمر ثانية.

بعد انتهاء مكالمتي مع تايلور، اتصلتُ بأمي. أخبرتها أنني سأبيت الليلة أيضًا في منزل تايلور، وأنها لا تزال مستاءة جدًّا ولا أستطيع أن أتركها وأغادر. وافقت أمي.

قالت: «أنتِ صديقة رائعة».

كانت ثمة نبرة ارتياح في صوتها وهي تطلب مني أن أرسل التحيَّات لوالدي تايلور. لم تشك في الكذبة حتى. كان بإمكاني سماع ذلك عبر الهاتف. كل ما كانت تريده هو أن تُترك بمفردها مع حزنها.

بعد ذلك، استحممتُ وارتديتُ الملابس التي اختارتها تايلور لي. توب أبيض اللون مطرز بالزهور في الجزء العلوي مع سروالها القصير الشهير من الجينز الممزق.

نزلتُ إلى الطابق السفلي وشعري ما يزال مبللًا، وأنا أشد سروالي القصير لأسفل. كان الولدان قد عادا إلى الداخل، جالسين إلى طاولة المطبخ ويلتهمان كرات كعك القرفة بالسكر التي كانت سوزانا معتادة النهوض باكرًا لأجل شرائها.

قال جيرمايا: «انظري ماذا أحضرتُ».

ودفع الكيس الورقي الأبيض نحوي.

أمسكتُ بالكيس وحشوت نصف كرة من الكعك داخل فمي. كانت ما تزال دافئة.

قلتُ وفمي ممتلئًا: «لذيذة! .. إذن، ما الأخبار؟».

نظر جيرمايا إلى كونراد في أمل وقال: «كون؟».

قال كونراد: «عليكما المغادرة في أقرب وقت يا رفيقين، إذا كنتما ترغبان في الإفلات من الزحام المروري لعطلة الرابع من يوليو».

لقد قتلتني رؤية النضرة المرتسمة على وجه جيرمايا.

قال له جيرمايا: «لن نغادر من دونك».

زفر كونراد نَفَسًا وقال: «انظر يا جير، أقدِّر مجيئكما إلى هنا. ولكن كما تريان، إنني بخير. والأمور كلها تحت السيطرة».

- ما الذي تقوله بحق الجحيم. كون، إذا لم تعد بحلول يوم الاثنين من أجل امتحاناتك، ستكون مطرودًا. إن السبب الوحيد الذي جعلك تلتحق بالفصل الدراسي الصيفي هو عدم إكمالك للفصل الدراسي الماضي. إذا لم تعد، فماذا سيحدث؟
- لا تقلق بشأن ذلك. سأتولى حل الأمور.
- أنت تستمر في قول ذلك، لكن يا صاح، إنك لم تتول حل أي شيء من هذا الهراء. إن كل ما فعلته حتى الآن هو الهرب.

ومن الطريقة التي حدَّق بها كونراد إليه، علمتُ أن ما قاله جيرمايا كان صحيحًا. إن منظومة القِيَم القديمة الخاصة بكونراد كانت لا تزال موجودة، مدفونة تحت الغضب. إز كونراد القديم لن يستسلم أبدًا.

جاء دوري لأقول شيئًا. أخذتُ نَفَسًا وقلتُ: «إذن كيف ستصبح طبيبًا من دون شهادة جامعية يا كونراد؟».

دُهِشَ كونراد، ومن ثم حدَّق إليَّ. وحدَّقتُ إليه كذلك. أجل، لقد قُلتها. كنتُ سأقول أيًّا ما يتوجب عليَّ قوله، حتى ولو كان سيجرح شعوره.

هذا شيء تعلمته من مشاهدة كونراد في **كل** مباراة لعبناها معًا في حياتنا: مع أول بادرة للضعف، عليك أن تهاجِم بأقصى قوتك، أن تضرب مستخدمًا كل سلاح في ترسانتك، بلا توانٍ ولا رحمة.

انفعل قائلًا: «إنني لم أقل يومًا إنني سأصبح طبيبًا. أنتِ لا تعرفين ما الذي تتحدثين عنه».

فقلتُ وقد تسارع خفقان قلبي بصورة كبيرة: «قل لنا إذن».

لم ينبس أحد ببنت شفة. لدقيقة، اعتقدتُ أنه قد يشاركنا حقًّا ما يدور في باله.

ثم أخيرًا، نهض كونراد واقفًا وقال: «لا يوجد شيء لأقوله. سأعود إلى الخارج. شكرًا على كرات كعك القرفة بالسكر يا جير. (والتفت إليَّ قائلًا...) السكر منتشر على جميع أنحاء وجهك».

وبهذا فحَسب كان قد نهض وراح يفتح باب الشرفة.

وبعد أن غادر، صاح جيرمايا قائلًا: «اللعنة!».

قلتُ: «حسبتُ أنك كنت ستعمل على إقناعه!».

خرجت الكلمات من فمي بشكل يبدو وكأنه اتهام أكثر مما كنتُ أقصده.

قال جيرمايا وقد أطبق بقبضته على الكيس الورقي: «لا يمكنك دفع كونراد بشدة للقيام بشيء ما، هذا يجعله ينغلق على نفسه فحسب».

- لقد انغلق على نفسه بالفعل.

نظرتُ إلى جيرمايا وقد بدا مهزومًا للغاية. شعرتُ بالسوء لأنني قد انفعلتُ عليه. لذا مددتُ يدي ولمستُ ذراعه قائلة: «لا تقلق. لا يزال لدينا وقت. إنه لا يزال يوم السبت، صحيح؟».

قال: «صحيح».

غير أنه لم يقلها وكأنه يعنيها حقًّا.

لم يقل أي منا شيئًا آخر. كما هو الحال دائمًا، كان كونراد هو مَن يُملي المِزاج العام للمنزل، وكيف على الجميع أن يشعر. لن يبدو أي شيء على ما يرام مجددًا حتى تعود الأمور على ما يرام مع كونراد.

الفصل الحادي والعشرون

المرة الأولى التي أصابني فيها الإدراك في ذلك اليوم كانت وأنا في الحمَّام، أغسل السكر عن وجهي. لم تكن ثمة منشفة مُعلَّقة، لذا فتحتُ خزانة المناشف، وفي الصف الذي يلي صف المناشف الشاطئية، رأيت قبعة سوزانا الشمسية الكبيرة. تلك التي كانت تعتمرها في كل مرة تجلس فيها على الشاطئ. لقد كانت حريصة على بشرتها كل الحرص. **كانت**.

إن عدم التفكير في سوزانا، عدم التفكير فيها بشكل واع ومتعمد، قد هوَّن الأمر. لأنها بذلك لا تكون قد **رحلت** حقًّا. إنها فقط في مكان آخر. هذا ما كنتُ أفعله منذ وفاتها. لا أفكر فيها. كان من الأسهل القيام بذلك في منزلي. ولكن هنا، في المنزل الصيفي، هي موجودة في كل مكان.

التقطتُ القبعة، وأمسكتُها لثانية، ومن ثم أعدتُها مرةً أخرى إلى الرف. أغلقتُ الخزانة، وآلمني صدري بشدة لدرجة جعلتني غير قادرة على التنفس. كان هذا غاية في الصعوبة. الوجود هنا، في هذا المنزل، كان غاية في الصعوبة.

ركضتُ صعودًا على الدَّرج بأقصى ما أوتيت من سرعة. خلعتُ قلادة كونراد وبدلتُ ملابسي وارتديتُ البيكيني الخاص بتايلور. لم أبالِ بمدى غباء مظهري به. أردتُ أن أكون في الماء وحسب. أردتُ أن أبقى حيث لا يتعين عليَّ التفكير في أي شيء، حيث ليس هنالك وجود لأي شيء آخر. سأسبح فحسب، سأطفو على سطح الماء، سأتنشق أنفاسي وأزفرها، وأستحضر وجداني كله في اللحظة الآنية فقط.

وجدتُ منشفتي القديمة التي تحمل رسمة دمية دُبٍّ محشوَّة من ماركة «رالف لورين» (Ralph Lauren) في خزانة المناشف تمامًا كما هو الحال دائمًا. وضعتها حول كتفيَّ وكأنها دثارٌ، وتوجَّهتُ إلى الخارج. كان جيرمايا يتناول شطيرة بيض ويتجرع جرعات كبيرة من علبة حليب.

قال: «مرحبًا».

- مرحبًا. أنا ذاهبة للسباحة.

لم أسأل أين كان كونراد، ولم أدعُ جيرمايا للانضمام إلي. كنتُ بحاجة إلى الاختلاء للحظة بنفسي وحسب.

فتحتُ الباب الجرَّار وأغلقته ورائي من دون انتظار ردٍّ منه. رميتُ منشفتي على كرسي وغطستُ في الماء غطسة البجعة. لم أصعد لاستنشاق الهواء على الفور. بقيتُ في الأسفل، حبستُ أنفاسي حتى الثانية الأخيرة.

عندما صعدتُ إلى سطح ماء، شعرتُ كما لو أنني أستطيع التنفس مرة أخرى، كما لو أن عضلاتي كانت تسترخي. قطعتُ المسبح سابحةً ذهابًا وإيابًا، ذهابًا وإيابًا. هنا، لا وجود لشيء آخر. هنا، لم أكن مضطرة إلى التفكير. في كل مرة كنتُ أغوص فيها، كنتُ أحبس أنفاسي لأطول فترة ممكنة.

تحت الماء، سمعتُ جيرمايا يهتف باسمي. وعلى مضض، صعدتُ إلى السطح، ووجدته جاثمًا بجانب المسبح. وقال وهو ينهض واقفًا: «إنني سأخرج لبعض الوقت. ربما سأحضر بيتزا من مطعم «نيلو»».

دفعتُ شعري عن عيني، وقلتُ: «ولكنك أكلت شطيرة للتو. وكان لديك كل كرات كعك السكر والقرفة تلك».

- إنني فتى في طور النمو. وكان ذلك منذ ساعة ونصف.

منذ ساعة ونصف؟ هل ظللتُ أسبح لمدة ساعة ونصف؟ شعرتُ وكأنها دقائق.

قلتُ وأنا أنظر إلى باطن كفَّي وأتفحص أصابعي، كان جلدها قد تجعَّدَ تمامًا من أثر الماء: «أوه!».

قال جيرمايا وهو يحييني: «واصلي السباحة».

فقلتُ وأنا أندفع منطلقة من جانب المسبح: «أراكَ قريبًا».

ثم سبحتُ بأسرع ما يمكنني إلى الجانب الآخر واستدرتُ منقلبةً في الماء. آهٍ لو كان لا يزال يشاهدني. فلطالما كان معجبًا بحركات الانقلاب في الماء التي أقوم بها.

مكثتُ بالمسبح لساعة أخرى. ولما صعدتُ إلى سطح الماء لاستنشاق الهواء بعد لفَّتي الأخيرة، رأيتُ كونراد جالسًا على الكرسي الذي تركتُ منشفتي عليه. مدَّ يده وناولني إياها في صمت.

خرجتُ من المسبح. وفجأة صرتُ أرتجف. أخذتُ منه المنشفة ولففتُها حول جسدي. لم ينظر إليَّ.

سألني قائلًا: «أما زلتِ تتظاهرين بأنكِ في الأولمبياد؟».

كنتُ سأبدأ في التحدث، ومن ثم هززتُ رأسي بالنفي وجلستُ بجانبه.

قلتُ: «كلا».

وعلقت الكلمة في الهواء. ضممتُ ركبتيَّ إلى صدري، ثم أردفتُ قائلة: «ليس بعد الآن».

بدأ يتحدث قائلًا: «عندما تسبحين.. (اعتقدتُ أنه لن يُكمِل كلامه، ولكنه أردف بعد ذلك وقال...) فأنتِ لا تنتبهين شيء آخر، ولو كان المنزل يشتعل بالنيران. تكونين منغمسة تمامًا فيما تفعلينه، كما لو أنكِ في مكان آخر».

قالها باحترام يشوبه مضض. وكأنه كان يراقبني لوقت طويل، وكأنه كان يراقبني لسنوات. وهو ما أعتقد أنه كان ينعله.

فتحتُ فمي لكي أرد، لكنه كان ينهض بالفعل، عائدًا إلى داخل المنزل. وعندما كاد يُغلق الباب الجرَّار، صحتُ قائلة: «ولهذا السبب أُحبها».

الفصل الثاني والعشرون

كنتُ قد عدتُ إلى غرفتي، وعلى وشك تغيير البيكيني الذي أرتديه عندما رنَّ هاتفي. لقد كانت نغمة الرنين الخاصة بستيفن، أغنية لـ«تايلور سويفت» (Taylor Swift) لطالما كان يتظاهر بكرهها بينما هو يحبها سرًّا. ولثانية، فكرتُ في ألا أرد. ولكن إذا لم أجب الهاتف، سيظل يتصل مرارًا وتكرارًا حتى أجيبه. إنه مزعج لتلك الدرجة.

قلتُها كما لو كانت سؤالًا، وكأنني لا أعرف بالفعل أنه ستيفن: «مرحبًا؟».

قال: «مرحبًا. أنا لا أعرف أين أنتِ ولكنني أعلم أنكِ لستِ مع تايلور».

همستُ قائلة: «كيف عرفت ذلك؟».

- لقد صادفتُها للتو في المركز التجاري. إنها أسوأ منكِ في الكذب. أين أنتِ بحق الجحيم؟

عضضتُ شفتي العُليا وقلتُ: «في المنزل الصيفي. في كازينز».

صاح بشكل ما وهو يقول: «ماذا؟ لماذا؟!».

- إنها قصة طويلة نوعًا ما. لقد احتاج جيرمايا إلى مساعدتي في إقناع كونراد.

- لذا اتصل **بكِ**؟

بدا صوت أخي يشوبه الشك، وقليل من الغيرة أيضًا.

- أجل.

كان يتوق ليسألني حول المزيد، لكنني كنتُ أعول على حقيقة أن كبرياءه لن تسمح له بذلك. فإن ستيفن يكره أن يُستبعَد. ظلَّ صامتًا للحظة، وفي تلك الثواني، علمتُ أنه كان يتساءل في داخله عن كل الأشياء والأنشطة الخاصة بالمنزل الصيفي التي كنا نفعلها من دونه.

ثم قال أخيرًا: «ستغضب أمي غضبًا شديدًا».

- وما الذي يهمك في هذا؟

- أنا لستُ مهتمًّا، لكن أمي ستفعل.

- ستيفن، هدئ أعصابك. سأعود إلى البيت قريبًا. علينا فقط أن نفعل شيئًا واحدًا أخيرًا.

- وما هو ذلك الشيء الأخير؟

كان يقتله أنني أعرف شيئًا هو لا يعرفه، أنه ولمرة واحدة، كان الفتى المُهَمَّش المستبعد. لقد اعتقدتُ بأنني كنتُ سأجد استمتاعًا في تذوق تلك اللحظة، غير أنني شعرتُ تجاهه بأسف غريب.

لذا بدلًا من شماتتي المعتادة، قلتُ: «لقد ترك كونراد الدراسة الصيفية وعلينا أن نعيده في الوقت المناسب من أجل حضور امتحانات منتصف الفصل الدراسي التي ستبدأ يوم الاثنين المقبل».

سيكون هذا آخر شيء أفعله من أجله.. إعادته إلى الدراسة. وبعد ذلك سيكون حُرًّا، وكذلك أنا.

بعد أن أغلقتُ الهاتف مع ستيفن، سمعتُ صوت سيارة تتوقف أمام المنزل. نظرتُ من النافذة لأجد سيارة «هوندا» حمراء اللون، سيارة لم أتعرف عليها. فنحن لم يكن لدينا أي زوار تقريبًا في المنزل الصيفي. مرَّرتُ مِشطًا خلال خصلات شعري، ونزلتُ مسرعةً على الدَّرَج ومنشفتي ملفوفة حول

جسدي. توقفتُ حين رأيتُ كونراد يفتح الباب، ودخلَت امرأة. كانت ضئيلة الجسد، وشعرها الأشقر المُبيَض مربوطًا للخلف في شكل كعكة فوضوية، وكانت ترتدي سروالًا أسود وبلوزة حريرية مرجانية اللون، وبدا طلاء أظفارها مطابقًا للون بلوزتها. كانت تحمل مجلدًا كبيرًا في يدها ومجموعة مفاتيح.

قالت: «حسنٌ، مرحبًا».

كانت متفاجئة برؤيته، وكأنها مَن كانت من المفترض أن تكون هناك وليس هو.

قال كونراد: «مرحبًا. أيمكنني مساعدتك؟».

قالت: «لا بد أنك كونراد. لقد تحدثنا عبر الهاتف. أنا ساندي دوناتي. الوكيلة العقارية لوالدك».

لم يقل كونراد شيئًا.

لوَّحت له بأصابعها في مداعبة، وقالت: «لقد أخبرتني أن والدك غيَّر رأيه بشأن البيع».

وعندما لم يقل كونراد شيئًا، نظرت إلى المكان من حولها ورأتني واقفة أسفل الدَّرَج.

عبسَتْ وقالت: «إنني هنا فقط لإلقاء نظرة على المنزل، والتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام وأنه قد حُزمَت جميع الأمتعة».

قال كونراد بشكل عَرَضي: «أجل، لقد صرفتُ عمَّال النقل».

فقالت وشفتاها مزمومتان: «أتمنى حقًّا لو أنك لم تفعل ذلك».

وعندما هزَّ كونراد كتفيه، أضافت قائلة: «لقد قيل لي إن المنزل سيكون خاويًا».

- لقد تلقيتِ معلومات خاطئة. سأبقى هنا لبقية الصيف. (ثم أشار إليَّ وأردف...) أُعرِّفُكِ، هذه بيلي.

فكررَت قائلةً: «بيلي؟».

- أجل. إنها حبيبتي.

أعتقد أنني قد شهقتُ بصوت عالٍ.

ثم تابع وقد عقد ذراعيه واتكأ على الحائط: «وكيف التقيتما أنتِ وأبي؟».

احمرَّ وجه ساندي دوناتي، وأجابت في اقتضاب: «التقينا عندما قرر عرض المنزل للبيع».

- حسنًّا، إن كل ما في الأمر، يا ساندي، أن هذا المنزل ليس ملكًا لأبي ليبيعه. إنه منزل والدتي، في واقع الأمر. هل أخبركِ بذلك؟

- أجل.

- إذن أعتقد أنه أخبرك أيضًا بأنها قد توفيت.

ترددت ساندي. بدا أن غضبها قد تبخر عند ذِكر الأمهات المتوفيات. بدت غير مرتاحة بالمرة، وكانت تتحرك في اتجاه الباب.

- أجل، لقد أخبرني بذلك. أنا آسفة جدًّا لمصابكم.

قال كونراد: «شكرًا لكِ يا ساندي. هذا يعني الكثير، أن أسمعه منكِ».

جالت عيناها في أرجاء الغرفة لمرة واحدة أخيرة.

- حسنًا، سأناقش الأمر مع والدك، وسأعود بعدها.

- فلتفعلي ذلك. ولتتأكدي من إخباره بأن المنزل ليس للبيع.

زمَّت شفتيها ومن ثم فتحت فمها وكادت ترد، لكنها غيَّرت رأيها. فتح كونراد الباب من أجلها، ثم غادرت.

زفرتُ نَفَسًا كبيرًا. مليون فكرة كانت تدور في رأسي.. ويخجلني قول إن كلمة «**حبيبتي**» هي ما كانت على رأس القائمة. لم ينظر إليَّ كونراد حين قال: «لا تخبري جيرمايا بشأن المنزل».

فسألته قائلةً: «ولِمَ لا؟».

كان عقلي لا يزال عالقًا في كلمة «حبيبتي». استغرق وقتًا طويلًا ليجيبني حتى إنني كنتُ بالفعل قد بدأت أصعد الدَّرَج عائدةً إلى الطابق العلوي عندما قال: «سأخبره بشأن ذلك. إنني فقط لا أريده أن يعرف الآن. بشأن أبينا».

توقفتُ مكاني. ومن دون أن أفكر قلتُ: «ماذا تقصد؟».

فوجَّه إليَّ كونراد نظرة ثابتة وقال: «أنتِ تعرفين ما أقصده».

أظن أنني بالفعل كنتُ أعرف. لقد أراد حماية جيرمايا من معرفة حقيقة أن أباه كان أحمق. لكن الأمر ليس كما لو أن جيرمايا لم يكن يعرف بالفعل من يكون والده. ليس الأمر كما لو أن جيرمايا كان مجرد فتى مغفل من دون أدنى فكرة. إن له الحق في معرفة ما إذا كان المنزل معروضًا للبيع.

أعتقد أن كونراد قد قرأ كل هذا على وجهي، لأنه قال بطريقته الساخرة اللامبالية تلك: «إذن، هلَّا يمكنكِ فعل ذلك من أجلي يا بيلي؟ هلَّا يمكنكِ حجب سر عن صديقكِ المُقَرَّب جيرمايا؟ أعلم أنكما لا تحجبان الأسرار عن بعضكما بعضًا، ولكن هل يمكنكِ فعل ذلك هذه المرة فقط؟».

وعندما حدَّقتُ إليه، وأنا على استعداد تام لإخباره بما يمكنه أن يفعله بسره، قال: «من فضلكِ؟».

كانت نبرته متوسِّلة.

لذلك قلتُ: «حسنًا. للآن».

قال: «شكرًا لكِ».

ومن ثم تجاوزني متوجِّهًا إلى الطابق العلوي. أُغلِقَ باب غرفة نومه، وبدأ مكيف الهواء يعمل.

بقيتُ في مكاني.

استغرق الأمر دقيقة حتى استوعبتُ كل شيء. لم يهرب كونراد فقط من أجل ركوب الأمواج. لم يهرب كونراد لمجرد الهرب. لقد أتى لإنقاذ المنزل.

الفصل الثالث والعشرون

في وقتٍ لاحقٍ من بعد ظهيرة ذلك اليوم، ذهب جيرمايا وكونراد لركوب الأمواج مرة أخرى. اعتقدتُ أنه لربما أراد كونراد أن يخبره بشأن المنزل، وهما بمفردهما. وربما أراد جيرمايا محاولة التحدث مع كونراد عن الدراسة مجددًا، وهما بمفردهما. وكان لا بأس في ذلك بالنسبة لي. كنتُ راضية بالمشاهدة فحسب.

راقبتهما من الشرفة. جلستُ على أحد كراسي الاستلقاء الشاطئية والمنشفة ملفوفة حولي بإحكام. كان ثمة شيء ما مطَمْئِن بشأن خروجك مبلَّلًا من المسبح، وأمك تضع منشفةً حول كتفيك، مثل العباءة. وحتى من دون وجود أم تفعل ذلك من أجلك، كان شعورًا طيبًا، دافئًا. شعور مألوف على نحو مؤلم جعلني أتمنى لو كنتُ ما أزال في الثامنة. الثامنة كانت قبل الموت والطلاق وانفطار القلب. الثامنة كانت مجرد الثامنة من العمر. النقانق وزبدة الفول السوداني، لدغات البعوض والجروح من الشظايا الخشبية الضئيلة، الدراجات وألواح التزلج، الشعر المُلَبَّك، والأكتاف الملفوحة من الشمس، وقراءة مؤلفات «جودي بلوم» (Judy Blume)، في السرير عند التاسعة والنصف.

جلستُ هناك أفكر في تلك الأنواع الكئيبة من الأفكار لفترة طويلة. شخص ما كان يشوي؛ كان باستطاعتي شم رائحة احتراق الفحم. تساءلتُ عمَّا إذا كانوا عائلة روبنشتاين أو لعلهم عائلة تولر. عمَّا إذا كانوا يشوون البرجر، أم شرائح اللحم. أدركتُ أنني كنتُ جائعة.

تجولتُ في المطبخ ولكنني لم أتمكن من إيجاد أي شيء لآكله. لم أجد سوى عُلب البيرة الخاصة بكونراد. قالت لي تايلور ذات مرة إن البيرة مثلها مثل الخبز، كلها كربوهيدرات. فكرتُ في أنني على الرغم من كوني أكره طعمها، فإنني أيضًا قد أشربها إذا كانت ستسدُّ جوعي.

لذا أخذتُ واحدةً وسرتُ بها عائدةً إلى الخارج. جلستُ على كرسي الاستلقاء الشاطئي من جديد وفتحتُ علبة البيرة. بدا لي صوت فتحها مُرضيًا وممتعًا جدًّا. كان من الغريب أن أكون في هذا المنزل بمفردي. ليس شعورًا سيئًا، إنه مختلف فحسب. لقد كنتُ آتي إلى هذا المنزل طوال حياتي وأستطيع العدَّ على يد واحدة عدد المرات التي كنتُ فيها وحدي بداخله. شعرتُ بكوني أكبر سنًّا الآن. وهو ما أعتقد أنه بات صحيحًا، لكن أعتقد أنني لا أتذكر شعوري بكوني أكبر سنًّا في الصيف الماضي.

تناولتُ رشفة كبيرة من البيرة وكنتُ سعيدة بعدم وجود جيرمايا وكونراد لرؤيتي، لأن التعبير الذي ارتسم على وجهي بعد هذه الرشفة كان فظيعًا وكنتُ أعلم أنهما كانا ليسخران مني لذلك.

كنتُ آخذ رشفة أخرى عندما سمعتُ أحدًا يتنحنح. نظرتُ إلى أعلى وكدتُ أختنق. لقد كان السيد فيشر.

قال: «مرحبًا يا بيلي».

كان يرتدي بدلة، كأنه قد أتى مباشرة من العمل، وعلى الأرجح أن هذا ما قد حدث بالفعل، على الرغم من كونه يوم السبت. وبطريقة ما لم تكن بدلته مجعدة بأي شكل من الأشكال، حتى من بعد قيادة السيارة لمسافة طويلة.

قلتُ وقد خرج صوتي متوترًا ومهزوزًا: «مرحبًا يا سيد فيشر».

كان أول ماخطر ببالي هو: *علينا إرغام كونراد على ركوب السيارة وجعله يعود إلى الكلية ويؤدي امتحاناته الغبية.* إن منحه الوقت كان خطأ فادحًا. أمكنني رؤية ذلك الآن. كان عليَّ دفع جيرمايا ليضغط على كونراد.

رفع السيد فيشر حاجبًا عند رؤيته لعلبة البيرة خاصتي وأدركتُ وقتها أنني كنتُ ما أزال ممسكة بها، وأصابعي قابضة عليها بقوة لدرجة أن إحساسي بها كان مُخدَّرًا. وضعتُ البيرة على الأرض، وسقط شعري على وجهي، وهو ما كنتُ ممتنة جدًّا له. فقد كانت لحظة للاختباء، للتفكير فيما سأقوله بعد ذلك.

لقد فعلتُ ما كنتُ أفعله دائمًا.. لجأتُ إلى الحديث عن الأولاد.

- إممـ، حسنًا، كونراد وجيرمايا ليسا هنا الآن.

كانت الأفكار تتسابق في ذهني. فقد يعودان في أي دقيقة.

لم يقل السيد فيشر أي شيء، لقد أومأ برأسه فحسب وحكَّ خلفية رقبته. ثم دخل إلى الشرفة وجلس على الكرسي المجاور لي. وما لبث أن التقط علبة البيرة خاصتي وتجرع رشفة طويلة.

سأل وهو يضع علبة البيرة على ذراع الكرسي الذي أجلسُ عليه: «كيف حال كونراد؟».

فأجبتُ على الفور: «إنه بخير».

ومن ثم شعرتُ بالحماقة، لا لم يكن بخير على الإطلاق. لقد توفِّيَت أمه للتو. لقد ترك الكُلية. كيف عساه أن يكون بخير؟ كيف عسانا جميعًا؟ لكنني أظن، بشكل ما، أنه بخير، لأنه أصبح لديه هدف مرة أخرى. لديه سبب للعيش. لديه هدف؛ ولديه عدو. إنها حوافز جيدة. حتى ولو كان عدوه هو أبوه.

قال السيد فيشر وهو يهز رأسه: «لا أعرف ما الذي يفكر فيه هذا الفتى».

ماذا عساي أقول ردًّا على ذلك؟ لم أعرف قط ما الذي يفكر فيه كونراد. وكنتُ واثقة من أنه لم يكن ثمة أناس كثيرون يعرفون. ورغم ذلك، شعرتُ برغبة في الدفاع عنه. في حمايته.

جلستُ أنا والسيد فيشر في صمت. صمت ليس مؤنسًا أو مستساغًا، صمت قاسٍ وموحش. لم يكن لديه مطلقًا أي شيء ليقوله لي، ولم أكن أعلم مطلقًا في أي شيء عساي أحدِّثه. وأخيرًا، تنحنح وقال: «كيف أحوال المدرسة؟».

فقلتُ وأنا أمضغ شفتي السفلى، وقد شعرتُ بكوني في سن الثانية عشرة: «انتهت الدراسة. لقد انتهت للتو. سأصبح من طلاب سنة التخرج هذا الخريف».

- هل تعرفين أي جامعة تريدين ارتيادها؟

- ليس بعد.

لقد أخطأتُ لإجابتي بهذا الشكل، أعرف ذلك، لأن الدراسة الجامعية والكُلِّيَّات هي إحدى الأشياء التي كان السيد فيشر مهتمًّا بالحديث عنها. أقصد، موضوع اختيار الجامعة المناسبة بالتحديد.

ومن ثم سكتنا مرةً أخرى.

كان هذا مألوفًا أيضًا. ذلك الشعور بالارتياع، ارتياع من هلاك وشيك. الشعور بأنني في ورطة. بأننا جميعًا كذلك.

الفصل الرابع والعشرون

مخفوق الحليب. كان مخفوق الحليب هو الشيء الذي يبرع فيه السيد فيشر. وعندما يأتي إلى المنزل الصيفي، يكون مخفوق الحليب موجودًا طوال الوقت. كان يشتري كرتونة من مثلجات نابولي[1]. اعتاد ستيفن وكونراد تفضيل نكهة الشوكولاتة، وفضَّل جيرمايا الفراولة، أما أنا فأحببتُ مزيج الشوكولاتة مع الفانيليا، مثل حلوى الحليب المجمدة تلك التي تُباع في مطاعم «ويندِيز» (Wendy's)، غير أن تلك الحلوى كانت أكثر كثافة في القوام. إن مخفوق الحليب الذي يعده السيد فيشر أفضل من ذلك الذي يُباع في مطاعم ويندِيز. كان لديه خلَّاط فاخر يحب استخدامه، الذي لم يكن من المفترض لأي منا نحن الصغار أن نعبث به. ليس لأنه قد قال ذلك بالضبط، لكننا كنا نعرف أنه لم يكن علينا فعل ذلك. ولم نفعل ذلك قط. حتى أتى جيرمايا بفكرة صنع مشروب «السلاش»[2] بعصير «الكولايد» المُثلَّج.

---

(1) مثلجات نابولي: هو نوع من المثلجات يباع في قالب يتكون من ثلاث نكهات مختلفة (الفانيليا، الشوكولاتة، الفراولة).

(2) مشروب السلاش: مشروب منعش يتميز بالثلج المجروش كمكوِّن أساسي.

لم تكن ثمة أي فروع من متجر «سفن-إلفن» (7-Eleven) في كازينز، وعلى الرغم من أننا كان لدينا مشروب مخفوق الحليب، فإننا أحيانًا كنا نتوق إلى احتساء السلاش. عندما يكون الجو حارًّا على نحو خاص بالخارج، كان أحدنا يقول: «يا ويحي! أريد شرب السلاش»، ومن ثم نظل جميعنا نفكر حياله طوال اليوم. لذا عندما أتت لجيرمايا تلك الفكرة لإعداد السلاش بشراب «كولايد»، كانت وكأنها قَدَرٌ يناديانا. كان في التاسعة من عمره وأنا في الثامنة، وفي ذلك الوقت بدت كما لو أنها أفضل فكرة في العالم، أفضل فكرة على الإطلاق.

نظرنا عاليًا إلى الخلَّاط، فوق الرف العلوي. كنا نعرف أننا سنحتاج إلى استخدامه... في الواقع، لقد كنا **نتوق** لاستخدامه. ولكن كانت هناك تلك القاعدة غير المعلنة بأننا يجب علينا عدم فعل ذلك.

لم يكن ثمة أحد في المنزل غيرنا. لن يضطر أحد إلى معرفة الأمر.

سألني أخيرًا: «أي نكهة تريدين؟».

وهكذا تقرَّر الأمر. هذا ما كان يحدث. شعرتُ بخوف تصحبه إثارة منعشة كذلك، لأننا كنا نفعل ذلك الشيء الممنوع. نادرًا ما انتهكتُ القواعد، لكن بدت هذه مثالًا جيدًا لقاعدة يمكن كسرها.

قلتُ: «الكرز الأسود».

بحث جيرمايا في الخزانة، لكنه لم يجد أي عبوات تحمل تلك النكهة.

سأل قائلًا: «ما النكهة التي تحتل المرتبة الثانية لديكِ؟».

- العنب.

قال جيرمايا إن شراب «السلاش-كولايد» بنكهة العنب يبدو جيدًا بالنسبة إليه كذلك. وكلما قال تلك الكلمات أكثر «شراب «السلاش-كولايد»» ازداد إعجابي بصوت نُطقها وأحببتُ سماعها أكثر.

أخذ جيرمايا مقعدًا وأنزل الخلَّاط من الرف العُلوي. وضع عبوتين كاملتين بنكهة العنب في الخلَّاط وأضاف كوبين بلاستيكيين كبيرين من السكر. وتركني أحرك الخليط. ثم أفرغَ نصف موزع الثلج في الخلَّاط، حتى صار

ممتلئًا إلى الحافة، ووضع الغِطاء وضغط عليه من الأعلى بالطريقة التي رأينا بها السيد فيشر يفعل ذلك مليون مرة من قبل.

سألني قائلًا: «أتريدينه مجروشًا؟ أم فراپيه؟».

هززتُ كتفيَّ. لم أكن قط أولي ذلك اهتمامًا كافيًا عندما استخدمه السيد فيشر.

قلتُ: «فراپيه، على الأرجح».

فقط لأنني أحببتُ الصوت الذي تنطق به كلمة «فراپيه».

لذا ضغط جيرمايا على الزر الذي يحمل كلمة فراپيه، وبدأ الخلَّاط في الفرم والأزيز. غير أن الجزء السفلي فقط من المكونات كان يختلط، لذا ضغط جيرمايا على زر «إسالة». استمر في الضغط عليه لمدة دقيقة، لكن بعد ذلك بدأت رائحة الخلَّاط تشبه المطاط المحترق، وخشيتُ أن يكون مثقلًا بكل تلك الكمية من الثلج.

قلتُ: «علينا تحريك الخليط أكثر. نحتاج إلى مساعدة ليمتزج بشكل أفضل».

أحضرتُ المعلقة الخشبية الكبيرة وفتحتُ غطاء الخلَّاط وقلَّبتُ المكونات جميعها معًا.

قلتُ: «أترى؟».

وضعتُ الغطاء مرة أخرى، لكنني أعتقد أنني لم أفعل ذلك بالإحكام الكافي، لأنه عندما ضغط جيرمايا زر «فراپيه»، أصبح مشروبنا المُثلَّج، السلاش بنكهة العنب، منتشرًا في كل أرجاء المكان. فوقنا، وفوق جميع الطاولات البيضاء الجديدة، وفوق جميع أنحاء الأرضية، وفوق حقيبة السيد فيشر الجلدية ذات اللون البُنِّي.

حدق بعضنا إلى بعض في رعب.

صاح جيرمايا وهو ينزع القابس الكهربائي: «بسرعة، أحضري مناديل ورقية!».

هرعتُ إلى حقيبة السيد فيشر، وأخذتُ أمسحها بالجزء السفلي من التي-شيرت الذي أرتديه. كان جلد الحقيبة ملطخًا بالفعل، وكان دبقًا.

همس جيرمايا قائلًا: «يا إلهي، إنه يحب تلك الحقيبة».

وقد كان كذلك بالفعل. وكانت الحروف الأولى لاسمه محفورة على قفلها النحاسي. كان يحبها بحق، ربما أكثر حتى من خلَّاطه الخاص.

شعرتُ بالاستياء، ووخزت الدموع جفنيَّ. كان ذلك كله خطئي. قلتُ: «أنا آسفة».

جثا جيرمايا على يديه وركبتيه، يمسح الأرضية. رفع رأسه لينظر إليَّ، وشراب «الكولايد» ذو نكهة العنب يقطر من جبينه.

- إنه ليس خطأك.

فقلتُ وأنا أفرك جلد الحقيبة: «بل إنه كذلك».

لقد بدأ التي-شيرت الخاص بي يتحول إلى اللون البني من شدة فرك الحقيبة.

وافقني جيرمايا قائلًا: «حسنًا، أجل، إنه كذلك نوعًا ما. (ثم مدَّ يده ولمس خدي بإصبعه ولعق بعض السكر) مذاقه طيب رغم ذلك».

وعندما عاد الجميع إلى المنزل، كنا نضحك ونزلق أقدامنا على الأرض بالمناشف الورقية. دخلوا إلى المنزل مرتدين أكياسًا ورقية طويلة، من ذلك النوع الذي يأتي فيه الكركند، ويجلب فيه ستيفن وكونراد أكواز الآيس كريم.

قال السيد فيشر: «ما هذا بحق الجحيم؟».

حاول جيرمايا النهوض قائلًا: «لقد كنا فقط....».

سلَّمتُ الحقيبة إلى السيد فيشر، ويداي ترتعشان.

همستُ قائلة: «أنا آسفة. لقد كان حادثًا».

أخذها مني ونظر إليها، إلى الجلد الملطخ.

سأل السيد فيشر بصرامة، ولكنه كان يسأل جيرمايا وقد بدت رقبته حمراء احمرارًا ساطعًا: «لماذا كنت نستخدم الخلَّاط الخاص بي؟ أنت تعلم أنك يجب ألا تستخدم خلَّاطي».

أومأ جيرمايا برأسه، وقال: «أنا آسف».

قلتُ بصوت خافت: «إنه خطئي».

فقالت أمي وهي تهز رأسها في وجهي: «أوه يا بيلي!».

ركعت على الأرض والتقطت المناشف الورقية المبللة. وكانت سوزانا قد ذهبت لتُحضر الممسحة.

زفر السيد فيشر بصوت عالٍ، وقال: «لماذا لا تستمع أبدًا عندما أخبرك بشيء؟ بحق السماء. هل أخبرتك أم لم أخبرك بعدم استخدام هذا الخلَّاط أبدًا؟ (عض جيرمايا شفته، ومن الطريقة التي لاحظتُ بها كيف كان ذقنه يرتجف، استطعتُ القول إنه كان حقًّا على شفا البكاء) أجبني حين أتحدث إليك».

عادت سوزانا في تلك اللحظة ومعها ممسحة ودلو. قالت وقد طوَّقت جيرمايا بذراعيها: «آدم، لقد كان حادثًا. دَعْهُ يمُر».

قال السيد فيشر: «سوز، إذا استمررتِ في تدليله، فلن يتعلم أبدًا. سيظل مجرد طفل صغير مدلل. جير، هل أخبرتك أم لم أخبرك بأنه يجب عليكم أيها الأطفال ألا تستخدموا الخلَّاط أبدًا؟».

امتلأت عينا جيرمايا بالدموع وأخذ يرمش بسرعة، لكن بضع أدمع نجحت في الفرار وانهمرت رغم ذلك. ومن ثم بضع أكثر. كان الأمر شنيعًا. شعرتُ بالحرج الشديد من أجل جيرمايا، وشعرتُ بالذنب أيضًا لأنني مَن جلبت له كل ذلك. ولكنني شعرتُ كذلك بارتياح لأنني لم أكن الشخص الذي وقع في المشكلة، ويبكي أمام الجميع.

ومن ثم قال كونراد: «لكن يا أبي، أنت لم تقل ذلك من قبل».

كان لديه لطخة من آيس كريم الشوكولاتة على خده.

فاستدار السيد فيشر ونظر إليه قائلًا: «ماذا؟».

- إنك لم تقل ذلك من قبل. كنا نعلم ضمنيًّا أنه ليس من المفترض لنا أن نفعل ذلك، لكنك واقعيًّا لم تقل ذلك مطلقًا من قبل.

بدا كونراد خائفًا، لكن صوته كان ثابتًا وواثقًا.

هزَّ السيد فيشر رأسه ونظر إلى جيرمايا مرة أخرى. وقال بخشونة: «اذهب ونظِّف نفسك».

كان مُحرَجًا. أستطيع قول ذلك.

حدَّقت إليه سوزانا وأخذَتْ جيرمايا إلى الحمَّام. كانت أمي تمسح الطاولات، وكتفاها مستقيمتان ومتصلبتان.

قالت: «ستيفن، اصطحب أختك إلى الحمَّام».

لم تترك نبرتها مجالًا للجدال، فأمسك ستيفن بذراعي وأخذني إلى الطابق العلوي.

سألتُ ستيفن قائلة: «أتعتقد أنني في ورطة؟».

مسح خديَّ بقسوة بقطعة مبللة من ورق المرحاض.

- أجل. ولكن ليس بقدر وضع السيد فيشر نفسه. ستذيقه أمي مرارًا لا مثيل له.

- ما الذي يعنيه هذا؟

هزَّ ستيفن كتفيه.

- مجرد شيء سمعته. هذا يعني أنه هو الذي في ورطة.

بعد أن أصبح وجهي نظيفًا، تسللتُ أنا وستيفن عائدين إلى الردهة. وجدنا أمي والسيد فيشر يتجادلان. نظر بعضنا إلى بعض، وقد اتسعت أعيننا عندما سمعنا أمنا تصيح قائلة: «أحيانًا تتصرف وكأنك قبعة على شكل مؤخرة يا آدم».

فتحتُ فمي، وكنتُ على وشك أن أشهق عاليًا في دهشة، عندما صفق ستيفن بيده على فمي وسحبني إلى غرفة الأولاد. أغلق الباب خلفنا، وعيناه تلمعان من فرط الإثارة. لقد سبَّت أمنا السيد فيشر.

قلتُ: «لقد نعتت أمي السيد فيشر بكونه قبعة على شكل مؤخرة!».

لم أكن أعرف حتى ما الذي يعنيه أن تصف شخصًا بكونه قبعة على شكل مؤخرة، لكنها بالتأكيد بدت مضحكة. تخيلتُ قبعةً تتخذ شكل مؤخرة تقبع فوق رأس السيد فيشر الكبير. ومن ثم قهقهتُ ضاحكة. كان كل شيء مثيرًا للغاية، وفظيعًا في الوقت نفسه. لم يقع أي منا في ورطة قط في المنزل الصيفي. ليست ورطة كبيرة على أي حال. لقد كان إلى حد كبير كمنطقة واسعة خالية من الورطات والمتاعب.

كانت الأمهات مسترخيات في المنزل الصيفي. في بيتنا، كان سيوبَّخ ستيفن لو تفوه بأي ردٍّ وقح، أما هنا، فلم تكن أمي تبدو على القدر نفسه من الاهتمام. لربما لأنه في منزل كازينز، لم نكن نحن الصغار مركز العالم. كانت أمي تنشغل بفعل أشياء أخرى، مثل زراعة النباتات والذهاب إلى المعارض الفنية مع سوزانا والرسم وقراءة الكتب. كانت منشغلة للغاية لدرجة أنها لم تغضب أو تنزعج. لم نكن نحظى بانتباهها كاملًا.

كان ذلك شيئًا جيدًا وسيئًا على حد سواء. جيد، لأننا كنا نفلتُ بأفعالنا إذا لعبنا على الشاطئ بعد موعد النوم، أو أسرفنا في تناول الحلوى، لم يكن أحد يهتم حقًّا. وسيئ، لأنه كان يراودني شعور غامض بأنني وستيفن لم نكن مُهِمَّين هنا، وأن هناك أشياء أخرى تشغل عقل أمي -ذكريات لم نكن جزءًا منها، حياة من قبل أن نُوجَد. وأيضًا، الحياة السرية داخلها، حيث لم يكن هنالك وجود لي أنا وستيفن. كان الأمر يشبه ذهابها في رحلاتها من دوننا- كنتُ أعلم أنها لم تكن تشتاق إلينا أو تفكر فينا كثيرًا.

كرهتُ تلك الفكرة، بيد أنها الحقيقة. كانت للأمهات حياة كاملة منفصلة عنا. وأعتقد أننا الصغار كنا كذلك أيضًا.

الفصل الخامس والعشرون

عندما كان جيرمايا وكونراد يسيران على الشاطئ ولوحاهما تحت ذراعيهما، راودتني فكرة مجنونة بأن أحاول تحذيرهما بطريقة ما، عن طريق صافرة أو شيء من هذا القبيل. ولكنني لم أكن أعرف كيف أُصَفِّر، لقد فات الأوان على أي حال.

وضعا اللوحين تحت المنزل، ومن ثم صعدا الدَّرَج ورأيانا جالسين هناك. تصلَّب جسد كونراد بأكمله، ورأيتُ جيرمايا يتمتم تحت أنفاسه قائلًا: «*اللعنة*».

ومن ثم قال جيرمايا: «مرحبًا يا أبي».

أما كونراد فمر أمامنا مباشرة وتوجه إلى داخل المنزل. تبعه السيد فيشر إلى الداخل، ونظرتُ أنا وجيرمايا إلى بعضنا بعضًا للحظة. مال مقتربًا مني وقال: «ما رأيكِ أن تُحضِري السيارة بينما أُحضر أنا أغراضنا؟ ومن ثم ننطلق هروبًا من هنا؟».

ضحكتُ، ومن ثم وضعتُ يدي على فمي. كنتُ أشك أن السيد فيشر سيقدِّر ضحكي، بينما كانت كل تلك الأمور الجدية تحدث. وقفتُ وزدتُ من إحكام لفة منشفتي حول جسدي، من تحت إبطيَّ. ثم دلفنا إلى الداخل أيضًا.

كان كونراد والسيد فيشر في المطبخ. رأيتُ كونراد يفتح عُلبة بيرة، ولا ينظر حتى إلى أبيه.

قال السيد فيشر: «ما الذي بحق الجحيم كنتم تلعبونه هنا يا صغار؟».

بدا صوته مرتفعًا حقًّا وكأنه شيء غير طبيعي في المنزل. كان يفتش من حوله في أرجاء المطبخ، وغرفة المعيشة.

بدأ جيرمايا يقول: «أبي...».

نظر السيد فيشر إلى جيرمايا وقال: «لقد اتصلت بي ساندي دوناتي هذا الصباح وأخبرتني بما حدث. كان من المفترض بك أن تعيد كونراد إلى الكُلية، وليس البقاء هنا.. وليس وليس للتجمع مع الأصدقاء والتدخل في عملية البيع».

رمش جيرميايا بعينيه، وقال: «مَن هي ساندي دوناتي؟».

قال كونراد: «إنها وكيلتنا العقارية».

أدركتُ أن فمي كان مفتوحًا، فأغلقته فورًا. طوَّقتُ نفسي بذراعيَّ بشدة، محاولة أن أصبح غير مرئية. ربما لم يفت الأوان بالنسبة إلي وإلى جيرمايا لنفرَّ هاربَيْن من هنا. ربما بتلك الطريقة لن يكتشف أبدًا أنني قد عرفتُ بأمر المنزل أيضًا. هل سيشكل فارقًا أنني لم أكن أعرف سوى منذ بعد ظهيرة اليوم فحسب؟ شككتُ في ذلك.

نظر جيرمايا إلى كونراد، ثم أعاد نظره إلى أبيه.

- لم أكن أعرف أن لدينا وكيلة عقارية حتى. لم تخبرني قط بأنك كنت تبيع المنزل.
- لقد أخبرتك أن الأمر محتمل.
- لم تخبرني قط بأنك كنت تنوي القيام بذلك بالفعل.

قاطع كونراد الحديث، موجهًا كلامه إلى جيرمايا فحسب: «الأمر لا يهم. إنه لن يبيع المنزل. (ارتشف بيرته بهدوء، وانتظرنا جميعًا لسماع ما سيقوله بعد ذلك) إنه ليس مِلكه ليبيعه».

فقال السيد فيشر بأنفاس ثقيلة: «أجل، إنه كذلك. أنا لا أفعل ذلك لأجلي. سيكون المال من أجلكما أيها الولدان».

- هل تعتقد أنني أهتم بشأن المال؟ (نظر كونراد إليه أخيرًا، بعينين باردتين. ونبرة فاترة) أنا لست مثلك. أنا لا يهمني المال. ما يهمني هو المنزل. منزل أمي.

- كونراد..

- ليس لك الحق في أن تكون موجودًا هنا. عليك أن تغادر.

ابتلع السيد فيشر ريقه. ورأيتُ تفاحة آدم خاصته تتحرك لأعلى وأسفل.

- كلا، لن أغادر.

- أخبر **ساندي** ألا تكلف نفسها عناء العودة.

تفوه كونراد بكلمة «ساندي» كما لو كانت إهانة. وهو ما أعتقد أنه كان مقصودًا.

قال السيد فيشر بصوت أجش: «أنا أبوكما. وقد تركت والدتكما لي الأمر لأقرره. وهذا ما كانت سترغب فيه».

تصدعت قوقعة كونراد الصلبة الرقيقة، وارتعش صوته حين قال: «لا تتحدث عما كانت سترغب فيه».

- لقد كانت زوجتي، اللعنة. أنا أيضًا قد خسرتُها.

ربما كان ذلك صحيحًا، لكنه كان الشيء الخطأ تمامًا ليقوله لكونراد في تلك اللحظة. لقد تسببت في انفجاره. لكمَ الحائط الأقرب إليه، وأنا جفلتُ. لقد صُدِمتُ لأنها لم تُخلِّف ثُقبًا في الحائط.

قال: «إنك لم تخسرها. لقد تركتَها. أنت لا تعرف أي شيء عما كانت سترغب فيه. إنك لم تكن موجودًا قط. لقد كنت أبًا فظيعًا وزوجًا أفظع. لذا لا تكلف نفسك عناء فعل الشيء الصحيح الآن. لقد أفسدت كل شيء فحسب».

قال جيرمايا: «كون، اصمت. فقط اصمت».

فاستدار كونراد وصاح قائلًا: «أما زلت تدافع عنه؟ هذا هو بالضبط السبب في أننا لم نخبرك!».

كرر جيرمايا قائلًا: «أننا؟».

نظر إليَّ حينها، تلك النظرة البائسة المصعوقة على وجهه اخترقتني.

بدأتُ في الكلام، في محاولة شرح الموقف، غير أنني بالكاد تمكنتُ من قول: «لقد عرفتُ الأمر اليوم فحسب، أقسم على ذلك».

وعندها قاطعني السيد فيشر قائلًا: «أنت لست الوحيد الذي يتألم يا كونراد. ولا يمكنك التحدث معي بتلك الطريقة».

- أعتقد أنني أستطيع.

ساد الغرفة هدوء قاتل، وبدا السيد فيشر وكأنه قد يضرب كونراد، لقد كان يتأجَّج غضبًا. كانا يحدقان إلى بعضهما بعضًا، وعرفتُ أن كونراد لن يكون أول مَن يتراجع. كان السيد فيشر هو من أشاح بنظره بعيدًا.

- عمَّال النقل عائدون يا كونراد. هذا سيتم. إن نوبة غضب لن توقفه.

غادر السيد فيشر بعد فترة وجيزة من ذلك. وقال إنه سيعود في الصباح، وقد بدت كلماته مهددة. قال إنه سيمكث في نُزل بالبلدة. بدا من الواضح أنه لم يطق الانتظار للخروج من ذلك المنزل.

وقف ثلاثتنا في المطبخ بعد رحيله، لم يقل أي منا أي شيء، على الأقل أنا لم أفعل. لم يكن من المفترض أن أكون هناك. لأول مرة، تمنيتُ لو كنتُ في البيت مع أمي وستيفن وتايلور، بعيدًا عن كل هذا. كان جيرمايا أول من تكلم. قال، كما لو كان يحدِّث نفسه تقريبًا: «لا أصدق أنه حقًّا يبيع منزل الشاطئ».

فقال كونراد بصرامة: «فلتصدِّق».

سأل جيرمايا قائلًا: «لماذا لم تخبرني بذلك؟».

نظر إليَّ كونراد قبل أن يقول: «اعتقدتُ أنك لست بحاجة إلى معرفة الأمر».

ضاقت عينا جيرمايا.

- ما الذي تقوله بحق الجحيم؟ إنه منزلي أنا أيضًا.

- جير، أنا نفسي قد اكتشفتُ الأمر للتو. (جلس كونراد فوق بار المطبخ، وطأطأ رأسه إلى أسفل) كنتُ في البيت أجمع بعضًا من ملابسي.

وحينها اتصلت، ساندي، الوكيلة العقارية، وتركت رسالة على جهاز الرد الآلي، مفادها أن عمَّال النقل كانوا آتين لنقل الأمتعة التي حزموها. فعدتُ إلى الكُلية وأحضرتُ أغراضي وجئتُ إلى هنا مباشرة.

لقد ترك كونراد الكُلية وكل شيء آخر ليأتي إلى المنزل الصيفي، وها نحن كنا نظنه فاشلًا يحتاج إلى من ينقذه. بينما في الواقع، كان هو مَن يحاول إنقاذ شيء ما.

شعرتُ بالذنب لأنني لم أفسر الشك لصالحه، وعلمتُ أن جيرمايا أيضًا قد شعر بالشيء نفسه. تبادلنا نظرة سريعة وعرفتُ أننا كنا نفكر في الشيء نفسه بالضبط. ومن ثم أعتقد أنه قد تذكر كونه غاضبًا مني أيضًا، فأشاح بنظره بعيدًا.

قال جيرمايا: «أهذا كل شيء إذن؟».

لم يجبه كونراد على الفور. ومن ثم نظر إلى الأعلى وقال: «أجل، أعتقد ذلك».

- حسنًا، أحسنتَ عملًا في اهتمامك بكل هذا يا كون.

فقال كونراد محتدًّا: «لقد كنتُ أتولى التعامل مع كل ذلك بمفردي. ليس الأمر وكأنني قد تلقيتُ أي مساعدة منك».

- حسنًا، ربما لو كنت أخبرتني بالأمر لكنتُ...

قاطعه كونراد قائلًا: «كنت ستفعل ماذا؟».

- كنتُ سأتحدث إلى أبي.

- أجل، بالضبط.

لم يكن من الممكن لنبرة كونراد أن تبدو أكثر ازدراءً.

- ما الذي يعنيه هذا بحق الجحيم؟

- هذا يعني أنك منشغل للغاية بلعق حذائه لدرجة أنك لا تستطيع رؤيته على حقيقته.

لم ينبس جيرمايا بكلمة واحدة بعد سماع ذلك على الفور، وكنتُ خائفة حقًّا مما سيؤول إليه الأمر. كان كونراد يبحث عن شِجار، وإن آخر شيء كنا

بحاجة إليه هو أن يبدأ الاثنان شِجارًا فوق أرضية المطبخ، ويكسرا الأشياء ويكسرا بعضهما بعضًا. هذه المرة، أمي ليست هنا لتوقفهما. لا يوجد غيري أنا، وبالكاد يُعد هذا شيئًا ذا جدوى على الإطلاق.

ومن ثم قال جيرمايا: «إنه أبونا».

كانت نبرته محسوبة، حازمة، وأطلقتُ تنهيدة ضئيلة لارتياحي. لن يكون هناك شجار، لأن جيرمايا لن يدع ذلك يحدث. لقد أعجبتُ به لذلك.

غير أن كونراد هزَّ رأسه في اشمئزاز قائلًا: «إنه كيسٌ من الأوساخ».

- لا تنعته بذلك.

- أي نوع من الرجال يخون زوجته ثم يتركها وهي مصابة بالسرطان؟ أي نوع من الرجال يفعل ذلك؟ لا أطيق حتى النظر إليه. إنه يصيبني بالغثيان، وهو يلعب دور الضحية الآن، الأرمل الحزين! ولكن أين كان عندما احتاجت إليه أمي يا جير، هاه؟

- لا أعرف يا كون. أين كنت أنت؟

ساد الصمت في الغرفة، وكنتُ أحس كما لو أن الجو مشحونٌ بالكهرباء، من الطريقة التي جفل بها كونراد، والطريقة التي حبس بها جيرمايا أنفاسه مباشرة بعد أن قالها. أراد أن يتراجع عمَّا قاله، أمكنني قول ذلك، وهو ما كان على وشك فعله، عندما قال كونراد بنبرة تحادثية: «تلك ضربة تحت الحزام».

قال جيرمايا: «أنا آسف».

هزَّ كونراد كتفيه، متجاهلًا إياه كما لو أن الأمر لا يهم على أي حال.

ومن ثم قال جيرمايا: «لماذا لا تدع الأمر يمر فحسب؟ لماذا عليك التشبث بكل الأشياء المزرية التي حدثت لك في أي وقت مضى من حياتك؟».

- لأنني أعيش في الواقع، وليس مثلك. أنت تفضل العيش في عالم خيالي على أن ترى الناس على حقيقتهم.

قال ذلك بطريقة جعلتني أتساءل عمَّن يتحدث عنه حقًّا.

احتدم جيرمايا. نظر إليَّ ثم إلى كونراد مجددًا وقال: «أنت تغار فحسب. اعترف بذلك».

- أغار؟

- أنت تغار لأن أبانا في علاقة فعلية الآن. لم يعد الأمر يتمحور حولك، وهذا يقتلك.

ضحك كونراد في واقع الأمر. كان صوت ضحكته مريرًا، فظيعًا.

- هذا هراء. (التفت إليَّ) بيلي، أتسمعين هذا؟ جيرمايا يعتقد أنني أغار.

نظر إليَّ جيرمايا نظرةً تبدو كما لو أنها تقول: كوني في **صفِّي**، وعرفتُ أنني لو فعلتُ ذلك، فسوف يسامحني لعدم إخباره بشأن المنزل. كرهتُ كونراد لأنه أقحمني في الوسط، لأنه خيَّرَني. لم أكن أعرف في صف أيٍّ منهما كنتُ. كلاهما كان على حق وكلاهما كان مخطئًا.

أعتقد أنني استغرقتُ وقتًا طويلًا للإجابة، لأن جيرمايا توقف عن النظر إليَّ وقال: «يا لك من وغد يا كونراد. أنت فقط تريد أن يكون الجميع بائسًا مثلك».

ثم خرج بعد ذلك. وانغلق الباب الأمامي خلفه.

شعرتُ بأنني عليَّ أن ألاحقه. شعرتُ وكأنني قد خذلته للتو عندما كان في مسيس الحاجة إليَّ.

ثم قال لي كونراد: «هل أنا وغد يا بيلي؟».

فتح علبة بيرة أخرى وكان يحاول جعل صوته يوحي بكونه غير مبالٍ بالمرة، لكن يده كانت ترتعش.

قلتُ: «أجل.. أنت حقًا كذلك».

مشيتُ إلى النافذة وشاهدتُ جيرمايا يركب سيارته. لقد فات الأوان لملاحقته؛ كان بالفعل ينسحب بالسيارة من أمام المنزل. وعلى الرغم من أنه كان غاضبًا، فإنه قد وضع حزام الأمام الخاص بمقعده.

قال كونراد: «سيعود».

ترددتُ ثم قلتُ: «ما كان عليك قول تلك الأشياء».

- ربما لا.

- ما كان عليك أن تطلب مني إخفاء الأمر عنه.

هزَّ كونراد كتفيه كما لو أنه قد تجاوز الأمر بالفعل، لكنه ما لبث أن نظر إلى الخلف نحو النافذة وعرفت أنه كان قَلِقًا. ألقى إليَّ بعُلبة بيرة فأمسكت بها. فتحتُ غطاءها العُلوي وشربتُ جرعة كبيرة. بالكاد شعرتُ بسوء طعمها. ربما أصبحتُ معتادة إياه. تمطَّقتُ شفتيَّ بصوت مرتفع.

راقبني أفعل ذلك، وكانت ثمة نظرة مضحكة على وجهه قال: «إذن بتِّ تحبين البيرة الآن، هاه؟».

هززتُ كتفيَّ. وقلتُ له: «لا بأس بها. (شعرتُ بأنني قد كبرتُ كثيرًا. غير أنني بعد ذلك أضفتُ...) ما زلتُ أفضل الكولا بنكهة الكرز رغم ذلك».

كاد يبتسم عندما قال: «بيلي بطباعها القديمة. أراهن أننا لو قطعنا جسدك، فسيتدفق السكر الأبيض منكِ».

قلتُ: «هذه أنا. سُكَّر وبهار وكل ما هو جميل».

فقال كونراد: «لست متأكدًا بشأن ذلك».

ومن ثم سادَ الهدوء بيننا. تناولتُ رشفة أخرى من البيرة ووضعتُها بجانب كونراد.

- أعتقد أنك حقًّا قد جرحت مشاعر جيرمايا.

هزَّ كتفيه قائلًا: «كان بحاجة إلى مواجهة الواقع».

- لم يكن عليك القيام بذلك على هذا النحو.

- أعتقد أنكِ أنتِ مَن جرح مشاعر جيرمايا.

فتحتُ فمي ثم أغلقته. لو سألته ما الذي يقصده بذلك، فسيخبرني. ولم أريده أن يفعل. لذا شربتُ البيرة خاصتي وقلتُ: «ماذا الآن؟».

لم يتركني كونراد أفلتُ بتلك السهولة. قال: «ماذا الآن بخصوصكِ أنتِ وجيرمايا أم أنتِ وأنا؟».

كان يستفزني وكرهته بسبب ذلك. كان باستطاعتي الشعور بوجنتيَّ تحترقان وأنا أقول: «ماذا الآن بخصوص هذا المنزل، هذا ما قصدته».

مال إلى الخلف ليستند إلى البار وقال: «لا يوجد شيء لفعله، حقًّا. أعني، يمكنني توكيل محامٍ. أبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا الآن. يمكنني المحاولة

والمماطلة. ولكنني أشك في أن ذلك من شأنه أن يفعل أي شيء. إن أبي عنيد، وطمَّاع أيضًا».

قلتُ، في تردد: «لا أعرف إن كان يفعل ذلك بدافع الطمع يا كونراد».

عبس وجه كونراد نوعًا ما.

- ثقي بي. إنه كذلك.

لم يسعني إلا أن أسأل قائلة: «وماذا عن دراستك الصيفية؟».

- الدراسة آخر ما يهمني الآن.

- ولكن...

- فلتدعي الأمر فحسب يا بيلي.

ثم خرج من المطبخ، وفتح الباب الجرار، وخرج من المنزل.

انتهت المحادثة.

الفصل السادس والعشرون

جيرمايا

طوال حياتي، كنتُ أتطلع لكونراد كمثل أعلى. لطالما كان دائمًا الأذكى والأسرع.. الأفضل ببساطة. والواقع، أنني حقًّا لم أحسده قط على ذلك. إنه كونراد ليس إلا. ليس بيده أنه كان بارعًا في فعل الأشياء. ليس بيده أنه لم يخسر مرة في لعبة «أونو» (Uno) ولا يفشل في السباقات ولا ينقص في الدرجات. ربما كان جزء مني يحتاج إلى ذلك، إلى شخص أتطلع إليه كمثل أعلى. أخي الكبير، الفتى الذي لا يمكن أن يخسر.

عندما كنتُ في الثالثة عشرة من عمري. كنا نتصارع معًا في غرفة المعيشة، لنصف ساعة. لطالما كان أبونا يحاول دفعنا للعب المصارعة. لقد كان في فريق المصارعة في الكُلية، وكان يحب تعليمنا أساليب جديدة. كنا نتصارع، وكانت أمي في المطبخ، تطهو المحار البحري الملفوف باللحم المقدد لأننا كنا سنستقبل ضيوفًا في تلك الليلة وكان هذا هو الطبق المفضل لوالدي.

كان أبي يقول: «ثبِّته يا كون».

كان تركيزنا بالكامل منصبًّا على القتال. لقد قلبنا بالفعل أحد شمعدانات أمي الفضية. بدا كونراد يتنفس بصعوبة؛ لقد توقع أن يهزمني بسهولة. ولكن مستواي كان يتحسن؛ لم أستسلم. كان رأسي مثبتًا تحت ذراعه فأمسكتُ بركبته وأصبح كلانا على الأرض. أمكنني الشعور بشيء ما يتغير؛ كدتُ أنال منه. كنتُ على وشك الفوز. وكان أبي سيصبح فخورًا جدًّا.

عندما ثبَّتُّه على الأرض، قال أبي: «كوني، أخبرتك أن تُبقي ركبتيك مثنيتين».

رفعتُ رأسي لأنظر إلى أبي، ورأيتُ تلك النظرة على وجهه. تلك النظرة التي ترتسم على وجهه في بعض الأحيان عندما لا يكون كونراد يفعل أمرًا صائبًا. كل الجلد من حول عينيه مشدود وكان منفعلًا انفعالًا شديدًا. لم ينظر إليَّ هكذا من قبل. لم يقل: «أحسنت عملًا يا جير. لقد بدأ فقط في انتقاد كونراد، وإخباره بكل الأشياء التي كان بإمكانه القيام بها بشكل أفضل. وقد أخذها كونراد بعين الاعتبار. كان يومئ لأبي برأسه، ووجهه أحمر، والعرق يتصبب على جبينه. ثم أومأ لي برأسه، وقال بطريقة جعلتني أعرف أنه كان يقصد ما يقوله حقًّا: «أحسنت عملًا يا جير».

وهنا وافقه أبي قائلًا: «نعم، أحسنت عملًا يا جير».

فجأةً، أردتُ البكاء. لم أرغب في هزيمة كونراد ثانية أبدًا. الأمر لا يستحق هذا العناء.

بعد كل ما حصل في المنزل، ركبتُ سيارتي وبدأتُ في القيادة فحسب. لم أكن أعرف إلى أين أنا ذاهب، وجزء مني لم يكن يرغب في العودة إلى المنزل أبدًا. جزء مني أراد ترك كونراد يتعامل مع كل الفوضى الناتجة عما حدث بمفرده، وهو بالضبط ما أراده منذ البداية. أن أدع بيلي تتعامل معه. سأتركهما يقومان بالأمر برُمَّتِه. ظللتُ أقود لنصف ساعة.

ولكن حتى وأنا أفعل ذلك، كنتُ أعلم أنني، في نهاية المطاف، سأعود أدراجي. لا يمكنني الرحيل بتلك البساطة. ذلك أسلوب كونراد، وليس أسلوبي.

وقد كان بمنزلة ضربة تحت الحزام بالفعل، ما قلته له حول عدم وجوده لأجل أمنا. لم يكن الأمر كما لو أنه كان يعلم متى ستموت. لقد كان في الكُلية. لم يكن ذنبه. ولكنه لم يكن موجودًا حين ساءت الأمور مرة أخرى. لقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة، لم يكن من الممكن أن يعرف. لو عِلم، لبقي في المنزل، أعلم أنه كان سيفعل.

لم يكن أبونا مطلقًا ليفوز بجائزة الأب المثالي للعام. لقد كان مَشُوبًا بالأخطاء، هذا مؤكد. ولكن في النهاية، عندما تطلَّب الأمر، عاد إلى بيته. قال كل الأشياء الصحيحة. لقد جعل أمنا سعيدة. كونراد فقط لم يستطع إدراك الأمر. ولم يرغب في ذلك.

لم أعد إلى المنزل على الفور. توقفتُ أولًا عند مطعم البيتزا. كان وقتَ العَشاء، وليس ثمة أي طعام في المنزل. كان هناك فتى أعرفه، ميكي، يعمل على تسجيل الطلبات. طلبتُ بيتزا بحجم كبير ومعها جميع الإضافات، ومن ثم سألته ما إذا كان رون في الخارج يسلِّم أحد الطلبات. وقال ميكي، أجل، وإن رون سيعود بعد قليل، وعليَّ انتظاره.

يعيش رون في شاطئ كازينز طوال السنة. كان يرتاد كلية المجتمع في أثناء النهار ويُوصِّل البيتزا في الليل. إنه فتى لطيف هيِّن. لقد كان يشتري البيرة للأطفال تحت السن القانونية حسب ما أتذكر. لو أعطيته عشرين دولارًا، سيسدي لك أي خدمة تريدها. كل ما كنتُ أعرفه هو، لو أن هذه ستكون ليلتنا الأخيرة، فلا يمكنها أن تنتهي هكذا.

عندما عدتُ إلى المنزل، وجدتُ كونراد جالسًا في الشرفة الأمامية. كنتُ أعلم أنه ينتظرني؛ كنتُ أعلم أنه قد شعر بالسوء لما قاله. قرعتُ بوق السيارة، وأخرجتُ رأسي من النافذة، وصحتُ قائلًا: «تعال وساعدني في حمل هذه الأشياء».

نزل إلى السيارة، وتفقَّد عُلب البيرة وكيس الخمور، وقال: «رون؟».

- أجل.

التقطتُ عُلبتي بيرة وسلمتُهما له. قلتُ: «فلنحتفل».

الفصل السابع والعشرون

بعد الشجار، وبعد أن غادر السيد فيشر، صعدتُ إلى غرفتي وبقيتُ هناك. لم أرغب في الوجود في الأرجاء عندما يعود جيرمايا، في حال أراد هو وكونراد أن يبدآ جولة ثانية. فعلى عكسي أنا وستيفن، هذان الاثنان نادرًا ما يتشاجران. طوال الوقت الذي عرفتهما فيه، لم أرهما يفعلان ذلك إلا نحو... ثلاث مرات. كان جيرمايا يتطلع إلى كونراد كمثل أعلى، وكونراد يتولى رعاية جيرمايا ويعتني به. إن الأمر بهذه البساطة.

بدأتُ أبحثُ في الأدراج والخزانة لأرى ما إذا كان أي من أغراضي لا يزال هناك. كانت أمي صارمة للغاية بشأن أخذِنا لجميع أغراضنا في كل مرة نغادر فيها، لكن مَن يعلم. فكرتُ في أن التأكد لن يضر، فعلى الأرجح أن السيد فيشر سيخبر عمَّال النقل بالتخلص من كل الأغراض غير المرغوب فيها.

وجدتُ في قعر الدُّرج السفلي من المكتب دفتر ملاحظات قديمًا منذ الأيام التي كنتُ فيها من مهووسي «هاريت الجاسوسة» (Harriet the Spy). كانت كل صفحاته ملونة بأقلام التظليل ذات الألوان الوردي والأخضر

والأصفر. لقد تتبعتُ الأولاد في جميع الأنحاء لأيام، وأخذتُ أسجِّل ملاحظات فيه حتى دفعتُ ستيفن للجنون وأخبر أمي عني.

لقد كتبتُ:

28 يونيو: ضبطتُ جيرمايا يرقص أمام المرآة بينما كان يعتقد أنه لا أحد يراقبه. ولكن للأسف الشديد أنا كنتُ هناك!

30 يونيو: أكل كونراد كل المصاصات المُثلجة زرقاء اللون مجددًا رغم أنه لم يكن من المفترض أن يفعل. ولكنني لم أشِ به.

1 يوليو: ركلني ستيفن دون سبب.

لقد سئمتُ منه بحلول منتصف يوليو وتوقفتُ عن فعل ذلك. كنتُ طفلة مزعجة في ذلك الوقت. كانت نسخة الطفلة ذات الأعوام الثمانية ستحب المشاركة في هذه المغامرة الأخيرة، كانت ستحب حقيقة أنني تمكنتُ من التسكع مع الأولاد بينما كان على ستيفن البقاء في المنزل.

وجدتُ بعض الأغراض الأخرى، عبوة ملمِّع شفاه بالكرز نصف مستخدمة تشبه الخردة، وزوجين من عصابات الشعر المُترَّبة. وعلى الرف، كانت ثمة كتب «جودي بلوم» القديمة خاصتي ومن ثم كتب «فيرجينيا أندروز» (Virgina Andrews) مخبَّأة خلفهم. فكرتُ أن أترك كل تلك الأشياء ورائي فحسب.

الشيء الوحيد الذي كان عليَّ أخذه هو جونيور مِنت، دُبِّي القطبي المحشو القديم، ذلك الذي فاز به كونراد في تلك المرة على الممشى الخشبي منذ مليون سنة مضت. لم أتمكن من ترك جونيور مِنت يُرمى وكأنه خردة.

بقيتُ في الأعلى لبعض الوقت، أتأمل أغراضي القديمة فحسب. وجدتُ شيئًا واحدًا آخر يستحق الاحتفاظ به. تليسكوب لعبة. أتذكر اليوم الذي اشتراه

أبي لي فيه. لقد كان من أحد متاجر الأنتيكات الصغيرة على طول الممشى الخشبي. كان هنالك وقت كنتُ مهووسة فيه بالنجوم والمذنَّبات والمجموعات النجمية، وقد اعتقد أنني سأكبر لأصبح عالمة فلك. لقد كانت مجرد مرحلة، غير أنها كانت ممتعة في حينها. أحببتُ الطريقة التي كان أبي ينظر بها إليَّ حينها، وكأني أشبهه، وكأني بالفعل ابنة أبي.

إنه لا يزال ينظر إليَّ بتلك الطريقة أحيانًا. عندما أطلبُ صلصة التاباسكو في المطاعم، وعندما أحوِّل محطة الراديو إلى الإذاعة الوطنية العامة من دون أن يطلب ذلك. لقد أحببتُ صلصة التاباسكو، ولكنني لم أحب الإذاعة الوطنية العامة كثيرًا. كنتُ أفعل ذلك لأنني علمتُ أن ذلك سيجعله فخورًا.

كنتُ سعيدة أنه أبي، وليس السيد فيشر. لم يكن ليصرخ أو يلعن في وجهي أبدًا، أو يغضب لانسكاب مشروب «كولايد». لم يكن هذا النوع من الرجال. لم أكن قط أُقَدِّر بدرجة كافية أي نوع من الرجال هو.

الفصل الثامن والعشرون

نادرًا ما أتى أبي إلى المنزل الصيفي، ربما لقضاء عطلة نهاية أسبوع في أغسطس، وهذا كان كل شيء تقريبًا. لم يخطر ببالي قط أن أتساءل لماذا. كانت ثمة عطلة نهاية أسبوع واحدة يأتي فيها هو والسيد فيشر في الوقت نفسه. كما لو كان بينهما الكثير من الأشياء المشتركة، كما لو كانا صديقين أو شيء من هذا القبيل. ولكن في واقع الأمر لا يمكن لهما أن يكونا أكثر اختلافًا. إن السيد فيشر يحب التحدث، والتحدث، والتحدث، أما أبي فكان يتحدث فقط عندما يكون لديه ما يقوله. إن السيد فيشر يتابع برنامج الأخبار الرياضية دائمًا، بينما نادرًا ما يشاهد أبي التلفاز. وإذا فعل، فبالتأكيد ليس البرامج الرياضية.

كان الآباء والأمهات ذاهبين إلى مطعم فاخر في «دايرزتاون». كانت ثمة فرقة تعزف هناك في ليالي السبت وكانت لديهم حلبة رقص صغيرة. كان من الغريب التفكير في كون والداي يرقصان. لم أرهما يرقصان من قبل، لكنني كنتُ متأكدة من أن سوزانا والسيد فيشر كانا يرقصان طوال الوقت. لقد رأيتهما مرة، في غرفة المعيشة. تذكرتُ كيف احمرَّ كونراد خجلًا والتفت بعيدًا.

كنتُ مستلقية على بطني، فوق سرير سوزانا، أشاهد أمي وهي تَجهز في الحمَّام الرئيسي. لقد أقنعتْ سوزانا أمي بارتداء أحد فساتينها الخاصة؛ كان فستانًا أحمر اللون وله فتحة عنق عميقة مثلثة الشكل.

سألتْ أمي في غير تأكد: «ما رأيكِ يا بيك؟».

أستطيع القول إنها شعرت بغرابة وشيء من الرغبة في الضحك حيال مظهرها به. فهي عادة ما ترتدي السراويل.

- رأيي أنكِ تبدين رائعة. أعتقد أن عليكِ الاحتفاظ به. الأحمر يليقُ بكِ كثيرًا يا لور.

كانت سوزانا تعقِص رموشها وتفتح عينيها على مصراعيهما في المرآة.

عندما غادروا، أخذتُ أدرِّب نفسي على استخدام مِعقص الرموش. لم يكن لدى أمي واحد. كنتُ أعرف محتويات حقيبة مكياجها، إنها بلاستيكية خضراء اللون واحدة من الحقائب التي تأتي كهدية مع شراء منتجات شركة «كلينيك» (Clinique). كانت تحوي: مرطب شفاه من «بورتز بيز» (Burt's Bees) وقلم تحديد عيون، وأنبوبًا باللونيين الأخضر والزهري من ماسكارا من نوع «ميبيلين» (Maybelline)، وزجاجة من واقي الشمس. كانت مملة.

أما حقيبة مكياج سوزانا فكانت كنزًا دفينًا. كانت حقيبة بتصميم جلد الثعبان باللون الأزرق الداكن ولها قفل ذهبي ثقيل محفور عليه الأحرف الأولى من اسمها. وفي الداخل كانت لديها عبوات صغيرة وباليتات من ظلال العيون وفُرَش من فراء السمور وعينات من العطور. لم تكن تتخلص من أي شيء مطلقًا. كنتُ أحب أن أفرزها وأنظم كل شيء في صفوف مرتبة حسب اللون. أحيانًا كانت تعطيني أحمر شفاه أو عينة من ظلال العيون، لكن ليس بألوان داكنة للغاية.

سألتني سوزانا: «بيلي، هل تريدينني أن أضع لكِ المكياج على عينيكِ؟».

نهضتُ جالسةً.

- أجل!

فقالت أمي وهي تمرر المِشط في شعرها: «بيك، أرجوكِ، لا تجعلي عينيها تبدوان كأعين فتيات الليل ثانيةً».

رمقتها سوزانا بنظرة وقالت: «ذلك يسمى مكياج العيون الدُخانيَّ».

فسارعتُ بالقول: «أجل يا أمي، إنه مكياج العيون الدُخانيَّ».

أشارت لي سوزانا بإصبعها لأقترب قائلة: «تعالي يا بيلي».

ركضتُ إلى الحمَّام وأجلستُ نفسي فوق الكاونتر. كنتُ أحب الجلوس على ذلك الكاونتر وساقاي تتدليان، أستمع إلى كل شيء تقوله الفتيات كأنني واحدة منهن.

غمَسَتْ فرشاة صغيرة في عبوة من الحكل الأسود.

قالت: «أغمضي عينيكِ».

أطعتُها، ومرَّرَت سوزانا الفرشاة على طول خط رموشي العلوي، وأخذت تدمجه بخبرة وتوزِّع اللون بطرف إصبعها. ومن ثم وضعت مسحة من ظلال الجفون على جفنيَّ وتهزهزتُ في جلستي بحماس. كنتُ أحب حين تزبنني سوزانا؛ لم أكن أستطيع الانتظار حتى اللحظة التي سأرى فيها مظهري النهائي.

سألتُ: «هل سترقصين أنتِ والسيد فيشر الليلة؟».

ضحكت سوزانا.

- لا أعرف. ربما.

- أمي، هل سترقصين أنتِ وأبي؟

ضحِكَتْ أمي أيضًا.

- لا أعرف. ربما لا. أبوكِ لا يحب الرقص.

قلتُ، وأنا أحاول الالتفات لإلقاء نظرة خاطفة على مظهري الجديد: «أبي ممل».

وبلطف، وضعت سوزانا يديها على كتفيَّ وأعادتني إلى جلستي المستقيمة.

قالت أمي: «إنه ليس مملًّا. إن لديه اهتمامات مختلفة فحسب. كنتِ تستمتعين عندما كان يُعلِّمكِ المجموعات النجمية، أليس كذلك؟».

هززتُ كتفيَّ وقلتُ: «بلى».

وذكرتني أمي قائلةً: «كما أنه صبور جدًّا، ودائمًا ما يستمع إلى قصصكِ».

- صحيح. ولكن ما علاقة ذلك بكونه مملًّا.

- ليس له علاقة بشكل كبير، في اعتقادي. ولكن له علاقة بكونه أبًا جيِّدًا، وأعتقد أنه كذلك بالفعل.

وافقتها سوزانا قائلة: «بالتأكيد هو كذلك. (وتبادلتا هي وأمي نظرة من فوق رأسي) فلتُلقي نظرةً على نفسك».

التفتُّ ونظرتُ إلى المرآة. بدت عيناي رماديتين وغامضتين بذلك المكياج ذي المظهر الدُخَّانيِّ للغاية. شعرتُ كما لو أنني كان يجب أن أكون أنا الشخص الذي سيخرج للرقص.

قالت سوزانا بنبرة انتصار: «انظري، إنها لا تبدو كفتاة ليل».

قالت أمي: «إنها تبدو كما لو أنها تمتلك عينين سوداوين».

- كلا، لا أبدو كذلك. أبدو غامضة. أبدو ككونتيسة.

قفزتُ لأنزل من فوق كاونتر الحمَّام. وقلتُ: «شكرًا لكِ يا سوزانا».

- على الرحب والسعة في أي وقتٍ يا حُلوتي.

قبَّلنا بعضنا بعضًا قُبلة في الهواء مثل سيدتين تتناولان الغداء. ثم أمسكَتْ بيدي وأخذتني إلى خزانتها. سلَّمَت لي صندوق جواهرها وقالت: «لديكِ ذوق رائع يا بيلي. هلَّا تساعدينني في اختيار بعض الجواهر لأرتديها الليلة؟».

جلستُ على سريرها ومعي الصندوق الخشبي وأخذتُ أتفحص محتوياته بعناية. وجدتُ ما كنتُ أبحث عنه.. قرطيها المتدليين المصنوعين من الأوبال مع خاتم من الأوبال المطابق لهما.

قلتُ وأنا أمدُّ لها كفي وفوقه قطع الجواهر: «ارتدي هؤلاء».

أطاعتني سوزانا، وفي أثناء ما كانت ترتدي القرطين، قالت أمي: «لا أعرف ما إذا كان هذا ملائمًا حقًّا».

ولمَّا أعدتُ النظر في تأمل، لم أعتقد أن هذا الحليَّ كان ملائمًا بالفعل. لكنني أحببتُ تلك الجواهر المصنوعة من الأوبال. لقد أعجبتني أكثر من أي شيء آخر. لذلك قلتُ: «أمي، ما الذي تعرفينه عن الأناقة؟».

وعلى الفور، أصابني قلق من أنها قد تغضب، لكنها قد انزلقت من فمي، وكان ما قلته صحيحًا في نهاية المطاف. إن كل معرفة أمي عن الجواهر تضاهي ما تعرفه عن المكياج. غير أن سوزانا ضحكت، وأمي كذلك.

أَمَرَتْ أمي قائلة: «اذهبي إلى الطابق السفلي وأخبري الرجال بأننا سنكون جاهزتين للذهاب في خلال خمس دقائق، أيتها الكونتيسة».

قفزتُ عن السرير وانحنيتُ بشكل دراماتيكي قائلة: «أمركِ يا أمي».

ضحكت كلتاهما. قالت أمي: «هيا، اذهبي أيتها العفريتة».

ركضتُ نزولًا إلى الطابق السفلي. عندما كنتُ طفلة، في أي وقت أذهب فيه إلى أي مكان، كنتُ أركض.

صحتُ قائلة: «إنهما جاهزتان تقريبًا».

كان السيد فيشر يُري أبي صنارة صيده الجديدة. وبدا على أبي الارتياح لرؤيتي، وقال: «بيلي، ما الذي فعلتاه بكِ؟».

- لقد وضعت لي سوزانا بعض المكياج. هل أحببت مظهري؟

أشار إليَّ أبي لأقترب، وهو يرمقني بتلك النظرات الجادة.

- لستُ واثقًا. تبدين أكبر بكثير، تبدين ناضجة وراشدة للغاية.

- فعلًا؟

- أجل. ناضجة جدًّا جدًّا.

حاولتُ إخفاء فرحتي وأنا أفسح لنفسي مكانًا في حضن أبي وأريح رأسي فوق ضلوعه. فبالنسبة لي، لن تكن ثمة مجاملة أفضل من أن أوصَف بكوني كبيرة وناضجة.

غادروا جميعًا بعد ذلك بقليل، الأبوان ببنطالين مكويين باللون الكاكي وقميصين، والأُمَّان في فستانيهما الصيفيين. لم يبد السيد فيشر وأبي مختلفين كثيرًا في مظهرهما بتلك الملابس. عانقني أبي مودِّعًا وقال إنه إذا كنتُ لا أزال مستيقظة عند عودتهم، فسنجلس في التِّراس لبعض الوقت ونتأمل السماء بحثًا عن الشهب. أما أمي فقالت إنهم على الأغلب سيعودون في وقت متأخر جدًّا على فعل ذلك، لكن أبي غمز لي بعينه.

وفي طريقهم إلى الخارج، همس لأمي بشيء جعلها تغطي فمها وتضحك ضحكة خافتة. تساءلتُ في نفسي عما قاله.

كانت واحدة من آخر المرَّات التي أتذكرهما فيها سعيدين. أتمنى حقًّا لو أنني قد أعطيتها حقها واستمتعتُ بها أكثر.

لطالما كان أبواي مستقرين، ومملين بقدر ما يمكن لأي والدين أن يكونا مملين. لم يتشاجرا قط. كان والدا تايلور يتشاجران طوال الوقت. ففي الأيام التي كنتُ أذهب فيها للمبيت مع تايلور، كان السيد جويل يعود متأخرًا إلى المنزل وتكون والدتها غاضبة بحق، تتجول في الأرجاء وهي تقرع نعليها وتُخَبِّط الأواني وتُحدِث ضجيجًا في أثناء تجهيز الأطباق. وعندما نجلس إلى طاولة العشاء، كنتُ أحاول الغرق في مقعدي أكثر وأكثر، وكانت تايلور فقط تواصل الحديث حول أشياء غبية. مثل ما إذا كانت فيرونيكا جيرارد ترتدي الجوارب نفسها ليومين على التوالي في صالة الألعاب الرياضية أو ما إذا كان علينا التطوع لنصبح من الفتيات اللواتي يحملن المياه على أرض الملعب للاعبي فريق الناشئين لكرة القدم الأمريكية عندما كنا في السنة الأولى من دراستنا الثانوية.

عندما انفصل والداها، سألتُ تايلور لو أنها، بطريقة ما ولو بسيطة، قد شعرت بالارتياح. قالت لا. قالت إنه على الرغم من شجارهما طوال الوقت، فإنهما على الأقل كانا يمثِّلان عائلة.

قالت: «لم يسبق لوالديكِ أن تشاجرا حتى».

وكان بإمكاني سماع الازدراء في صوتها.

كنتُ أعرف ما قصدَتْه. كنتُ أتساءل بشأن ذلك أيضًا. كيف يمكن لشخصين كانا مغرمين بشدة بعضهما ببعض ذات يوم ألا يتشاجرا مطلقًا؟ ألم يهتما بما فيه الكفاية للمحاربة، ليس فقط من أجل بعضهما بعضًا، لكن أيضًا من أجل زواجهما؟ هل كانا حقًّا واقعين في الحب؟ هل كان شعور أمي تجاه أبي ما أشعر به نفسه تجاه كونراد.. هذا الشعور بالحيوية المفعمة، والجنون، والانتشاء بالغرام؟ كانت تلك أسئلة تطاردني. لم أرغب في ارتكاب الأخطاء نفسها التي ارتكبها والداي. لم أرغب في أن يتلاشى حبي ذات يوم وكأنه ندبة قديمة. أردته أن يظل مشتعلًا إلى أبد الآبدين.

الفصل التاسع والعشرون

عندما عدتُ أخيرًا إلى الطابق السفلي، كان الظلام قد خيَّم بالخارج، وجيرمايا قد عاد. كان هو وكونراد جالسين على الأريكة يشاهدان التلفاز وكأن الشجار لم يحدث على الإطلاق. أعتقد أن تلك كانت طريقة تعامل الأولاد معًا. فعندما أتشاجر أنا وتايلور، كنا نظل غاضبتين من بعضنا بعضًا لأسبوع على الأقل ونخوض صراعًا شرسًا حول مَن منا ستحتفظ بحيازة مَن مِن بقية أصدقائنا. كنا نسأل كاتي أو مارسي قائلين: «في صف مَن أنتِ؟». كنا نتلفظ بكلام جارح لا يمكن التراجع عنه ومن ثم نبكي ونتصالح. بطريقة ما كنتُ أشك في أن كونراد وجيرمايا كانا يبكيان ويتصالحان بينما كنتُ في الطابق العلوي.

تساءلتُ عما إذا كنتُ سأنال السماح أيضًا، لإخفائي سرًّا عن جيرمايا، لعدم الوقوف في صف أحدهما.. في صفه. لأن الحق كان معه، لقد أتينا إلى هنا معًا كحليفين، كفريق، ولما احتاج إلي، خذلته. وقفتُ هناك، بجانب الدَّرَج لثانية، غير واثقة مما إذا كنتُ سأذهب إليهما أم لا، ثم رفع جيرمايا رأسه، وعرفتُ. عرفتُ أنه قد سامحني. لقد ابتسم، ابتسامة حقيقية، وابتسامة حقيقية من

جيرمايا كانت من النوع الذي من شأنه أن يُذيب الآيس كريم. ابتسمتُ له بدوري، في امتنان كبير.

قال: «كنتُ للتو على وشك المجيء إليكِ. لدينا حفلة».

كانت ثمة عُلبة بيتزا فوق طاولة القهوة.

سألتُ قائلة: «حفلة بيتزا؟».

لقد اعتادت سوزانا إقامة حفلات البيتزا لنا نحن الصغار طوال الوقت. لم يكن الأمر مجرد «بيتزا للعشاء». كانت حفلة بيتزا. لكن هذه المرة، كانت تتضمن البيرة، والتيكيلا. إذًا كانت هذه هي. ليلتنا الأخيرة. كانت ستبدو أكثر واقعية بكثير لو كان ستيفن هنا أيضًا. كانت ستبدو أكثر اكتمالًا، أن نجتمع نحن الأربعة معًا من جديد.

- لقد صادفتُ بعض الناس في البلدة. سيأتون لاحقًا وسيحضرون معهم برميلًا.

كررتُ قائلة: «برميل؟».

- أجل. برميل، كما تعلمين، برميل خمر.

قلتُ: «أوه، صحيح، برميل خمر».

ثم جلستُ على الأرض وفتحتُ عُلبة البيتزا. كانت ثمة شريحة واحدة متبقية، وكانت صغيرة الحجم. قلتُ وأنا أحشوها في فمي: «إنكما لخنزيرين يا صديقيَّ».

قال جيرمايا: «أووبس، عفوًا».

ثم ذهب إلى المطبخ، وعندما عاد، كانت معه ثلاثة أكواب. كان يحمل أحد الأكواب في ثنية مِرفقه. أعطاني ذلك الكوب. وقال: «في صحتِك».

وأعطى لكونراد كوبًا كذلك.

تشممتُ المشروب في ريبة. كان لونه بنيًّا فاتحًا، وكانت ثمة شريحة ليمون تطفو على سطحه.

قلتُ: «رائحته قوية».

فقال مُغنِّيًا: «هذا لأنه تيكيلا. (ثم رفع كوبه في الهواء) في نخب آخر ليلة».

فرددنا قائلين: «في نخب آخر ليلة».

كلاهما شرب كوبه على جرعة واحدة. أخذتُ رشفة صغيرة من كوبي، ولم يكن الأمر سيئًا للغاية. لم أتذوق التيكيلا قطُّ من قبل. شربتُ ما تبقى بسرعة».

قلتُ: «إنه جيد جدًّا. ليس قويًّا على الإطلاق».

فانفجر جيرمايا ضاحكًا.

- هذا لأن كوبك يحتوي على نسبة خمسة وتسعين في المئة من الماء.

ضحك كونراد أيضًا. وحدَّقتُ إلى كليهما في غضب.

قلتُ: «هذا ليس عدلًا. أريد أن أشرب ما تشربانه يا رفيقين».

قال جيرمايا وهو يسقط على الأرض بجانبي: «آسف، لكننا لا نقدم خدماتنا للقُصَّر هنا».

لكمته في كتفه.

- أنت قاصر أيضًا، أيها الغبي. جميعنا كذلك.

- أجل، لكنكِ قاصرة بحق. كانت أمي لتقتلني.

كانت هذه المرة الأولى التي يذكر فيها أي منا سوزانا. اندفعت نظراتي نحو كونراد، غير أن وجهه كان كصفحة فارغة. أطلقتُ تنهيدة. ومن ثم خطرت لي فكرة، أفضل فكرة على الإطلاق. قفزتُ ناهضة وفتحت دَرَفات وِحدة حامل التلفاز. مررتُ أصابعي على طول أدراج أقراص الفيديو الرقمية (DVD) وأشرطة الفيديو المنزلية، وجميعها مُصَنَّفة بعناية ومُعَنونَة بخط سوزانا المائل ذي الحروف المتصلة. ووجدتُ ما كنتُ أبحث عنه.

سأل جيرمايا قائلًا: «ماذا تفعلين؟».

قلتُ، من دون أن ألتفت لهما: «فقط انتظر».

شغَّلتُ التلفاز وأدخلتُ شريط الفيديو.

وعلى الشاشة، ظهر كونراد، في سن الثانية عشرة، بتقويم الأسنان وبشرة سيئة. كان مستلقيًا فوق ملاءة الشاطئ، عابس الوجه. لم يسمح لأي أحد أن يلتقط له صورًا في ذلك الصيف.

كان السيد فيشر خلف الكاميرا، كما هو الحال دائمًا، يقول: «هيَّا، قل «عيد استقلال سعيد» يا كوني».

نظرنا أنا وجيرمايا بعضنا إلى بعض وانفجرنا ضاحكين. حدَّق كونراد إلينا بنظرات مستشيطة. تحرك من أجل الحصول على جهاز التحكم عن بُعد، لكن جيرمايا وصل إليه أولًا. وضعه فوق رأسه، وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه من كثرة الضحك. بدأ الاثنان يتصارعان معًا، وبعد ذلك توقَّفا.

لقد ركَّزَت الكاميرا على سوزانا، وهي مرتدية قبعة الشاطئ الكبيرة خاصتها وقميصًا أبيض طويلًا فوق ثوب سباحتها.

«سوز، عزيزتي، كيف تشعرين اليوم، في عيد ميلاد أُمَّتنا؟».

رفعَتْ بؤبؤي عينيها قائلةً: «أعطني قسطًا من الراحة يا آدم. فلتذهب لتصوير الأطفال».

ومن ثم، من تحت قبعتها، ابتسمت.. تلك الابتسامة المتئدة، العميقة. كانت ابتسامة امرأة أحبَّت بصدق وحق الشخص الذي يحمل كاميرا الفيديو.

توقف كونراد عن القتال من أجل جهاز التحكم عن بُعد وأخذ يشاهد للحظة، ثم قال: «أطفئه».

قال جيرمايا: «بحق السماء، دعنا نشاهد فحسب».

لم يقل كونراد أي شيء ولكنه لم يتوقف عن المشاهدة كذلك.

ومن ثم توجهت الكاميرا نحوي، وأخذ جيرمايا يضحك مجددًا. وكونراد أيضًا. هذا ما كنتُ أنتظره. كنتُ أعلم أن من شأنه أن يجلب الضحك.

أنا، مرتدية نظَّارات ضخمة وتانكيني مخطط بألوان قوس قزح، ومعدتي المستديرة بارزة من خلاله مثل طفلة في الرابعة من العمر. كنتُ أصرخ بأعلى صوتي، وأركض هربًا من ستيفن وجيرمايا. كانا يطاردانني حاملَيْن ما يزعمان أنه قنديل، لكني اكتشفتُ لاحقًا أنها كانت مجموعة من الطحالب

البحرية. كان شعر جيرمايا أشقر وأقرب للبياض تحت ضوء الشمس، وبدا شكله تمامًا كما أتذكره.

قال وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه من كثرة الضحك: «بيلي، إنك تبدين مثل كرة الشاطئ».

ضحكتُ أيضًا، قليلًا، وقلتُ: «تابع المشاهدة! كان ذلك الصيف رائعًا حقًّا. إن جميع مواسم الصيف التي حظينا بها هنا كانت حقًّا.. رائعة».

حتى إن مجرد وصفها بكونها «رائعة» لم يبدُ كافيًا مطلقًا.

وفي صمت، نهض كونراد ومن ثم عاد ومعه التيكيلا. صَبَّ قليلًا لكل منا، وهذه المرة لم يُخفف مشروبي بالماء.

أخذنا جميعًا رشفة معًا، لما كنتُ أبتلع خاصتي، شعرتُ بحُرقة شديدة لدرجة أن الدموع قد انهمرت على وجهي. وبدأ كونراد وجيرمايا في الضحك مرة أخرى.

قال لي كونراد: «مُصِّي الليمون».

لذا فعلتُ.

وسرعان ما شعرتُ بدفء وكسل، شعرت بشعور رائع. استلقيت على الأرض وشعري منثور حولي وأخذتُ أحدِّق إلى السقف وأشاهد المروحة وهي تدور وتدور.

عندما نهض كونراد وذهب إلى الحمَّام، انقلب جيرمايا على جنبه، وقال: «بيلي، مصارحة أم تحدٍّ؟».

قلتُ: «لا تكن غبيًّا».

- هيًّا، بربك. العبي معي يا بيلز، من فضلك؟

رفعتُ بؤبؤي عينيَّ ونهضتُ جالسة.

- تحدٍّ.

كانت في عينيه لمعة الاحتيال هذه. لم أر تلك النظرة في عينيه منذ قبل أن تمرض سوزانا مرة أخرى.

- أتحداكِ أن تُقبِّليني، قُبلة كلاسيكية. لقد تعلمتُ الكثير منذ آخر مرة.

ضحكتُ. مهما كان ما كنتُ أتوقع منه قوله، فإنه لم يكن ذلك.

أمال جيرمايا وجهه نحوي وضحكتُ مرة أخرى. انحنيتُ إلى الأمام، وسحبتُ ذقنه نحوي، وطبعتُ قبلة على خده، قبلة ذات صوت عال.

فاحتجَّ قائلًا: «أوه، بربك! هذه ليست قُبلة حقيقية».

قلتُ، وقد شعرتُ بحرارة في وجهي: «إنك لم تحدِّد».

قال: «بربك يا بيلز، هذه ليست الطريقة التي قبَّل بها بعضنا بعضًا في آخر مرة».

عاد كونراد إلى الغرفة في تلك اللحظة، وكان يمسح يديه في بنطاله الجينز.

قال: «ما الذي تتحدث عنه يا جير؟ أليست لديك حبيبة؟».

نظرتُ إلى جيرمايا الذي كان خدَّاه يتقدان احمرارًا.

- لديكَ حبيبة؟

سمعتُ نبرة الاتهام في صوتي وكرهتُها. لم يكن الأمر كما لو أن جيرمايا مدينٌ لي بأي شيء. لم يكن الأمر كما لو أنه ينتمي إلي. ولكنه كان دائمًا يجعلني أشعر وكأنه كذلك.

كل هذا الوقت الذي قضيناه معًا، ولم يذكر قطُّ ولو مرة واحدة أن لديه حبيبة. لم أستطع تصديق ذلك. فكرتُ في أنني لستُ الوحيدة التي تُخفي أسرارًا، وقد أحزنتني تلك الفكرة.

- لقد انفصلنا. إنها ذاهبة للدراسة في جامعة تولين، وأنا سأظل هنا. قررنا أنه لا جدوى من بقائنا معًا. (حدَّق إلى كونراد ومن ثم عاد يحدِّق إليَّ) وقد كانت علاقتنا مذبذبة دائمًا. إنها مجنونة.

كرهتُ فكرة كونه مع فتاة مجنونة، مع فتاة أعجبته بما يكفي ليعود إليها مرَّات ومرَّات.

سألتُ قائلة: «حسنًا، ما اسمها؟».

تردد، ثم قال أخيرًا: «مارا».

أمدني الكحول الذي كان يسري في عروقي بالشجاعة لأقول: «هل تحبها؟».

هذه المرة لم يتردد.

قال: «لا».

التقطتُ قطعة من فتات البيتزا وقلتُ: «حسنًا، دوري. كونراد، مصراحة أم تحدٍّ؟».

كان مستلقيًا على وجهه فوق الأريكة.

- لم أقل مطلقًا أنني مشارك في اللعب من الأساس.

قلتُ أنا وجيرمايا في نفس واحد: «دجاجة جبانة».

تمتم كونراد قائلًا: «إنكما في الثانية من عمريكما يا رفيقين».

نهض جيرمايا وبدأ في أداء رقصة الدجاجة خاصته.

- باك باك باك باك باك.

كررتُ قائلة: «مصارحة أم تحدٍّ؟».

فتأوه كونراد قائلًا: «مصارحة».

كنتُ مسرورة جدًّا لأن كونراد صار يلعب معنا، ولم أستطع التفكير في أي سؤال جيد لأسأله. أعني، هنالك مليون سؤال أردتُ أن أسأله له. أردتُ أن أسأله عما حدث لنا، عمَّا إذا كان قد أعجب بي في يوم من الأيام، عما إذا كان أي من ذلك حقيقيًّا. ولكني لم أستطع السؤال عن تلك الأشياء. حتى من خلال تأثير التيكيلا الضبابي عليَّ، عرفتُ ذلك بما فيه الكفاية، عرفتُ أنني لن أستطيع.

فسألتُ عوضًا عن ذلك قائلة: «أتذكر ذلك الصيف الذي أعجبت فيه بتلك الفتاة التي كانت تعمل في الممشى الخشبي؟ أنجي؟».

قال: «كلا. (غير أنني علمتُ بأنه كان يكذب) ماذا بشأنها؟».

- هل سبق وأقمت علاقة معها؟

رفع كونراد رأسه أخيرًا عن الأريكة.

قال: «لا».

- لا أصدقك.

- لقد حاولتُ، مرة. ولكنها ضربتني على رأسي وقالت بأنها ليست من هذا النوع من الفتيات. أعتقد أنها كانت من شهود يهوه أو شيئًا من هذا القبيل.

انفجرتُ أنا وجيرمايا ضاحكين. كان جيرمايا يضحك بشدة، انحنى للأمام وسقط على ركبتيه وشهق قائلًا: «آه يا رجل. هذا مدهش».

وقد كان كذلك. كنتُ أعلم أن هذا لم يحدث إلا لأنه قد حظي بنحو دستة من البيرة، لكن ها هو كونراد يفتح قلبه، ويخبرنا بأشياء.. كان شعورًا مذهلًا. أشبه بمعجزة.

اتكأ كونراد على مرفقه وقال: «حسنًا، إنه دوري».

كان ينظر إليَّ كما لو كنا الشخصين الوحيدين في الغرفة، وفجأةً شعرتُ بالرعب، والبهجة، والحماس. ولكن من ثم نظرتُ إلى جيرمايا، وهو يشاهد كلينا، وفجأة أيضًا، تلاشى كل ما شعرتُ به.

قلتُ بجدية: «لا.. لا. لا يمكنك أن تسألني، لأنني قد سألتك للتو. تلك هي القاعدة».

كرر قائلًا: «القاعدة؟».

فقلتُ وأنا أسند رأسي على الأريكة: «أجل».

- ألا ينتابكِ الفضول على الأقل بشأن ما كنتُ سأسأله؟

- كلا. ولا ذرة واحدة.

وقد كذبتُ بشأن ذلك. بالطبع كان ينتابني الفضول. كنتُ أتوق لأعرف.

مددتُ يدي وصببتُ بعض المزيد من التيكيلا في كوبي ثم نهضتُ، ورُكبتاي ترتجفان. شعرتُ بأن رأسي خفيف.

قلتُ: «في نخب آخر ليلة».

قال جيرمايا: «لقد شربنا في نخب ذلك بالفعل، أتذكرين؟».

أخرجتُ له لساني وقلتُ: «حسنًا، إذن».

أمدَّتني التيكيلا بالشجاعة مرة أخرى. وهذه المرة، جعلتني أقول ما كنتُ أود حقًّا قوله. ما كنتُ أفكر فيه طوال الليل.

- نخب... نخب جميع مَن ليسوا هنا الليلة. نخب أمي، وستيفن، وسوزانا.. سوزانا أكثر من أي شيء آخر. تمام؟

رفع كونراد رأسه ناظرًا إليَّ. لدقيقة، كنتُ خائفة مما قد يقوله. ومن ثم رفع كوبه هو الآخر، وكذلك فعل جيرمايا. شربنا جميعًا من أكوابنا معًا، وكان يحرق وكأنه نار سائلة. سعلتُ قليلًا.

عندما جلستُ سألتُ جيرمايا قائلة: «إذن، من سيأتي إلى هذه الحفلة؟».

فهزَّ كتفيه. وقال: «بعض من رفاق الصيف الماضي من مسبح النادي الريفي.. وهم سيخبرون أناسًا أيضًا بشأن الحفلة. أوه، وميكي وبيت وهؤلاء الرفاق.

تساءلتُ مَن يكونون «ميكي وبيت وهؤلاء الرفاق». وتساءلتُ أيضًا عما إذا كان عليَّ التنظيف قبل حضور الناس.

سألتُ جيرمايا: «متى سيأتون الناس؟».

هزَّ كتفيه قائلًا: «العاشرة.. الحادية عشرة...».

نهضتُ قافزة.

- لقد أوشكت على التاسعة الآن! عليَّ أن أرتدي ملابسي.

قال كونراد: «ألستِ ترتدين ملابسكِ بالفعل؟».

لم أكلف نفسي عناء الرد عليه. وانطلقتُ مسرعةً فحسب إلى الطابق العلوي.

الفصل الثلاثون

كانت محتويات حقيبتي القماشية ملقاة على الأرض عندما اتصلت تايلور. وكان ذلك حين تذكرتُ أننا في يوم السبت. لقد شعرتُ أنني قد ابتعدتُ لفترة أطول بكثير. ثم تذكرتُ أننا في الرابع من يوليو. وأنني كان من المفترض أن أكون على متن قارب مع تايلور وديفيز والجميع. *يا إلهي*.

قلتُ: «مرحبًا يا تايلور».

- مرحبًا، أين أنتِ؟

لم تبد نبرة تايلور غاضبة، وهو أمر غريب نوعًا ما.

- اممم، أنا ما زلتُ في كازينز. آسفة لأنني لم أعد في الوقت المناسب لحضور حفلة القارب.

ومن وسط كومة الملابس، التقطتُ بلوزة من الشيفون بحمَّالة كتف واحدة وجرَّبتُها. كلما كانت تايلور ترتديها، كانت تضع شعرها على جانب واحد.

- كانت تُمطِر طوال اليوم، لذا ألغينا حفلة القارب. سيقيم كوري حفلة في شقة شقيقه بدلًا من ذلك. ماذا عنكِ؟

قلتُ وأنا أضبط البلوزة: «أعتقد أننا سنقيم حفلة أيضًا. لقد اشترى جيرمايا للتو طنًّا من البيرة والتيكيلا وأشياء أخرى».

لم أكن واثقة إلى أي مدى من المفترض أن أُعرِّي كتفي وأنا أرتدي هذه البلوزة.

صاحت قائلة: «حفلة؟ أريد المجيء!».

حاولتُ إدخال قدمي في إحدى فردتَي صندل تايلور ذاتَي النعلين السميكين العاليين. تمنيتُ لو أنني لم آت على ذكر الحفلة.. ولا التيكيلا. فمؤخرًا، أصبحت تايلور مجنونة بشأن شرب التيكيلا.

قلتُ: «وماذا عن حفلة كوري؟ سمعتُ أن شقة شقيقه تحتوي على جاكوزي. أنتِ تحبين الجاكوزي».

قالت: «أوه، أجل، تبًّا لذلك. ولكني أريد الاحتفال معكم أيضًا يا رفاق! حفلات الشاطئ هي الأمتع. على أي حال، سمعتُ من راشيل سبيرو أن مجموعة من عاهرات السنة الأولى قادمات الآن. قد لا يكون الأمر يستحق الذهاب حتى. يا إلهي، ربما عليَّ فقط أن أركب سيارتي وأقودها إلى كازينز!».

- بحلول الوقت الذي ستصلين فيه إلى هنا، سيكون الجميع قد رحلوا. ربما عليكِ فقط الذهاب إلى حفلة كوري.

سمعتُ صوت سيارة تتوقف أمام المنزل. لقد بدأ الناس في الوصول. لذلك لم يكن الأمر كما لو أنني أكذب عليها.

كنتُ على وشك إخبار تايلور بأنه عليَّ الذهاب عندما قالت بصوت خافت: «أنتِ لا تريدينني أن آتي أليس كذلك؟».

قلتُ: «لم أقل ذلك».

- في الواقع، لقد فعلتِ.

بدأت أقول: «تايلور...».

ولكني لم أعرف ماذا عساي أن أقول بعد ذلك. لأنها كانت محقة. لم أكن أريدها أن تأتي. لأنها لو أتت، ستتمحور الليلة بأكملها حولها، كما هو الحال دائمًا. إن هذه آخر ليلة لي في كازينز، في هذا المنزل. لن أكون أبدًا داخل هذا المنزل مرة أخرى. أردتُ لهذه الليلة أن تتمحور حولي أنا وكونراد وجيرمايا.

انتظرت تايلور مني أن أقول شيئًا ما، أن أنكر الأمر على أقل تقدير، وعندما لم أفعل، انفجرت في الغضب قائلة: «لا أستطيع أن أصدق حتى كم أنتِ أنانية يا بيلي».

- أنا؟

- أجل، أنتِ. أنتِ تحتفظين بمنزلكِ الصيفي وفتيانكِ الصيفيين لنفسكِ فحسب، ولا تودين مشاركة أي شيء معي. كنا سنقضي أخيرًا صيفًا كاملًا معًا ولكنكِ لا تهتمين حتى! إن كل ما تهتمين به هو أن تكوني في كازينز، **معهما**.

لقد بدت حاقدة للغاية. ولكن بدلًا من الشعور بالذنب كعادتي، شعرتُ بالانزعاج.

قلتُ: «تايلور...».

- توقفي عن قول اسمي بتلك الطريقة.

- بأي طريقة؟

- وكأنني طفلة.

- حسنًا، إذن ربما عليكِ أن تتوقفي عن التصرف كما لو أنكِ كذلك فقط لأنكِ لستِ مدعوة لمكان ما.

وفور قولي ذلك، ندمتُ عليه.

- سحقًا لكِ يا بيلي! لقد تحمَّلتُ الكثير. إنكِ صديقة مقربة فاشلة حقًّا، أتعرفين ذلك؟

زفرتُ نَفَسًا.

- تايلور... اصمتي.

شهقَتْ قائلة: «لا تجرؤي على إخباري بأن أصمت! إنني لم أكن إلا داعمة لكِ يا بيلي. أستمع إلى كل هرائكِ بشأن كونراد ولم أتذمر حتى. عندما انفصلتما، مَن كان الشخص الذي أطعمكِ مثلجات «تشانكي مونكي» (Chunky Monkey) بالملعقة وأخرجكِ من السرير؟ أنا! وأنتِ لا تقدِّرين ذلك حتى. إنكِ لم تعودي مرحة حتى بعد الآن».

قلتُ، بسخرية: «رباه. تايلور، أنا آسفة للغاية أنني لم أعد مرحة بعد الآن. إن وفاة شخص تحبينه يمكن أن تسبب ذلك».

- لا تفعلي ذلك. فقط لا تُلقي الأمر على ذلك. لقد كنتِ تركضين وراء كونراد منذ أن عرفتُكِ. الأمر مثير للشفقة. تخطي الأمر! إنه ليس معجبًا بكِ. ولربما لم يكن كذلك قط.

ربما كان ذلك أقسى وأخسَّ شيء قالته لي في حياتها. أعتقد أنها كانت ستعتذر لو لم أرد عليها قائلة: «على الأقل لم أتخلَّ عن عُذريتي لأجل شاب يحلِق ساقيه!».

شهَقَتْ. بكل ثقة، أخبرتني تايلور ذات مرة أن ديفيز حلق ساقيه من أجل فريق السباحة. ظلَّت صامتة للحظة. ثم قالت: «من الأفضل ألا تنتعلي صندلي ذا النعلين السميكين العاليين الليلة».

- فات الأوان. أنا انتعلته بالفعل!

ومن ثم أغلقتُ الخط.

لم أستطع تصديقها. إن تايلور هي الصديقة الفاشلة، وليس أنا. هي الأنانية. كنتُ غاضبة جدًّا، وكانت يداي ترتجفان وأنا أرسم خط التحديد فوق عينيَّ، واضطررتُ إلى مسحه والبدء من جديد. كنتُ أرتدي بلوزة تايلور ونعليها ووضعتُ شعري على جانب واحد مثلها أيضًا. فعلتُ ذلك لأنني أعرف أنه من شأنه أن يثير غضبها.

ومن ثم، آخر شيء، ارتديتُ قلادة كونراد، ودسستها تحت بلوزتي، ثم نزلتُ إلى الطابق السفلي.

الفصل الحادي والثلاثون

قلتُ لفتى يرتدي تي-شيرت مطبوع عليه صورة لفرقة الروك الإنجليزية «لِد زبلن» (Led Zeppelin): «مرحبًا».

وقلتُ لفتاة تنتعل حذاء رعاة البقر: «حذاء جميل!».

شققتُ طريقي في أرجاء الغرفة، أوزِّع المشروبات وأرمي العبوات الفارغة. راقبني كونراد وذراعاه معقودتان.

سألني قائلًا: «ماذا تفعلين؟».

فشرحتُ له وأنا أضبط بلوزة تايلور: «أحاول جعل الجميع يشعرون وكأنهم في بيتهم».

كانت سوزانا مضيفة ممتازة. كانت لديها موهبة في جعل الناس يشعرون بأنهم مُرحَّب بهم، مرغوب في وجودهم. كانت كلمات تايلور ما تزال عالقة في خلفية رأسي. لستُ أنانية. كنتُ صديقة جيدة، ومُضيفة جيدة. سأُريها.

عندما وضع ترافيس، ذلك الفتى من متجر تأجير أشرطة الفيديو، قدميه على طاولة القهوة وكاد يوقع مزهرية، صرختُ قائلة: «احذر! وأنزل قدميك عن الأثاث».

وكفكرة أتت متأخرة لاستدراك الموقف، أضفتُ: «من فضلك».

كنتُ على وشك العودة إلى المطبخ لإحضار المزيد من المشروبات عندما رأيتها. تلك الفتاة من الصيف الماضي. نيكول، التي أعجب بها كونراد، كانت واقفة في المطبخ تتحدث إلى جيرمايا. لم تكن تعتمر قبعة ريد سوكس خاصتها، غير أنني قادرة على تمييز عطرها في أي مكان. رائحته مثل مستخلص الفانيليا والورود المتحللة.

لا بد أن كونراد قد رآها في اللحظة نفسها التي رأيتها فيها لأنه حبس أنفاسه وتمتم قائلًا: «تبًّا».

سألتُه: «هل كسرت قلبها؟».

حاولتُ أن أبدو كما لو أنني أستفزه فقط وغير مهتمة أبدًا. ولا بد أنني قد نجحتُ في ذلك، لأنه أمسك بيدي وأخذ زجاجة التيكيلا وقال: «فلنخرج من هنا».

لحقته كما لو أنني في حالة من النشوة، وكأنني أسير نائمة. لأنه كان أشبه بالحلم، يده في يدي. كنا بالكاد قد تحررنا من جدران المنزل عندما رآنا جيرمايا. وَجِلَ قلبي في الحال.

أشار إلينا ونادى قائلًا: «يا رفيقين! تعالا وألقيا التحية».

ترك كونراد يدي غير أنه لم يترك التيكيلا.

قال، وهو يتقدم نحوها: «مرحبًا يا نيكول».

أخذتُ عبوتين من البيرة ولحقتُ به.

قالت نيكول، متظاهرة بتفاجؤ تام، كأنها لم تكن تراقبنا طوال الوقت الذي كنا فيه في المطبخ: «أوه، مرحبًا يا كونراد».

شَبَّتْ على أطراف أصابع قدميها وعانقته.

نظر جيرمايا ورفع حاجبيه بشكل كوميدي. ثم ابتسم لي قائلًا: «بيلي، تتذكرين نيكول، صحيح؟».

قلتُ: «بالطبع».

ابتسمتُ لها. قلتُ في سِرِّي مذكِّرة نفسي: كوني *مُضيفة مثالية*، غير *أنانية*.

وبحذر، بادلتني الابتسام. أعطيتها إحدى عبوتَي البيرة اللتين كنتُ أحملهما.

قلتُ، وأنا أفتح خاصتي: «في صحتكِ».

فرددتْ قائلة: «في صحتكِ».

صفقنا عُبوَّتينا وشربنا. شربتُ خاصتي بسرعة. وعندما انتهيتُ، حصلتُ على أخرى وشربتُها أيضًا. فجأةً شعرتُ بأن المنزل هادئٌ جدًّا، لذا شغَّلتُ جهاز الإستريو. رفعتُ صوت الموسيقى عاليًا وخلعتُ نعليَّ. لطالما قالت سوزانا إن الحفلة لا تكون حفلة من دون رقص. أمسكتُ بجيرمايا، وألقيتُ إحدى ذراعيَّ حول رقبته، ورقصتُ.

قال في احتجاج: «بيلي...».

صحتُ قائلة: «فلترقص وحسب يا جير!».

ففعل. كان راقصًا بارعًا، هذا هو جيرمايا. بدأ أناسٌ آخرون يرقصون أيضًا، حتى نيكول. ولكن ليس كونراد، غير أنني لم أهتم. بالكاد لاحظتُ ذلك.

رقصتُ كما لو أنها آخر ليلة في عمري. رقصتُ كما لو أن قلبي ينفطر، وهو ما كان نوعًا ما صحيحًا. في أغلب الوقت كنتُ فقط أؤرجح شعري كثيرًا.

كنتُ أتصبب عَرَقًا عندما قلتُ: «هل يمكننا السباحة في المسبح؟ لمرة واحدة أخيرة؟».

قال جيرمايا: «سُحقًا لذلك. دعونا نسبح في المحيط».

- أجل!

بدت فكرة رائعة بالنسبة لي، فكرة مثالية.

قال كونراد، وكأنه قد خرج من العدم: «كلا. (وجدته فجأة واقفًا بجانبي) بيلي ثملة. لا يمكنها أن تسبح».

نظرتُ إليه وعبستُ قائلةً: «لكنني أريد ذلك».

ضحك قائلًا: «وإن يكن؟».

- انظر، إنني سبَّاحة جيدة حقًّا. حتى وأنا ثملة.

مشيتُ في خط مستقيم لإثبات وجهة نظري.

قال: «آسف. ولكنكِ حقًّا كذلك».

كونراد الممل، الغبي. إنه يصبح جديًّا في أسوأ اللحظات.

- أنت تمنع المرح. (نظرتُ إلى جيرمايا، الذي صار جالسًا على الأرض في تلك اللحظة) إنه يمنع المرح. وهو ليس رئيسًا لنا. ألا توافقونني جميعًا؟

وقبل أن يجيبني جيرمايا أو أي شخص آخر، ركضتُ نحو البابين الجرارين، ونزلتُ الدَّرَج متعثرة، وأنا أركضُ مسرعةً إلى الشاطئ. شعرتُ وكأنني مُذنَّب طائر، شريط ناري في السماء، وكأنني لم أكن أستخدم عضلاتي لفترة طويلة جدًّا وقد كان شعورًا رائعًا أن أمدَّ رجليَّ وأركض.

بدا المنزل، وهو مضاء بالكامل ويعم بالناس، وكأنه على بُعد مليون ميل. كنتُ أعلم بأنه سيأتي ورائي. لم يكن عليَّ أن ألتفت لأعرف أنه هو. لكنني فعلتُ على أي حال.

قال كونراد: «عودي إلى المنزل».

كان يحمل زجاجة التيكيلا في يده. أخذتُها من يده، وأخذتُ رشفة كما لو أنني قد فعلتُ ذلك مليون مرة من قبل، كما لو أنني من ذلك النوع من الفتيات اللواتي يشربن من الزجاجة مباشرة.

كنتُ فخورة بنفسي لأنني لم أبصق ما تجرعته. خطوت خطوة نحو الماء، وأنا أبتسم له ابتسامة واسعة. كنتُ أختبر ردة فعله.

حذَّرَ قائلًا: «بيلي. أقول لكِ الآن، لن أخرج جثتكِ من المحيط عندما تغرقين».

تظاهرتُ بالحَوَلِ مُستهزِئة، ومن ثم غمستُ إصبع قدمي في الماء. كان الماء أبرد مما تصورت. فجأة لم تبدُ السباحة فكرة رائعة. لكنني كرهتُ التراجع أمام كونراد. كرهتُ الخسارة لصالحه.

- هل ستوقفني؟ (تنهد والتفت ينظر إلى الوراء نحو المنزل. استمررتُ، وتجرعتُ رشفة أخرى من التيكيلا. أي شيء من شأنه أن يجذب انتباهه) أعني، لأنني أقوى منكَ كسبَّاحة. أنا.. أسرع منك بكثير. على الأرجح لن تستطيع الإمساك بي إذا أردتَ ذلك.

عاد ينظر إليَّ مجددًا.

- أنا لن ألحقكِ.

- حقًّا؟ ألن تفعل حقًّا؟

أخذتُ خطوة كبيرة، ثم خطوة أخرى. صار الماء يصل إلى رُكبتيَّ. كان المَدُّ منخفضًا، وكنتُ أرتجف. لقد كان غباءً، حقًّا. لم أعد راغبةً في السباحة. لم أكن أعرف ما الذي أفعله. بعيدًا على الجانب الآخر من الشاطئ، أطلق شخص ما مُفرقعة نارية. بدا صوتها كما لو أنها صاروخ. وبدا شكلها كما لو أنها شجرة صفصاف تتنحب بدموع من الفضة. شاهدتها تتساقط في المحيط.

وفي اللحظة التي غلبني فيها يأسي، فقط عندما استسلمتُ لحقيقة أنه ليس مهتمًّا، تقدَّم نحوي. رفعني، فوق كتفه. أسقطتُ الزجاجة مباشرة في المحيط.

صرختُ وأنا أضرب ظهره قائلة: «أنزلني!».

- بيلي، أنتِ ثملة.

- أنزلني حالًا!

وهذه المرَّة، استمع إليَّ فعلًا. لقد أسقطني، فوق الرمال مباشرة، على مؤخرتي.

- آه! هذا مؤلم حقًّا!

لم يكن مؤلمًا بتلك الدرجة، لكنني كنتُ غاضبة، والأكثر من ذلك، كنتُ مُحرَجة. ركلتُ الرمل على ظهره غير أن الرياح قد ركلَت الرمل في اتجاهي أنا.

صحتُ وأنا أبصق الرمال من فمي قائلةً: «أخرق!».

هزَّ كونراد رأسه وابتعد عني. كان بنطاله الجينز مُبتلًّا وهو يغادر. كان حقًّا يغادر. لقد أفسدتُ كل شيء مرة أخرى.

عندما نهضتُ شعرتُ بدوار شديد حتى إنني كدتُ أسقط ثانيةً في الحال.

قلتُ وركبتاي ترتعشان: «انتظر».

دفعتُ شعري المملوء بالرمال بعيدًا عن وجهي، وأخذتُ نَفَسًا عميقًا. كان عليَّ قولها، عليَّ أن أخبره. إنها فرصتي الأخيرة.

استدار. بدا وجهه مثل باب مغلق.

- فقط انتظر ثانية، من فضلك. أحتاج إلى إخبارك بشيء ما. أنا حقًّا آسفة على الطريقة التي تصرفتُ بها في ذلك اليوم. (كان صوتي عاليًا ويائسًا، وكنتُ أبكي، وكرهتُ كوني أبكي، لكنني لم أستطع منع نفسي. كان عليَّ مواصلة الحديث، لأن تلك هي، الفرصة أخيرة) في... في الجنازة، كنتُ أتصرف معك بفظاعة. كنتُ مريعة، وأشعر بالخجل الشديد من طريقة تصرفي. ليست تلك الطريقة التي أردتُ أن تسير بها الأمور، مطلقًا. لقد أردتُ حقًّا، حقًّا أن أكون هناك من أجلك. ولهذا السبب جئتُ لأعثر عليك.

رَمَشَ كونراد عينيه مرة، ثم رمش مجددًا وقال: «لا بأس».

مسحتُ خدَّيَّ وسيلان أنفي.

قلتُ: «أتعني ذلك حقًّا؟ هل تسامحني؟».

قال: «أجل. أسامحكِ. والآن توقفي عن البكاء، حسنًا؟».

تقدمتُ نحوه، أكثر فأكثر، ولم يتراجع. كنا قريبين بما يكفي لتبادل القُبَل. كنتُ أحبس أنفاسي، وأرغب بشدة في أن تعود الأمور كما كانت من قبل.

اقتربتُ خطوة واحدة أخرى، وحينها قال: «فلنعد إلى المنزل، حسنًا؟».

لم ينتظر كونراد سماع إجابة مني. لقد بدأ في السير مبتعدًا فحسب، وتبِعْتُه. شعرتُ وكأنني سأمرَض.

وهكذا فحسب، انتهت اللحظة. كانت على وشك أن تكون لحظة فارقة، حيث يمكن لأي شيء أن يحدث. ولكنه جعلها تنتهي.

عند عودتنا إلى المنزل، وجدنا الناس يسبحون في المسبح بملابسهم. رأيتُ بعض الفتيات تلوِّحن بالماسات[1]. كان كلاي بيرتوليت، جارنا، يطفو على طول حافة المسبح مرتديًا أحد تي-شيرتاته الداخلية. أمسك بكاحلي قائلًا: «تعالي يا بيلي، اسبحي معي».

قلتُ وأنا أركله وأرش وجهه بالتبعية في أثناء ذلك: «اتركني».

شققتُ طريقي عبر جميع الأشخاص الموجودين في التراس دخولًا إلى المنزل. دستُ بالخطأ على قدم إحدى الفتيات فصرَخَتْ.

قلتُ: «آسفة».

بدا لي صوتي وكأنه قد خرج من مكان ما بعيد. كنتُ مصابة بدوار شديد. أردتُ سريري فحسب.

صعدتُ الدَّرَج زحفًا، كالسلطعون، بالطريقة التي كنتُ معتادةً إياها وأنا طفلة صغيرة. سقطتُ على السرير، وكان الأمر تمامًا كما يقولون في الأفلام، شعرتُ بالغرفة تدور من حولي، حتى السرير يدور، وتذكرتُ كل الأشياء الغبية التي قلتُها، وبدأتُ في البكاء.

لقد جعلتُ نفسي أضحوكة حقيقية على ذلك الشاطئ. كان الأمر مُهلِكًا، كل شيء.. وفاة سوزانا، وفكرة أن هذا المنزل لن يكون مِلكنا بعد الآن، وإعطائي كونراد فرصة ليرفضني مرة أخرى. كما تقول تايلور: كنتُ مازوخيَّة.

استلقيتُ على جانبي وضممتُ ركبتيَّ إلى صدري وبكيت. كان كل شيء يسير في الاتجاه الخطأ. فجأةً أصبح كل ما أريده هو أمي فحسب.

مددتُ يدي للإمساك بالهاتف الموضوع على المنضدة الصغيرة بجانب السرير. كانت الأرقام تضيء في الظلام. ردَّت أمي عند الجرس الرابع.

كان صوتها نَعِسًا ومألوفًا بطريقة زادت من رغبتي في البكاء أكثر. وأكثر من أي شيء آخر في هذا العالم، أردتُ أن أمد يدي داخل الهاتف وأحضرها إلى هنا.

قلتُ: «مامي».

---

(1) الماسات أو ضوء الليل هي صنف من أصناف الألعاب النارية التي تُحمَل باليد وتشتعل ببطء مخلِّفة وراءها شرارات نارية.

لقد بدا صوتي كما لو كان نعيقًا.

- بيلي؟ ما الخطب؟ أين أنتِ؟
- أنا في منزل سوزانا. في المنزل الصيفي.
- ماذا؟ ما الذي تفعلينه في المنزل الصيفي؟
- سوف يبيعه السيد فيشر. سيبيعه وكونراد حزين للغاية والسيد فيشر لا يبالي حتى. إنه يريد التخلص منه فحسب. يريد التخلص منه.
- بيلي، تمهَّلي. لا أستطيع سماع ما تقولينه.
- فقط تعالي، حسنًا؟ فقط تعالي أرجوكِ وأصلحي الوضع.

ثم أنهيتُ المكالمة، لأنني شعرتُ فجأةً بأن الهاتف ثقيلٌ جدًّا في يدي. شعرتُ كما لو أنني أدور في لعبة الأحصنة الدوَّارة بمدينة الملاهي، وليس على نحو جيد. كان ثمة شخص ما يطلق ألعابًا نارية في الخارج، وشعرتُ كما لو أن رأسي كان على وشك أن ينفجر معهم. ثم أغمضتُ عيني، وازداد الأمر سوءًا. غير أن جفنيَّ كانا ثقيلين جدًّا وسرعان ما غرقتُ في النوم.

الفصل الثاني والثلاثون

جيرمايا

بعد فترة وجيزة من صعود بيلي إلى الفِراش، أخرجتُ الجميع، ولم يعد فقط غيري أنا وكونراد. كان مستلقيًا على وجهه فوق الأريكة. لقد كان مستلقيًا هناك منذ أن عاد هو وبيلي من الشاطئ. كان كلاهما مبللًا ومغطى بالرمال. بدت بيلي منهكة تمامًا. وكانت تبكي، يمكنني قول ذلك، إذ كانت عيناها حمراوين. لا بد أنه كان خطأ كونراد... لا شك في ذلك.

لقد لطَّخ الناس أرضية المنزل بالرمال وكانت منتشرة في جميع الأنحاء. وكانت هناك زجاجات وعلب في كل مكان، وقد جلس أحدهم على الأريكة بمنشفة مبللة، والآن توجد على الوسادة بقعة برتقالية كبيرة. لقد قلبتُها على الجانب الآخر.

قلتُ تاركًا نفسي أسقط على كرسي الاسترخاء (La-Z-Boy): «يبدو المنزل كما لو كان ساحة معركة. سيَفزَعُ أبي لو رآه بتلك الحالة غدًا».

لم يفتح كونراد عينيه.

- أيًّا يكن. سننظفه في الصباح.

حدَّقتُ إليه. وقد شعرتُ بالحَنق فحسب. لقد سئمت من تنظيف فوضاه.

- سيستغرق منا ساعات.

ثم فتح عينيه.

- إنك أنتَ مَن دعا الجميع إلى هنا.

معه حق. كانت الحفلة فكرتي. لم أكن غاضبًا بشأن فوضى المنزل. الأمر متعلق ببيلي. به هو وهي، معًا. لقد أصابني بالغثيان.

قلتُ: «بنطالك مبلل. أنت تملأ الأريكة بالرمال».

نهض كونراد جالسًا، وفرك عينيه.

- ما خطبك؟

لم أستطع التحمل أكثر. بدأتُ في النهوض، لكنني عدتُ للجلوس بعد ذلك.

- ماذا بحق الجحيم حدث بينكما في الخارج يا رفيقين؟

- لا شيء.

- ما الذي يعنيه ذلك، لا شيء؟

- لا شيء تعني لا شيء. فقط دعك من الأمر يا جير.

كنتُ أكره أن يتصرف على هذا النحو، بمنتهى الهدوء واللامبالاة، وبخاصة عندما أكون غاضبًا. لطالما كانت تلك طريقته، لكنها تزداد أكثر وأكثر هذه الأيام. عندما توفيت أمنا، تغير. لم يعد كونراد مباليًا بأي شيء أو أي شخص بعد الآن. تساءلتُ عما إذا كانت لا مبالاته تشمل بيلي كذلك.

كان عليَّ أن أعرف. بشأنه هو وهي، بشأن حقيقة شعوره تجاهها، وما الذي ينوي فعله حيال ذلك. إن عدم المعرفة هو ما يقود المرء إلى الجنون.

لذا سألته مباشرةً: «هل ما زلت معجبًا بها؟».

حدَّق إلي. كان سؤالي صادمًا، يمكنني قول ذلك. لم يسبق أن تحدثنا عنها من قبل، ليس بهذا الشكل. على الأرجح أنه كان من الجيد أنني قد باغتُّه على حين غرة. لعله يقول الحقيقة.

لو أجاب ببلى، فسيكون الأمر قد انتهى. لو أجاب ببلى، سأغلق صفحتها. يمكنني التعايش مع ذلك. لو كان أي شخص آخر غير كونراد، كنتُ سأحاول على أي حال، كنتُ سأعطي الأمر محاولة أخيرة.

بدلًا من الإجابة عن السؤال، قال: «هل ما زلت أنت معجبًا بها؟».

شعرتُ بنفسي أتحول إلى اللون الأحمر.

- إنني لستُ الشخص الذي اصطحبها إلى حفلة التخرج اللعينة.

فكَّر كونراد في ذلك ثم قال: «لقد اصطحبتها لأنها طلبت مني ذلك فحسب».

- كون. هل أنت معجب بها أم لا يا رجل؟ (ترددتُ لثانيتين تقريبًا، ثم قلتُها فحسب) لأنني معجب بها. أنا حقًّا معجب بها. فهل أنت كذلك؟

لم يرمش. لم يتردد حتى.

قال: «لا».

لقد أثار غضبي حقًّا.

كان هذا هراءً خالصًا. إنه معجب بها. بل إن شعوره نحوها قد تخطى مرحلة الإعجاب. ولكنه غير قادر على الاعتراف بذلك، لن يتحلى بشجاعة الرجال. لن يكون كونراد أبدًا هذا النوع من الرجال، النوع التي تحتاج إليه بيلي. شخص موجود من أجلها، شخص يمكنها الاعتماد عليه. أنا أستطيع. لو أعطتني الفرصة، يمكنني أن أكون هذا الشخص.

كنت غاضبًا منه، غير أن عليَّ الاعتراف بأنني قد ارتحتُ أيضًا. لا يهم عدد المرَّات التي جرحها فيها، كنتُ أعلم بأنه لو أراد العودة إليها، ستكون مِلكًا له. لطالما كانت كذلك.

ولكن لربما الآن ما دام كونراد لا يقف في الطريق، فقد تراني في الصورة أيضًا.

الفصل الثالث والثلاثون

5 يوليو

- بيلي.

حاولت أن أتقلَّب، لكنني سمعتها مجددًا، بصوت أعلى.

- بيلي.

كان أحدهم يهزني ليوقظني.

فتحتُ عينيَّ. إنها أمي. كانت تحيط بعينيها هالتان سوداوان واختفى فمها فلم يعد سوى خطٍّ رفيعٍ. كانت ترتدي زيَّها الرياضي المنزلي، الزي الذي لم تغادر المنزل وهي ترتديه قط، ليس حتى وهي ذاهبة إلى صالة الألعاب الرياضية. ما الذي تفعله في المنزل الصيفي؟

كان ثمة صوت صفير اعتقدتُ في البداية أنه صوت ساعة المُنَبِّه، لكنني بعد ذلك أدركتُ أنني قد أوقعتُ سماعة الهاتف من يدي، وأن إشارة الخط

المشغول هي ما كنتُ أسمعه. ثم تذكرتُ. لقد اتصلتُ بأمي وأنا ثملة. لقد أحضرتُها إلى هنا.

نهضتُ جالسة، ورأسي ينبض بقوة لدرجة أني شعرتُ كما لو أن قلبي كان يدق داخله. هذا هو صداع الكحول إذن. لقد نمتُ من دون انتزاع عدساتي اللاصقة وعيناي تحرقانني. كانت هناك رمال على جميع أنحاء السرير وبعضها كان عالقًا في قدميَّ.

وقفَتْ أمي؛ بدت لي وكأنها شيء ضبابي كبير.

- لديكِ خمس دقائق لحزم أغراضك.

- مهلًا... ماذا؟

- سنغادر.

- لا يمكنني المغادرة الآن. ما زال يتعين عليَّ أن...

كان الأمر كما لو أنها لا تستطيع سماعي، كما لو أن صوتي كان مكتومًا. بدأت في التقاط أغراضي عن الأرض، وأخذت ترمي صندل تايلور وسروالها القصير في حقيبة المبيت خاصتي.

- أمي، توقفي! فقط توقفي لدقيقة.

فكررتْ قائلة وهي تنظر في أرجاء الغرفة: «سنغادر خلال خمس دقائق».

- فقط استمعي إليَّ لثانية واحدة. كان عليَّ المجيء. جيرمايا وكونراد كانا بحاجة إليَّ.

جعلتني النظرة التي رأيتها على وجهها أتوقف على الفور. لم أرها غاضبة هكذا من قبل.

- ولم تشعري بالحاجة إلى إخباري بذلك؟ لقد أوصتني بيك أن أعتني بولديها. كيف يمكنني القيام بذلك وأنا لا أعرف أنهما بحاجة إلى مساعدتي؟ لو أنهما في مأزق، فكان يتوجب عليكِ إخباري. ولكنكِ فضَّلتَ الكذب عليَّ بدلًا من ذلك. لقد كذبتِ.

بدأتُ أقول: «لم أرغب في الكذب عليكِ...».

ولكنها واصلت كلامها قائلة: «لقد كنتِ هنا والرب وحده يعلم ما كنتِ تفعلينه...».

حدَّقتُ إليها. لم أستطع أن أصدق أنها قد قالت ذلك للتو.

- ما الذي تعنينه بـــ «الرب وحده يعلم ما كنتِ تفعلينه»؟.

دارت أمي حول نفسها، ونظرات عينيها الجامحتين يملؤها الغضب.

- ما الذي من المفترض أن أفكر فيه؟ لقد هربتِ إلى هنا خلسة مع كونراد من قبل، وقضيتما الليلة! إذن أخبريني أنتِ. ما الذي تفعلينه هنا معه؟ لأنه يبدو لي أنكِ قد كذبتِ عليَّ لتتمكني من المجيء إلى هنا وتثملي وتتسكعي مع حبيبك؟

كنتُ أكرهها. أكرهها بشدة.

- إنه ليس حبيبي! أنتِ لا تعلمين أي شيء!

كان الوريد في جبين أمي ينبض وهي تقول: «تتصلين بي في الرابعة صباحًا، وأنتِ ثملة. أتصل على هاتفكِ المحمول ويحوِّلني مباشرة إلى البريد الصوتي. أتصل على هاتف المنزل وكل ما أحصل عليه هي إشارة بأن الخط مشغول. أقود سيارتي طوال الليل، والقلق يكاد يفجر رأسي، وأصل إلى هنا لأجد المنزل في حالة كارثية. عبوات البيرة في كل مكان، والقمامة تعم الأرجاء. ماذا بحق الجحيم تظنين نفسكِ فاعلة يا إيزابيل؟ أو هل لديكِ علم أصلًا؟».

كانت جدران المنزل رقيقة جدًّا. على الأرجح تمكَّن الجميع من سماع ذلك.

قلتُ: «كنا بصدد تنظيفه. كانت هذه ليلتنا الأخيرة هنا. ألا تستوعبين؟ السيد فيشر سيبيع المنزل. ألا يهمك ذلك؟».

هزَّت رأسها، وفكُّها مشدود.

- هل تعتقدين حقًّا أنكِ ساعدتِ في تحسين الأمور بتدخلك فيما لا يعنيك؟ هذا ليس من شأننا. كم مرة عليَّ أن أشرح لكِ ذلك؟

- إنه من شأننا. كانت سوزانا لتريد منا إنقاذ هذا المنزل!

فقالت أمي بانفعال: «لا تحدثيني عما كانت ستريده سوزانا. والآن ارتدي ملابسكِ واحزمي أغراضكِ. سنغادر».

- لا.

سحبتُ أغطية السرير حتى كتفيَّ.

- ماذا؟

- قلتُ لا. لن أذهب!

حدَّقتُ إلى أمي بكل ما أوتيتُ من تحدٍّ، لكن كان باستطاعتي الشعور بذقني يرتجف.

أوغلتْ في السرير ونزعت الأغطية عني. أمسكت بذراعي، وسحبتني من السرير باتجاه الباب، لكنني نزعتُ ذراعي وابتعدتُ عنها.

قلتُ وأنا أجهش بالبكاء: «لا يمكنكِ إجباري على المغادرة. لا يمكنكِ إجباري على أي شيء. ليس لديكِ الحق في ذلك».

لم تحرك دموعي قلب أمي. وإنما زادتها غضبًا فحسب.

قالت: «أنتِ تتصرفين كطفلة مدللة. ألا يمكنكِ النظر إلى ما هو أبعد من حزنك والتفكير في شخص آخر؟ ليس كل شيء يدور حولكِ فحسب. لقد فقدنا بيك جميعًا. شعورك بالأسف على نفسك لن يساعد في أي شيء».

لذعتني كلماتها بشدة لدرجة أنني أردتُ أن أُصيب ظهرها أكثر بمليون مرة من ذي قبل. لذلك قلتُ الشيء الذي أعرف أنه سيجرحها أكثر من أي شيء.

قلتُ: «أتمنى لو كانت سوزانا هي أمي وليس أنتِ».

كم مرة فكرتُ في ذلك، وتمنيته سرًّا؟ عندما كنتُ صغيرة، كانت سوزانا هي الشخص الذي أركض إليه، وليست أمي. لطالما كنتُ أتساءل كيف سيكون شعوري، لو كانت لي أم مثل سوزانا التي أحبتني لذاتي، ولم يخِبْ أملُها في كل المرَّات التي لم أكن عند حسن ظنها فيها.

كنتُ ألتقط أنفاسي بصعوبة وأنا في انتظار أمي أن ترد. أن تبكي، أن تصرخ في وجهي.

لم تفعل أيًّا من تلك الأشياء. وبدلًا من ذلك قالت: «يا لسوء حظك».

حتى عندما بذلتُ قصارى جهدي، لم أستطع الحصول على رد الفعل الذي أردته من أمي. كانت منيعة، متحجرة.

قلتُ: «سوزانا لن تسامحكِ أبدًا على هذا، تعلمين ذلك. لخسارة منزلها. لخذلان ولديها».

امتدَّتْ يد أمي وضربَتْ خدي بقوة، لدرجة أنني ترنحتُ إلى الوراء. لم أتوقع حدوث ذلك. أمسكتُ بوجهي وبكيتُ على الفور، غير أن جزءًا مني كان راضيًا عما حدث. لقد حصلتُ أخيرًا على ما أردته. دليل على أنها تستطيع الشعور بشيء ما.

بدا وجهها شاحبًا حد البياض. لم تكن قد ضربتني من قبل، قط، مطلقًا، طوال حياتي.

انتظرتها لتقول إنها آسفة. لتقول إنها لم تقصد إيذائي، إنها لم تقصد الأشياء التي قالتها. إذا قالت تلك الأشياء، فسأقولها أنا كذلك. لأنني كنتُ آسفة. ولم أقصد الأشياء التي قلتها.

عندما لم تتفوه بشيء، تراجعتُ مبتعدة عنها، وأنا ممسكة بوجهي. ثم ركضتُ إلى خارج الغرفة، متخبطة.

كان جيرمايا واقفًا في الردهة، ينظر إليَّ وفمه مفتوح. نظر إليَّ وكأنه لا يعرفني، لا يعرف مَن يكون هذا الشخص، تلك الفتاة التي صرخت في وجه أمها وقالت أشياء فظيعة.

قال وقد مدَّ يده ليوقفني: «انتظري».

دفعته للأمام ونزلتُ السُلَّم.

وفي غرفة المعيشة، كان كونراد يلتقط زجاجات البيرة ويلقيها داخل كيس أزرق من أكياس إعادة تدوير. لم ينظر إليَّ، كنتُ أعلم أنه أيضًا قد سمع كل شيء.

ركضتُ إلى الخارج من الباب الخلفي ثم كدتُ أتعثر وأنا أنزل الدَّرَج المؤدي إلى الشاطئ. غرقتُ في الأرض وجلستُ على الرمال. أمسكتُ بخدِّي الذي يحرقني في راحة يدي. ومن ثم تقيأتُ.

سمعتُ جيرمايا آتيًا ورائي. علمتُ على الفور أنه هو، لأن كونراد كان سيعلم أني لا أريد لأحد أن يتبعني.

قلتُ وأنا أمسح فمي: «أريد البقاء بمفردي فحسب».

لم أستدِر، لم أكن أريده أن يرى وجهي.

بدأ يقول: «بيلي...».

جلس بجانبي وأزاح رملًا على تقيُّئي.

ولما لم يقل أي شيء آخر، نظرتُ إليه.

- ماذا؟

عضَّ شفته العُليا. ثم مدَّ يده ولمس خدي. كانت أصابعه دافئة. وقد بدا حزينًا جدًّا.

قال: «عليكِ المغادرة مع والدتك فحسب».

مهما كان ما كنتُ أتوقع منه قوله، فهو لم يكن ذلك. لقد قطعتُ كل هذا الطريق وواجهت الكثير من المتاعب، فقط لأتمكن من مساعدة كونراد. والآن يريدني أن أغادر؟ اغرورقتْ زاويتا عينيَّ بالدموع ومسحتهما بظهر يدي.

- لماذا؟

- لأن لوريل مستاءة حقًّا. لقد ازدادت الأمور سوءًا، وهذا خطئي. لم يكن يجب أن أطلب منكِ المجيء. أنا آسف.

- أنا لن أغادر.

- قريبًا جدًّا سيتعين علينا جميعًا المغادرة.

- وهذا هو كل شيء؟

هزَّ كتفيه قائلًا: «أجل، أعتقد أنه كذلك».

جلسنا على الرمال لفترة. لأول مرة أشعر بتلك الدرجة من الضياع. بكيتُ قليلًا بعد، ولم يقل جيرمايا أي شيء، وأنا ممتنة لذلك. ليس ثمة أسوأ من أن يراقبك صديقك وأنت تبكي بعد أن وقعت في مشكلة للتو مع أمك. عندما انتهيت، نهض ومدَّ لي يده.

قال وهو يشدُّني لأقف على قدميَّ: «هيَّا».

عندما عدنا إلى داخل المنزل. كان كونراد قد ذهب، وكانت غرفة المعيشة نظيفة. وجدنا أمي تمسح أرضية المطبخ. ولما رأتني، توقفَتْ. أعادت الممسحة إلى الدلو وأسندتها على الحائط.

وأمام جيرمايا مباشرةً، قالت: «أنا آسفة».

نظرتُ إليه، فخرج من المطبخ وصعد إلى الطابق العلوي. كدتُ أوقفه. لم أرد أن أكون بمفردي معها. كنتُ خائفة.

أردفَتْ قائلة: «أنتِ محقة. لقد كنتُ غائبة. كنتُ مستغرقة جدًّا في حزني. لم أتواصل معكِ. أنا آسفة على ذلك».

بدأت أتحدث قائلةً: «أمي...».

كنتُ على وشك أن أخبرها بأنني أيضًا آسفة. على ذلك الشيء الذي قُلْتُه قبلًا، ذلك الشيء الشنيع الذي أتمنى لو أستطيع التراجع عنه. ولكنها رفعتْ يدها وأوقفتني.

تابعَتْ قائلة: «إنني فقط.. فقدتُ اتزاني. منذ وفاة بيك، وأنا لم أستطع استعادة توازني. (أراحت رأسها على الحائط) لقد كنتُ آتي إلى هنا مع بيك منذ أن كنتُ أصغر منكِ. أحب هذا المنزل. أنتِ تعلمين ذلك».

قلتُ: «أعلم. لم أقصد ما قلته قبلًا».

أومأت أمي برأسها وقالت: «دعينا نجلس لدقيقة، حسنًا؟».

جلَسَتْ إلى طاولة المطبخ، وجلستُ مقابلها.

قالت: «ما كان عليَّ أن أضربك. (ثم انكسر صوتها) أنا آسفة».

- إنكِ لم تفعلي هذا من قبل.

- أعلم.

مدَّت أمي يدها عبر الطاولة وأخذت يدي في يدها، وأطبقت يدها حول يدي بإحكام كالشرنقة. في البداية، كنتُ مُتَصَلِّبة. ولكن تركتها تريحني. لأنني رأيتُ أنه كان مبعثًا للراحة لها أيضًا. جلسنا هكذا لما بدا أنه فترة طويلة.

عندما أطلقت يدي قالت: «لقد كذبتِ عليَّ يا بيلي. أنتِ لا تكذبين عليَّ مطلقًا».

- لم أقصد ذلك. لكن كونراد وجيرمايا مُهِمَّان بالنسبة لي. لقد كانا بحاجة إليَّ، لذلك ذهبتُ.
- أتمنى لو أنكِ أخبرتِني. أولاد بيك مُهمَّان بالنسبة لي أيضًا. لو أن شيئًا ما يحدث، فأريد أن أعرف بشأنه، حسنًا؟

أومأتُ برأسي.

ثم قالت: «هل حزمتِ كل أغراضك؟ أريد تلافي الزحام المروري ليوم الأحد في طريقنا للعودة».

حدَّقتُ إليها: «أمي، لا يمكننا المغادرة فحسب. هذا ليس ممكنًا في ظل كل ما يجري. لا يمكنكِ ترك السيد فيشر يبيع المنزل. لا يمكنكِ أبدًا».

تنهدَتْ.

- لا أعرف إن كنتُ أستطيع قول أي شيء لتغيير رأيه يا بيلي. أنا وآدم لا نتفق على الكثير من الأشياء. لا يمكنني منعه من بيع المنزل إذا كان هذا هو ما قرره.
- تستطيعين، أعلم أنكِ تستطيعين. سيستمع إليكِ. كونراد وجيرمايا، يحتاجان إلى هذا المنزل. إنهما بحاجة إليه.

وضعتُ رأسي على الطاولة، وشعرتُ بالخشب باردًا وناعمًا على خدي. لمست أمي الجزء العلوي من رأسي، ومررت يدها في شعري المتشابك.

قالت أخيرًا: «سأتصل به. والآن اصعدي إلى الأعلى واستحمي».

وكُلي أمل، رفعتُ رأسي لأنظر إليها ورأيتُ زَمَّة فمها وضيق عينيها. وعلمتُ أن الأمر لم ينته بعد.

إذا كان أي شخص قادرًا على تصحيح الأمور، فهي أمي.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الرابع والثلاثون

جيرمايا

ذات صيف.. أعتقد أنني كنتُ في الثالثة عشرة من عمري وبيلي في الحادية عشرة، وعلى وشك إتمام الثانية عشرة. لقد أصيبَتْ بنزلة برد صيفية، وكانت في حالة بائسة. كانت مُخيِّمة فوق الأريكة، والمناديل المتكورة في كل مكان حولها. وظلَّت مرتدية البيجاما المهلهلة نفسها لأيام. ولأنها مريضة، كان يُسمح لها باختيار أي برنامج تلفزيوني تود مشاهدته. كان الشيء الوحيد الذي يمكنها أكله هي مصاصات مثلجة بنكهة العنب. وعندما كنتُ أحاول الحصول على واحدة، كانت أمي تقول إنها من المفترض أن تكون لبيلي. على الرغم من أنها قد حصلت على ثلاثٍ للتو. كان عليَّ أن أرضى بواحدة صفراء اللون.

كنا في فترة ما بعد الظهيرة، وكان كونراد وستيفن قد وصلا إلى صالة ألعاب الآركيد، وهو ما كان من المفترض أنني لا أعلم بشأنه. اعتقدت الأُمَّان أنهما ركبا دراجتيهما ذهابًا إلى متجر معدات الصيد لشراء المزيد من الديدان

المطاطية. أما أنا فكنتُ ذاهبًا لركوب الأمواج مع كلاي، وكنتُ مرتديًا ثوب سباحتي وواضعًا منشفتي حول رقبتي عندما صادفتُ أمي في المطبخ.

سألتني قائلة: «ما الذي تنوي فعله يا جير؟».

أشرتُ بيدي إشارة الشاكا.

- أنا ذاهب لركوب الأمواج مع كلاي. أراكِ لاحقًا!

كنتُ على وشك فتح الباب الجرَّار عندما قالت: «اممم. تعرف...؟».

فسألتُ في ريبة: «ماذا؟».

- قد يكون لطيفًا لو بقيت في الداخل اليوم ورفعتَ من معنويات بيلي. المسكينة، تحتاج إلى بعض الترفيه.

- أوه، أمي...

- من فضلك يا جيرمايا؟

تنهَّدتُ. لم أرغب في البقاء في المنزل والترفيه عن بيلي. أردتُ الذهاب لركوب الأمواج مع كلاي. وعندما لم أقل شيئًا أضافَتْ: «يمكننا الشواء بالخارج الليلة. سأدعكما تتوليان مسؤولية البرجر».

تنهَّدتُ مرة أخرى، بصوت أعلى هذه المرة. كانت أمي لا تزال تعتقد أن السماح لي بإشعال الشواية وتقليب الهمبرجر يمثل متعة كبيرة بالنسبة لي. لا يعني ذلك أنه لم يكن ممتعًا، لكن ليس لهذه الدرجة.

فتحتُ فمي لأقول «لا، شكرًا»، لكنني بعد ذلك رأيت تلك النظرة السعيدة الدافئة على وجهها، التي دائمًا ما ترتسم حينما تعلم أنني سأقول نعم. لذا فعلتُ.

قلتُ: «حسنًا».

عدتُ إلى الطابق العلوي وغيَّرتُ ثوب سباحتي ثم انضممتُ إلى بيلي في غرفة مشاهدة التلفاز. جلستُ بعيدًا عنها قدر المستطاع. فقد كان آخر شيء أحتاج إليه هو أن أُعدى منها وأصاب بنزلة برد وأغيب عن الملاعب لأسبوع.

سألت وهي تتمخط قائلةً: «لماذا ما تزال هنا؟».

قلتُ: «الجو حار جدًّا في الخارج. أتريدين مشاهدة فيلم؟».

- الجو ليس حارًّا لتلك الدرجة في الخارج.

- وكيف تعرفين وأنتِ لم تخرجي؟

ضيَّقَتْ عينيها وقالت: «هل أجبرتك والدتك على البقاء معي في الداخل؟».

قلتُ: «لا».

- هاا! (أمسكت بيلي بجهاز التحكم عن بعد وغيَّرت القناة) أعلم أنك تكذب.

- لستُ كاذبًا!

قالت وهي تتمخَّط بصوتٍ عالٍ: «إنه التخاطر، أتذكر؟».

- هذا ليس حقيقيًّا. أيمكنني الحصول على جهاز التحكم؟

هزَّت رأسها بالنفي وقد ضمَّت جهاز التحكم إلى صدرها.

- كلا. إن جراثيمي تغطيه بالكامل. آسفة. هل هنالك المزيد من الخبز المُحَمَّص؟

كان الخبز المُحَمَّص هو ما نطلقه على الخبز الذي اشترته أمي من سوق المزارعين. يأتي مُقطَّعًا في شرائح، وكان أبيض وسميكًا وحلو المذاق بعض الشيء. كنتُ قد تناولتُ آخر ثلاث شرائح من الخبز المُحَمَّص ذلك الصباح. لقد دهنتها بالزبد ومُربى توت العُليق وتناولتها بسرعة كبيرة قبل أن يستيقظ أي شخص آخر. فمع وجود أربعة أطفال وشخصين بالغين، ينفد الخبز بسرعة حقًّا. كان على كل رجل أن يضمن نصيبه.

قلتُ: «لم يتبق المزيد من الخبز المُحَمَّص».

قالت وهي تستنشق نفسًا بصعوبة بسبب الزكام: «لا بد أنهما كونراد وستيفن، الخنزيران».

فقلتُ وقد شعرتُ بالذنب: «ظننتُ أن كل ما تريدين تناوله هو مصاصات المثلجات بنكهة العنب».

هزَّت كتفيها قائلة: «عندما استيقظتُ هذا الصباح أردتُ تناول الخبز المُحَمَّص. أظن أنني أتحسن».

لم تبدُ أفضل حالًا بأي شكل من الأشكال بالنسبة لي. كانت عيناها منتفختين، وبدت بشرتها تميل بدرجة ما إلى اللون الرمادي، ولا أعتقد أنها قد غسلت شعرها منذ أيام لأنه بدا عَكِشًا ومتلبِّدًا.

قلتُ: «ربما عليكِ أن تستحمي. تقول أمي إنكَ دائمًا ستشعر بتحسن بعد الاستحمام».

- أتقول إن رائحتي نتنة؟

- امم، كلا.

نظرتُ إلى الخارج عبر النافذة. لقد كان يومًا صافيًا، بلا غيوم. أراهن أن كلاي كان يستمتع بوقته إلى أقصى حد. وأراهن أن ستيفن وكونراد كانا كذلك. كان كونراد قد أفرغ حصَّالة نقوده القديمة من الصف الأول ووجد طنًّا من العملات المعدنية. أراهن أنهما سيبقيان في صالة ألعاب الآركيد طوال فترة ما بعد الظهيرة. تساءلتُ إلى متى سيبقى كلاي في الخارج. قد أتمكن من اللحاق به في غضون بضع ساعات؛ سيكون لا يزال هناك ضوء في الخارج.

أعتقد أن بيلي أمسكت بي أحدِّق من النافذة، لأنها قالت بتلك النبرة المتعالية: «فلتذهب وحسب إذا أردت».

فقلتُ منفعلًا: «قلتُ إنني لا أرغب».

ثم أخذتُ نَفَسًا. لن يُعجِب أمي لو ضايقتُ بيلي وهي مريضة هكذا. وقد بدت بالفعل وحيدة حقًّا. شعرتُ بالأسف تجاهها نوعًا ما، لأنها مضطرة إلى البقاء في الداخل طوال اليوم. إن نزلات البرد الصيفية مزعجة أكثر من أي شيء آخر.

لذلك قلتُ: «أتريدينني أن أعلِّمكِ كيف تلعبين البوكر؟».

فقالت ساخرة: «أنت لا تعرف كيف تلعب بالأساس. كونراد يغلبك في كل مرة».

قلتُ: «حسنًا».

نهضتُ. ولم أشعر بذلك الأسف تجاهها.

قالت: «لا يهم. يمكنك أن تعلمني».

جلستُ ثانية. وقلتُ: «مرري البطاقات».

أمكنني القول إن بيلي قد شعرت بالسوء لأنها قالت: «يجب ألا تجلس بالقرب مني. لأنك ستمرض أيضًا».

قلتُ: «لا بأس. أنا لا أمرض أبدًا».

قالت: «ولا كونراد أيضًا».

فرفعتُ بؤبؤي عيني في ضجر. كانت بيلي تبجِّل كونراد، تمامًا مثل ستيفن.

أخبرتها قائلًا: «كونراد يمرض بالفعل، إنه يمرض طوال الوقت في الشتاء. لديه جهاز مناعة ضعيف».

على الرغم من أنني لم أكن أعرف ما إذا كان ذلك صحيحًا أم لا.

هزَّت كتفيها، لكن أمكنني القول إنها لم تصدقني.

سلَّمتني البطاقات وقالت: «فلتبدأ في توزيع البطاقات وحسب».

لعبنا البوكر طوال فترة ما بعد الظهيرة وكان الأمر ممتعًا حقًّا. مرضتُ بعد يومين، لكنني لم أهتم كثيرًا. بقيت بيلي في المنزل معي ولعبنا المزيد من البوكر، وشاهدنا الكثير من حلقات مسلسل «عائلة سيمبسون» (The Simpsons).

الفصل الخامس والثلاثون

جيرمايا

بمجرد أن سمعتُ بيلي تصعد الدَّرَج، قابلتُها في الردهة.

- إذن؟ ما الذي سيحدث؟

قالت بجدية: «ستتصل أمي بوالدك».

- فعلًا؟ رائع!

- أجل، لذا، لا تستسلم. الأمر لم ينته بعد.

ابتسمت لي إحدى ابتساماتها تلك، حين تُجعِّد أنفها وهي تبتسم.

ربَّتُّ على ظهرها وركضتُ فعليًّا نزولًا على الدَّرَج. وجدتُ لوريل تمسح كاونتر المطبخ. وعندما رأتني، قالت: «والدك قادم، لتناول الإفطار».

- هنا؟

أومأت لوريل.

- هلَّا ذهبت إلى المتجر وأحضرت بعض الأشياء التي يحبها؟ البيض واللحم المقدد. وتشكيلة من الكعك. وتلك الحبَّات الكبيرة من فاكهة الزنباع.

إن لوريل تكره الطبخ. وبالتأكيد أنها لم تصنع لأبي وجبة إفطار دسمة وشهية من قبل.

سألتُ قائلًا: «لماذا ستطبخين له؟».

فقالت بتلك الطريقة الجافة خاصتها: «لأنه طفل، والأطفال يصبحون غريبي الأطوار وحادي الطباع عندما لا يُطعَمون».

ومن حيث لا أدري، قلتُ: «أحيانًا أكرهه».

ترددَتْ قبل أن تجيب قائلة: «أحيانًا أكرهه أيضًا».

ومن ثم انتظرتُها لتقول «لكنه والدك» مثلما اعتادت أمي أن تقول. ولكن لوريل لم تفعل. لوريل لا تنطق هراءً. ولا تقول أشياء لا تعنيها.

كل ما قالته هو: «والآن اذهب».

نهضتُ وعانقتها عناقًا قويًّا، وشعرتُ بها مُتصلِّبة بين ذراعيَّ. رفعتها في الهواء قليلًا، بالطريقة التي اعتدتُ فعلها مع أمي.

قلتُ: «شكرًا لكِ يا لور. أشكركِ بحق».

- سأفعل أي شيء من أجلكم يا أولاد. تعلمون ذلك.

- كيف عرفتِ بالأمر لتأتي؟

فقالت: «بيلي اتصلت بي. (ثم ضيَّقت عينيها..) وهي ثملة».

أوه، بربِك.

- لور...

- لا تحاول أن تدعوني «لور» وتحدثني بتلك الطريقة. كيف يمكنك أن تدعها تشرب؟ إنني أعتمد عليك يا جيرمايا. أنت تعرف ذلك.

والآن شعرتُ بسوء رهيب كذلك. إن آخر شيء أردته هو أن تقع بيلي في المتاعب، وقد كرهتُ حقًّا فكرة أن تفكر بي لور بشكل سيئ. لطالما حاولت جاهدًا الاعتناء ببيلي والحرص عليها، على عكس كونراد. إذا كان أحد قد

أفسدها حقًّا، فهو كونراد، وليس أنا. على الرغم من أنني أنا مَن اشتريتُ التيكيلا، وليس هو.

قلتُ: «أنا آسف حقًّا. فقط مع قرار أبي ببيع المنزل، وكونها ليلتنا الأخيرة، تمادينا كثيرًا. أقسم لكِ يا لور، هذا لن يحدث أبدًا مرة أخرى».

رفعت بؤبؤي عينيها قائلة: «لن يحدث أبدًا مرة أخرى؟ لا تقطع وعودًا لا يمكنك الوفاء بها يا عزيزي».

أخبرتها قائلًا: «لن يحدث أبدًا مرة أخرى أمام ناظري».

قالت وهي تزمُّ شفتيها: «سنرى. (شعرتُ بالارتياح عندما ابتسمت لي في شيء من العبوس) أسرِعْ واذهب إلى المتجر، هلَّا فعلت؟».

- أمرك يا سيدي.

أردتها أن تبتسم ابتسامة حقيقية. كنتُ أعلم أنه إذا واصلت المحاولة، واصلتُ المزاح، فستفعل. كانت لوريل بهذه البساطة.

هذه المرة، ابتسمت لي بالفعل، ابتسامة حقيقية.

الفصل السادس والثلاثون

كانت أمي على حق. ساعدني الاستحمام على التحسّن. لقد أمَلْتُ وجهي نحو رأس الدُّش وتركتُ الماء الساخن يغمرني، وبالفعل شعرتُ بتحسن، بتحسن كبير.

بعد الاستحمام، عدتُ إلى الطابق السفلي امرأة جديدة. رأيتُ على شفتي أمي أحمر شفاه، وكانت هي وكونراد يتحدثان بصوت خفيض.

توقفا عن الكلام عندما رأياني واقفة عند الباب.

قالت أمي: «أفضل بكثير».

سألتُ قائلة: «أين جيرمايا؟».

قالت: «عاد جيرمايا إلى المتجر. لقد نسي فاكهة الزنباع».

صفَّر جهاز التوقيت، فأخرجت أمي الكعك من الفرن بمنشفة الأطباق. لقد لمست قالب الكعك بيدها العارية بالخطأ وصاحت وأسقطت القالب على الأرض، من جهة الكعك.

- اللعنة.

سألها كونراد ما إذا كانت بخير قبل أن أتمكن أنا من ذلك.

قالت وهي تسكب الماء البارد على يدها: «أنا بخير».

ثم التقطت القالب عن الأرض ووضعته على الكاونتر، فوق المنشفة. جلستُ على أحد مقاعد الكاونتر وشاهدتُ أمي وهي تُفرغ قالب الكعك في مِشَنَّة.

قالت: «هذا سرُّنا الصغير».

كان من المفترض للكعك أن يبرد قليلًا قبل إخراجه من القالب، لكنني لم أخبرها بذلك. بدا سطح بعض الكعكات خَرِبًا ولكنها بشكل عام بدت جيدة.

قالت: «تذوقوا الكعك».

أخذتُ واحدة، كانت ساخنة للغاية وتنهار من كل جانب، لكن مذاقها كان طيبًا. أكلتُها بسرعة.

عندما انتهيتُ، قالت أمي: «فلتأخذي أنتِ وكونراد القمامة للخارج».

ومن دون أن ينبس ببنت شفة، حمل كونراد الكيسين الأثقل وزنًا وترك لي كيسًا نصف فارغ. تبعته للخارج إلى صناديق القمامة في نهاية ممر السيارات أمام المنزل.

سألني قائلًا: «هل اتصلتِ بها؟».

- أعتقد أنني فعلت.

انتظرتُه أن ينعتني بكوني طفلة صغيرة لاتصالي بأمي في اللحظة التي تصبح فيها الأمور مخيفة. غير أنه لم يفعل.

بدلًا من ذلك، قال: «شكرًا».

حدَّقتُ إليه.

قلتُ: «أحيانًا تفاجئني».

لم ينظر إليَّ عندما قال: «وأنتِ بالكاد تفاجئينني. إنكِ لا تزالين كما أنتِ».

حدجته بنظرة غاضبة.

- شكرًا جزيلًا.

ألقيتُ كيس القمامة الذي أحمله في السلة، وأغلقتُ الغطاء بشيء من القوة.

- لا، أعني...

انتظرته ليقول شيئًا، وبدا أنه قد يفعل، لكن من ثم رأينا سيارة جيرمايا تقترب من المنزل. كلانا أخذ يراقب جيرمايا وهو يركن السيارة ثم خرج منها ومعه كيس بقالة بلاستيكي. تقدم نحونا بخطوات واسعة، وعيناه مشرقتان.

قال لي وهو يؤرجح الكيس في يده: «مرحبًا».

قلتُ: «مرحبًا».

لم أستطع حتى النظر إلى عينيه. لقد تذكرتُ كل شيء بينما كنتُ أستحم: تذكرت كوني جعلتُ جيرمايا يرقص معي، والركض هربًا من كونراد، وأنه قد حملني وألقاني في الرمال. يا لها من مذلة. ما الذي أفظع من كونهما قد رأياني أتصرف بتلك الطريقة؟

ثم ضغط جيرمايا على يدي، ولما رفعتُ رأسي لأنظر إليه، قال «شكرًا» بلطف شديد آلمني.

مشى ثلاثتنا عائدين إلى المنزل. كانت فرقة «ذا بوليس» (The Police) تغني أغنية «رسالة في زجاجة» (Message in a Bottle) وكان صوت الستريو عاليًا جدًّا. وعلى الفور بدأ رأسي ينبض بالألم، وكان كل ما أردته هو العودة إلى السرير.

قلتُ وأنا أفرك صدغيَّ: «هل يمكننا خفض صوت تلك الأغنية؟».

قالت أمي وهي تأخذ الكيس من جيرمايا: «لا».

أخرجَتْ حبة كبيرة من الزنباع وألقتها لكونراد.

ثم قالت وهي تشير إلى العصَّارة: «اعصرها».

كانت تلك العصَّارة مِلكًا للسيد فيشر، وكانت ضخمة الحجم ومعقدة الشكل، واحدة من عصَّارات «جاك لالان» (Jack LaLanne) تلك التي تظهر في الإعلانات التسويقية في فواصل برنامج «آخر الليل» (The Late Night).

استنشق كونراد نفسًا بصوت عالٍ.

- لأجله؟ لن أعصر الزنباع من أجله.

- بل ستفعل.

ثم قالت أمي موجِّهةً كلامها إليَّ: «السيد فيشر قادم لتناول الفطور».

أطلقتُ صرخة حادة. ركضتُ نحوها ولففتُ ذراعيَّ حول خصرها.

حذرتني قائلة: «إنه مجرد فطور. لا ترفعي آمالكِ عاليًا».

ولكن الأوان قد فات. كنتُ أعلم أنها ستغيِّر رأيه. أعلم ذلك. وكذلك جيرمايا وكونراد. إنهما يؤمنان بقدرات أمي وكذلك أنا... وازداد ذلك أكثر من أي وقت مضى عندما رأيتُ كونراد وقد بدأ في تقطيع الزنباع إلى نصفين. أومأت إليه أمي وكأنها رقيب تدريب.

قالت: «جير، حضِّر المائدة، وبيلي، أعدِّي البيض».

بدأتُ في تكسير البيض في وعاء، وقَلَتْ أمي اللحم المقدد في مقلاة سوزانا المصنوعة من الحديد الزهر. وتركت لي شحم اللحم المقدد لأقلي البيض فيه. قلَّبتُ البيض، وقد جعلتني رائحة البيض والشحم راغبةً في التقيؤ. حبستُ أنفاسي وأنا أقلِّب، وحاولت أمي إخفاء ابتسامتها وهي تراقبني.

سألت قائلة: «هل أنتِ بخير يا بيلي؟».

أومأتُ، وأنا أكزُّ على أسناني.

سألَتْ كما لو أنه سؤال عرضي: «أتخططين للشرب مرة أخرى؟».

هززتُ رأسي بكل ما أوتيت من قوة.

- بتاتًا .. البتة. مستحيل أن أكررها.

عندما وصل السيد فيشر بعد نصف ساعة، كنا مستعدين لاستقباله. دخل ونظر إلى الطاولة في ذهول.

قال: «واو! هذا يبدو رائعًا يا لور، شكرًا لكِ».

نظر إليها نظرة ذات مغزى، نظرة من نوع النظرات التآمرية التي يتبادلها الكبار.

ابتسمت أمي ابتسامة أشبه بابتسامة الموناليزا. لم يكن السيد فيشر يعلم ما الذي ينتظره.

قالت: «دعونا نجلس».

فجلسنا جميعًا. جلست أمي بجانب السيد فيشر وجلس جيرمايا مقابله. وأنا جلستُ بجانب كونراد.

قالت أمي: «مُدُّوا أيديكم».

شاهدتُ السيد فيشر يغرف كومة من البيض في طبقه، ومن ثم أربع شرائح من اللحم المقدد، لقد أحب حقًّا اللحم المقدد بالطريقة التي أعدته بها أمي.. محمَّصًا، يكاد يكون محروقًا إلى حد التفحم. تجنبتُ اللحم المقدد والبيض وأخذتُ كعكة فحسب.

سكبت أمي للسيد فيشر كأسًا طويلة من عصير الزنباع.

- طازج، معصور للتو بيدَي ابنك الأكبر.

أخذه، بشيء من الريبة. لا يمكنني أن ألومه. فإن الشخص الوحيد الذي كان يعصر للسيد فيشر عصيرًا طازجًا هي سوزانا. ولكنه سرعان ما استعاد حضوره الذهني. حشا شوكة ملأى بالبيض في فمه، وقال: «اسمعي، أشكركِ مرة أخرى على قدومكِ للمساعدة يا لوريل. أقدِّر هذا فعلًا. (ثم نظر إلينا نحن الصغار...) هذان الولدَان لم يكونا حريصين جدًّا على الاستماع لما كان عليَّ قوله. لذا أنا سعيد لأنني بتُّ أحظى الآن بقليل من الدعم».

فابتسمت له أمي بالقدر نفسه من اللطف والسرور.

- أوه، لكنني لستُ هنا لدعمك يا آدم. أنا هنا لدعم ولَدي بيك.

تلاشت ابتسامته. ووضع شوكته جانبًا.

- لور...

- لا يمكنك بيع هذا المنزل يا آدم. أنت تعلم هذا. إنه يعني للأولاد الكثير. بيعه سيكون خطأ.

تحدثت أمي بنبرة هادئة، وعقلانية.

نظر السيد فيشر إلى كونراد وجيرمايا ومن ثم عاد ينظر إلى أمي.

- لقد اتخذتُ قراري بالفعل يا لوريل. لا تجعليني أبدو وكأنني الرجل السيئ هنا.

قالت أمي وهي تأخذ نَفَسًا: «أنا لا أحاول جعلك أي شيء. أنا فقط أحاول مساعدتك».

جلسنا نحن الصغار في سكون تام في انتظار أن يتحدث السيد فيشر. كان يكافح من أجل البقاء هادئًا، غير أن وجهه كان يتحول إلى اللون الأحمر.

- وأنا أقدِّر ذلك. لكنني اتخذتُ قراري. المنزل للبيع. وبصراحة يا لوريل، ليس لديكِ الحق في إبداء رأيك في ذلك. أنا آسف. أعلم أن سوز جعلتكِ دائمًا تشعرين أن هذا المنزل منزلكِ جزئيًّا بشكل ما، لكنه ليس كذلك.

كدتُ أشهق. اندفع ناظراي نحو أمي، ورأيتُ أنها، كذلك، كانت تتحول إلى اللون الأحمر.

قالت: «أوه، أعرف ذلك. هذا المنزل بالكامل لبيك، مئة بالمئة. دائمًا ما كان منزل بيك. كان هذا هو مكانها المفضل. لهذا السبب يجب أن يحتفظ به الولدان».

نهض السيد فيشر وقد دفع كرسيه للخلف.

- لن أتجادل معكِ بشأن هذا الأمر يا لوريل.

قالت أمي: «آدم، اجلس».

- لا، لا أعتقد أنني سأفعل.

بدت عينا أمي على وشك أن تحتدما.

- قلتُ اجلس يا آدم. (حدَّق إليها في دهشة بعينين مفتوحتين على مصراعيهما، وكذلك فعلنا نحن) يا أطفال، اذهبوا من هنا.

فتح كونراد فمه ليجادل، لكنه أعاد التفكير في الأمر وغير رأيه، وبخاصة عندما رأى النظرة المرتسمة على وجه أمي، ورأى أباه وقد عاد للجلوس ثانيةً. أما أنا، فخرجتُ بأقصى ما أمكنني من سرعة. خرجنا جميعًا من المطبخ مسرعين وجلسنا أعلى الدرج، محاولين جاهدين الاستماع لما سيقولانه.

لم يكن علينا الانتظار طويلًا. إذ قال السيد فيشر: «ما هذا بحق الجحيم يا لوريل؟ أتعتقدين حقًّا أنكِ يمكنكِ دفعي لتغيير رأيي؟».

- معذرةً، لكن عليك اللعنة.

صفقتُ بيدي على فمي، وكانت عينا كونراد تلمعان وهو يهز رأسه في إعجاب. ولكن جيرمايا بدا وكأنه على وشك البكاء. مددتُ يدي وأمسكتُ بيده وضغطتُ عليها. وعندما حاول سحب يده، تمسكتُ بها أكثر.

- هذا المنزل كان كل شيء بالنسبة إلى بيك. ألا يمكنك تجاوز حزنك ورؤية ما الذي يعنيه لولديك؟ إنهما يحتاجان إليه. **يحتاجان** إليه. لا أريد أن أصدق أنكَ بهذه القسوة يا آدم.

لم يُجِبها.

- هذا المنزل ملكها، وليس ملكك. لا تجعلني أوقفك بنفسي يا آدم. لأنني سأفعل. سأفعل كل ما بوسعي للحفاظ على هذا المنزل من أجل ولَدي بيك.

قال السيد فيشر: «ماذا ستفعلين يا لوريل؟».

وقد بدا صوته مُتعَبًا جدًّا.

- سأفعل ما يتوجب عليَّ فعله.

كان صوته مكتومًا عندما قال: «إنها في كل مكان هنا. إنها في كل مكان».

على الأغلب كان يبكي. كدتُ أشعر بالأسف تجاهه.

أعتقد أن أمي قد شعرت بذلك أيضًا، لأن نبرتها كانت شبه متلطفة ورقيقة عندما قالت: «أعلم. ولكن يا آدم؟ إنك لم تكن قط زوجًا صالحًا، لكنها أحبَّتك. لقد أحبَّتك حقًّا. لقد عادت إليك بعد كل ما فعلته. لقد حاولتُ إقناعها بألا تفعل، الرب يعلم أنني حاولت. ولكنها لم تستمع لي، لأنها عندما تقرر اختيار شخص ما، هكذا يكون الحال. وهي قررت أن تختارك يا آدم. فلتُثبت أنك تستحق ذلك. فلتُثبت لي أنني مخطئة».

قال شيئًا ما لم أستطع سماعه.

ثم قالت أمي: «فلتفعل هذا الشيء الأخير من أجلها، حسنًا؟».

نظرتُ إلى كونراد، وقال بصوت خفيض، غير مُحدِّثٍ شخصًا بعينه: «لوريل مذهلة».

لم أسمع قط أي شخص يصف أمي بتلك الطريقة، لا سيما كونراد. لم أفكر فيها من قبل على أنها «مذهلة»، لكنها في تلك اللحظة كانت كذلك. كانت مذهلة حقًّا.

قلتُ: «أجل، إنها كذلك. وكذلك كانت سوزانا أيضًا».

نظر إليَّ لدقيقة ثم نهض وذهب إلى غرفته من دون انتظار سماع ما سيقوله السيد فيشر بعد. لم يكن بحاجة إلى ذلك. لقد انتصرت أمي. لقد فعلَتْها.

بعد فترة وجيزة، عندما بدت الأوضاع مستتبة، عدتُ أنا وجيرمايا إلى الطابق السفلي. وجدنا أمي والسيد فيشر يشربا القهوة على طريقة الكبار. كانت عيناه ضاربتين إلى الحمرة، أما عيناها فبدتا صافيتين كأعين المنتصرين.

عندما رآنا، قال: «أين كونراد؟».

كم مرة سمعتُ السيد فيشر يقول «أين كونراد؟»، مئات المرات. بل ملايين.

قال جيرمايا: «في الأعلى».

- اذهب وأحضره، هلَّا فعلت يا جير؟

تردد جيرمايا ثم نظر إلى أمي، التي أومأت برأسها. صعد الدَّرَج وبعد بضع دقائق، كان كونراد معه. بدا على وجه كونراد الحذر، والتحفظ.

قال السيد فيشر: «سأبرم معكما صفقة».

هذا هو السيد فيشر بأسلوبه القديم المعتاد، رجل الوساطة والمفاوضة. إنه يحب عقد الصفقات. كان معتادًا عرض صفقات علينا عندما كنا أطفالًا. مثلًا: أنه سيوصلنا إلى مضمار «جو-كارت» إذا كنسنا الرمال من الجراج، أو أنه سيأخذ الأولاد للصيد إذا نظَّفوا جميع عُلَب تخزين طُعوم الصيد.

بحذر، قال كونراد: «ماذا تريد؟ صندوقي الائتماني؟».

كزَّ السيد فيشر على أسنانه.

- كلا. أريدك أن تعود إلى الدراسة غدًا. أريدك أن تنهي امتحاناتك. لو فعلت ذلك، سيصبح المنزل ملكك. ملكك أنت وجيرمايا.

صاح جيرمايا بصوت عالٍ. وصرخ قائلًا: «مرحى!».

مدَّ يده مطوِّقًا السيد فيشر في عناق رجالي، وربت السيد فيشر على ظهره.

سأل كونراد قائلًا: «وما المقابل؟».

- بلا مقابل. ولكن عليك الحصول على تقدير «جيد» على الأقل. لا «مقبول» ولا «ضعيف».

لطالما كان السيد فيشر يتباهى بنفسه لنجاحه في التفاوض على شروط صعبة عند إبرام الصفقات.

- هل اتفقنا؟

تردد كونراد. وعرفتُ على الفور ما الخطب. لم يرغب كونراد في أن يكون مدينًا لأبيه بأي شيء. على الرغم من أن هذا ما كان يريده، على الرغم من أن هذا هو سبب قدومه إلى هنا. لم يكن يريد أن يأخذ أي شيء من أبيه.

قال: «إنني لم أذاكر. قد لا أنجح».

كان يختبر ردة فعله فحسب. لم يسبق لكونراد قط أنه «لم ينجح». بل إنه لم يحصل قط على تقدير أقل من «جيد جدًّا»، بل حتى تقدير «جيد جدًّا» كان نادرًا بين تقديراته.

قال السيد فيشر: «إذن فلنُلغِ الصفقة. تلك هي شروطي».

فورًا قال جيرمايا: «كون، فلتوافق وحسب يا رجل. سنساعدك في مذاكرتك. أليس كذلك يا بيلي؟».

نظر كونراد إلي، وأنا نظرتُ إلى أمي.

- هل يمكنني مساعدته يا أمي؟

أومأت أمي برأسها قائلة: «يمكنكِ البقاء الليلة، لكن عليكِ أن تكوني في المنزل غدًا».

قلتُ لكونراد: «فلتقبل الصفقة».

قال أخيرًا: «حسنًا».

قال السيد فيشر وهو يمد يده: «فلنتصافح على ذلك كالرجال إذن».

وعلى مضض، مدَّ كونراد ذراعه وتصافحا. نظرت إليَّ أمي وحرَّكت فمها قائلة من دون أن تصدر صوتًا: *فلنتصافح على ذلك كالرجال*، وعرفتُ أنها كانت تفكر في كم أن السيد فيشر ذكوريٌّ. ولكن لا يهم. لقد انتصرنا.

قال جيرمايا: «شكرًا يا أبي. شكرًا، حقًّا».

عانق أباه ثانيةً، وقد احتضنه السيد فيشر قائلًا: «أنا بحاجة إلى العودة إلى المدينة. (ثم أومأ إليَّ وقال...) شكرًا لمساعدة كونراد يا بيلي».

قلتُ: «على الرحب والسعة».

غير أنني لم أكن أعرف على ماذا قد قلتُ «على الرحب والسعة»، لأنني حقًّا لم أفعل أي شيء. لقد ساعدت أمي كونراد في نصف ساعة أكثر مما ساعدته أنا طوال الوقت الذي عرفته فيه.

بعد أن غادر السيد فيشر، نهضت أمي وبدأت في شطف الأطباق. انضممتُ إليها ووضعت الأطباق في غسالة الصحون. أرحتُ رأسي على كتفها لثانية.

قلتُ: «شكرًا لكِ».

- على الرحب والسعة.

- لقد كنتِ داهية بحق يا أمي، داهية كالعاهرات.

قالت وقد ارتفعت زاويتا فمها: «انتبهي لألفاظِك».

- والآن أنتِ مَن تتحدثين عن الألفاظ!

ثم تابعنا غسل الأطباق في صمت، وقد ارتسمت على وجه أمي تلك النظرة الحزينة فعرفتُ أنها كانت تفكر في سوزانا. تمنيتُ لو أن هناك شيئًا يمكنني قولُه من شأنه جعل تلك النظرة تتلاشى بعيدًا، لكن في بعض الأحيان فقط لا تملك الكلمات.

أوصلناها نحن الثلاثة إلى السيارة.

سألت وهي تُلقي حقيبتها على مقعد الراكب الأمامي: «ستعيدانها إلى المنزل غدًا أيها الولدان؟».

قال جيرمايا: «بالتأكيد».

ثم قال كونراد: «لوريل. (ثم تردد) ستعودين مجددًا، أليس كذلك؟».

التفتت أمي إليه، متفاجئةً. لقد تأثَّرَت.

سألت قائلة: «أترغب في وجود سيدة عجوز مثلي بالجوار؟ بالتأكيد سأعود مجددًا كلما دعوتني».

فسأل: «متى؟».

لقد بدا صغيرًا جدًّا، ومتأثرًا جدًّا على نحو آلَمَ قلبي بعض الشيء. أعتقد أن أمي كانت تشاركه الشعور نفسه، لأنها مدَّت يدها ولامست خده. لم تكن أمي من النوع الذي قد يلمس خدَّ أحد. هذه ليست طريقتها مطلقًا. ولكنها كانت طريقة سوزانا.

- قبل انتهاء الصيف، وسأعود من أجل إغلاق المنزل أيضًا.

ثم ركبت أمي السيارة. لوَّحت لنا وهي تتراجع عن ممر الجراج، كانت قد ارتدت نظارتها الشمسية، وفتحت زجاج النافذة على آخره.

- أراكم قريبًا.

لوَّح لها جيرمايا، وقال كونراد: «نراكِ قريبًا».

أخبرتني أمي ذات مرة أنه عندما كان كونراد صغيرًا جدًّا، كان يناديها «لورته». كان يقول: «أين لورتي؟» ويتجوَّل في الأنحاء باحثًا عنها. قالت إنه كان يتبعها في كل مكان؛ حتى إنه كان يتبعها إلى الحمَّام.

كان يدعوها حبيبته، وكان يُحضِر لها سرطانات البحر والأصداف من المحيط ويضعها عند قدميها. عندما أخبرتني بشأن ذلك، فكَّرتُ، *بماذا قد أُضحِّي فقط لأسمع كونراد فيشر يدعوني حبيبته وأراه يُحضِر لي الأصداف.*

كانت قد قالت حينها وعلى وجهها ابتسامة خافتة: «واثقة من أنه لا يتذكر ذلك».

فسألتها قائلة: «لماذا لا تسألينه ما إذا كان يتذكر؟».

كنتُ أحب سماع القصص عن كونراد عندما كان صغيرًا. كنتُ أحب استخدامها في استفزازه، لأن أي فرصة لاستفزاز كونراد كانت شيئًا نادرًا جدًّا.

قالت: «لا، هذا قد يسبب له حرجًا».

قلتُ: «وماذا في ذلك؟ أليس هِذا هو المغزى؟».

فأجابتني قائلة: «إن كونراد حساس، ويتمتع بكبرياء عالية. فلندعه يحظى بذلك».

ومن طريقتها في قول ذلك، أمكنني القول إنها كانت تفهمه حقًّا. تفهمه بطريقة أعجز عنها. كنتُ أغار من ذلك، أغار منها.

سألتُها: «وكيف كنتُ أنا في طفولتي؟».

- أنتِ؟ كنتِ طفلتي المدللة.

فألححتُ قائلة: «لكن كيف كنتُ؟».

- كنتِ تطاردين الأولاد. كم كانت لطيفة وظريفة الطريقة التي كنتِ تتبعينهم بها، محاولةً جذب انتباههم. (ضحكت أمي) لقد جعلوكِ ترقصين وتحبكين الحِيَل.

- مثل الجرو؟

عبستُ لمرور الفكرة بخاطري.

لوحت لي بالنفي، وقالت: «أوه، لقد كنتِ لطيفة جدًّا. كنتِ تحبين أن تُشرَكي في الأمور وحسب».

الفصل السابع والثلاثون

جيرمايا

في اليوم الذي جاءت فيه لوريل، كان المنزل في حالة يرثى لها، وكنتُ واقفًا مرتديًا سروالي الداخلي أكوي قميصي الأبيض. كنتُ بالفعل قد تأخرتُ على وليمة طلاب السنة النهائية، وكنتُ في مزاج سيئ. بالكاد قالت أمي كلمتين طوال اليوم، وحتى نونا لم تستطع جعلها تتحدث.

كان من المفترض أن أذهب لاصطحاب مارا، وكانت تكره أن أتأخر عليها. كانت ستغضب وتجلس متذمرة بشأن كل الوقت الذي جعلتها تنتظره.

كنتُ قد تركتُ المكواة لثانيةٍ، حتى أتمكن من قلب القميص على الجهة الأخرى، وانتهى بي الأمر بحرق الجزء الخلفي من ذراعي.

صرختُ قائلًا: «اللعنة!».

لقد آلمتني حقًّا حد الجحيم.

كانت تلك هي اللحظة التي ظهرت فيها لوريل. دخلَتْ من الباب الأمامي ورأتني واقفًا في غرفة المعيشة مرتديًا سروالي الداخلي وممسكًا بذراعي.

أخبرتني قائلة: «مرِّر عليها بعض الماء البارد».

ركضتُ إلى المطبخ ووضعتُ ذراعي تحت الصنبور لبضع دقائق، وعندما عدتُ، كانت قد أنهت كيَّ القميص وبدأت في كيِّ بنطالي الكاكيِّ.

سألتني: «هل تفضِّل كيَّ بنطالك مع ثنية من الأمام؟».

قلتُ: «آه، بالتأكيد. ما الذي تفعلينه هنا يا لوريل؟ إنه يوم الثلاثاء».

عادةً ما كانت لوريل تأتي في عطلات نهاية الأسبوع وتمكث في غرفة الضيوف.

قالت وهي تمرر المكواة على الوجه الأمامي للبنطال: «فقط جئتُ لأتفقد بعض الأمور. كنتُ متفرغةً بعد ظهيرة اليوم».

أخبرتها قائلًا: «لقد نامت أمي بالفعل. إن الدواء الجديد الذي تتناوله يجعلها تنام طوال الوقت».

قالت لوريل: «هذا جيِّد. وماذا عنك أنت؟ لماذا تتأنق هكذا؟».

جلستُ على الأريكة وارتديتُ جواربي، وأخبرتُها قائلًا: «لدي الليلة وليمة طلاب السنة النهائية».

سلَّمَتني لوريل قميصي وبنطالي.

- في أي وقت ستبدأ؟

ألقيتُ نظرة خاطفة على الساعة ذات الصندوق الخشبي الكبير في البهو، وقلتُ وأنا أرتدي سروالي: «منذ عشر دقائق فاتت».

- عليك الذهاب الآن!

قلتُ: «شكرًا لكِ على كيِّ ملابسي».

كنتُ آخذ مفاتيحي عندما سمعتُ أمي تنادي باسمي من غرفة نومها. التفتُّ نحو بابها، فقالت لوريل: «فقط اذهب إلى وليمتك يا جير. سأتولى الأمر».

ترددتُ.

- هل أنتِ متأكدة؟
- بنسبة ألف بالمئة. هيا اذهب.

أسرعتُ على طول الطريق إلى منزل مارا. خرجَتْ عندما توقفتُ بالسيارة أمام منزلها. كانت ترتدي ذلك الفستان الأحمر الذي أحببته وبدت جميلة، وكنتُ على وشك إخبارها بذلك، لكنها في تلك اللحظة قالت: «لقد تأخرت».

أغلقتُ فمي. ولم تتحدث معي مارا لبقية الليلة، ولا حتى عندما فزنا بلقب «ألطف حبيبين». لم تشعر برغبة في الذهاب إلى حفلة باتان بعد ذلك ولا أنا أيضًا. وطوال الوقت الذي كنتُ فيه بالخارج، كنتُ أفكر في أمي وأشعر بالذنب لغيابي لفترة طويلة.

عندما وصلنا إلى منزل مارا، لم تخرج من السيارة فورًا، وكانت هذه إشارة إلى رغبتها في التحدث. أطفأتُ المحرك.

- إذن.. ما الأمر؟ أما زلتِ غاضبة مني لتأخري يا مار؟

بدت متألمةً.

- فقط أريد أن أعرف ما إن كانت علاقتنا ستستمر أم لا. هل يمكنك إخباري بما تودُّ فِعْلَه فحسب، ومن ثم سنفعله؟
- بصراحة، إنني لا أستطيع حقًّا التفكير في هذا النوع من الأمور في الوقت الحالي.
- أعرف. أنا آسفة.
- ولكن إن كنتُ مضطرًّا إلى الإجابة عن ذلك بنعم أم لا، فأعتقد أننا لو بقينا معًا عند عودة الدراسة في الخريف، ستكون علاقتنا علاقة عن بُعد... (ترددتُ، ومن ثم قلتُها) لذا على الأرجح سأقول لا.

بدأت مارا في البكاء، وشعرتُ وكأنني قطعة من الخَراء الخالص. كان عليَّ أن أكذب فحسب.

قالت: «هذا ما فكَّرتُ فيه».

ثم طبعت قُبْلَةً على خدي وخرجت من السيارة ودخلت إلى منزلها.

إذن، هكذا انفصلنا. وإذا سأكون صادقًا تمامًا، فسأعترف أنه كان من المريح أنني لن أضطر إلى التفكير في مارا بعد الآن. فالشخص الوحيد الذي كنت أحتفظ بمكان له في رأسي هي أمي.

عندما عدتُ إلى المنزل، كانت أمي ولوريل لا تزالان مستيقظتين، تلعبان الورق وتستمعان إلى الموسيقى. ولأول مرة منذ أيام، سمعتُ أمي تضحك.

لم تغادر لوريل في اليوم التالي. لقد مكثت معنا طوال الأسبوع. في ذلك الوقت، لم أكن أتساءل حول وظيفتها، ولا عن كل الأشياء التي كانت تجري في منزلها. لقد كنتُ فقط ممتنًّا لوجود شخص كبير في الجوار.

الفصل الثامن والثلاثون

سار ثلاثتنا عائدين إلى المنزل. شعرتُ بأشعة الشمس ساخنة على ظهري وفكرتُ كم سيكون رائعًا لو استلقيتُ على الشاطئ لفترة من الوقت، أن أحظى بقيلولة الظهيرة بعيدًا، وأستيقظ لأجد نفسي أتمتع بسُمرة جذَّابة. ولكن لم يكن هناك وقت لذلك، ليس ونحن نحتاج إلى جعل كونراد مستعدًّا لاختبارات منتصف الفصل الدراسي خاصته بحلول الغد.

عندما دخلنا، ارتمى كونراد فوق الأريكة وتمدد جيرمايا على الأرض.

تأوه قائلًا: «مُتعَبٌ جدًّا!».

إن ما فعلته أمي من أجلنا، بالنسبة لي، كان هدية. والآن حان دوري للقيام بالمثل.

قلتُ: «انهضا».

لم يتحرك أيٌّ منهما. كانت عينا كونراد مغمضتين. لذا قذفتُ كونراد بوسادة ووخزتُ جيرمايا في بطنه بقدمي.

- علينا البدء في المذاكرة، أيها المتشردان الكسولان. انهضا حالًا!

فتح كونراد عينيه، وقال: «أنا متعب جدًّا لا أستطيع المذاكرة. أحتاج إلى أخذ قيلولة لأستعيد نشاطي أولًا».

قال جيرمايا: «وأنا أيضًا».

رمقتهما بنظرة حادة وقد عقدتُ ذراعيَّ، وقلتُ: «وأنا كذلك متعبة جدًّا، تعلمان ذلك. ولكن انظرا إلى الساعة؛ إنها الواحدة بالفعل. سنضطر إلى العمل طوال الليل والمغادرة في وقت مبكر حقًّا من صباح الغد».

قال كونراد مستهجنًا: «أنا أعمل بشكل أفضل عندما أكون تحت ضغط».

- ولكن...

- جديًّا يا بيلي، لن أستطيع العمل بتلك الطريقة. فقط دعيني أنام لمدة ساعة.

كان جيرمايا بالفعل يغفو. تنهَّدتُ. لم أستطع محاربة كليهما.

- حسنًا. ساعة واحدة. ولكن هذا كل شيء.

دخلتُ إلى المطبخ وصببتُ لنفسي كوبًا من الكولا. شعرتُ بالإغراء في أن آخذ قيلولة أيضًا، لكن هذا من شأنه أن يُعد مثالًا سيئًا.

وبينما هما نائمان، بدأت في تنفيذ الخطة. أخرجتُ كتب كونراد من السيارة، وأحضرتُ حاسوبه المحمول إلى الطابق السفلي، وأعددتُ المطبخ كما لو كان حجرة دراسة. وصَّلتُ المصابيح بالكهرباء، ونظمت الكتب والمجلدات بحسَب المواد، وعلى الرغم من أنني لا أشرب القهوة، كنتُ أعلم أنني أحضِّرها بشكل جيد، لأنني كنتُ أعِدُّ قدحًا لأمي كل صباح. ثم استقللتُ سيارة جيرمايا وقدتُ إلى مطعم «ماكدونالدز» (McDonald's) لأشتري شطائر البرجر بالجبن. كانا مغرَمين بشطائر البرجر بالجبن من ماكدونالدز. لقد اعتادا إجراء مسابقات لأكل أكبر عدد من شطائر البرجر بالجبن من ماكدونالدز في أسرع وقت ممكن، وكانا يكدسانها بعضها فوق بعض مثل فطائر البان-كيك. أحيانًا كانا يسمحان لي باللعب أيضًا. وفي إحدى المرَّات، فزتُ. أكلتُ تسعًا من شطائر البرجر بالجبن.

تركتهما ينامان لنصف ساعة إضافية.. ولكن هذا فقط لأن الأمر استغرق مني هذا القدر من الوقت لإعداد الأشياء. ثم ملأت زجاجة الرذاذ الخاصة

بسوزانا، تلك التي كانت تستخدمها في ري نباتاتها الأكثر حساسية. رششتُ كونراد أولًا، مباشرةً في عينيه.

قال وقد استيقظ على الفور: «مهلًا، ما هذا؟».

مسح وجهه بأسفل بقميصه، فأعطيته رشَّة أخرى لمجرد فعله ذلك.

غنيتُ قائلة: «استيقظا يا صديقيَّ!».

ثم ذهبتُ لجيرمايا ورششته أيضًا. ولكنه لم يستيقظ. لطالما كان من المستحيل إيقاظه. كان يستطيع النوم حتى في خلال فورة مدِّية. أخذتُ أرش وأرش، وبمجرد أن تقلَّب، فككتُ الجزء العلوي من الزجاجة وسكبتُ الماء مباشرةً على ظهر تي-شيرته.

استيقظ أخيرًا ومدد ذراعيه، وهو ما يزال مستلقيًا على الأرض. ابتسم لي ببطء، كما لو كان معتادًا الاستيقاظ بهذه الطريقة.

قال: «صباح الخير».

ربما كان من الصعب إيقاظ جيرمايا، لكنه لم يكن قطُّ متذمرًا عندما يستيقظ أخيرًا في نهاية المطاف.

قلتُ بنبرة منفعلة: «نحن لسنا في الصباح. أوشكت الساعة أن تصبح الثالثة بعد الظُّهر. لقد سمحتُ لكما يا رفيقين بالنوم لنصف ساعة إضافية، لذا من الأفضل أن تكونا ممتنين».

قال جيرمايا وقد مدَّ لي يده لأساعده على النهوض: «أنا ممتن بالفعل».

أعطيته يدي على مضض وساعدته لينهض.

قلتُ: «تعاليا».

تبعاني إلى المطبخ.

قال كونراد وهو ينظر في أنحاء المطبخ وإلى كل أغراضه: «ما هذا بحق الـ...».

صفق جيرمايا بيديه، ثم رفع يده لنضرب كفَّينا معًا، وقد فعلنا.

قال: «أنتِ مذهلة! (ثم أخذ يشمشم ووقعت عيناه على كيس ماكدونالدز الأبيض الملطَّخ ببقع الزيت وأشرق وجهه ابتهاجًا) مرحى! شطائر برجر الجبن من «ميكي-ديز»[1]. يمكنني التعرف على تلك الرائحة في أي مكان!».

صفعتُ يده مبعدةً إياها قائلة: «ليس بعد. ثمة نظام مكافآت هنا. سيذاكر كونراد، ومن ثم يحصل على الطعام».

عبس جيرمايا قائلًا: «وماذا عني؟».

- يذاكر كونراد، فتحصل على الطعام.

نظر إليَّ كونراد رافعًا حاجبيه.

قال: «نظام مكافآت ها؟ وعلى ماذا سأحصل أيضًا؟».

احمررتُ خجلًا.

- فقط برجر الجبن.

أخذ يرمش بعينيه أمام وجهي مُفكِّرًا ومُقيِّمًا، كما لو أنه يحاول أن يقرر ما إذا كان سيشتري معطفًا أم لا. شعرتُ بالحرارة تتدفق إلى وجهي وهو ينظر إليَّ.

قال أخيرًا: «بقدر ما أعجبني أمر نظام المكافآت، سأضطر إلى رفضه».

سأل جيرمايا قائلًا: «ما الذي تقوله؟».

هزَّ كونراد كتفيه.

- سأذاكر بشكل أفضل بمفردي. سأتولى أمري. يمكنكما الذهاب يا رفيقيَّ.

هزَّ جيرمايا رأسه في اشمئزاز، وقال: «تمامًا كما هو الحال دائمًا. لا تستطيع تقبل المساعدة. حسنًا، أنا آسف من أجلك حقًّا، لأننا لن نتحرك من هنا».

قال كونراد وهو يعقد ذراعيه: «ما الذي تعرفانه عن منهج السنة الأولى لمادة علم النفس يا رفيقيَّ؟».

---

(1) «ميكي-ديز» (Mickey D's): اسم مشهور يطلق على سلسلة مطاعم ماكدونالدز داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

فأسرع جيرمايا قائلًا: «سنكتشف ذلك. (ثم غمز لي) بيلز، هل يمكننا تناول الطعام أولًا؟ إنني بحاجة إلى بعض الدهون».

شعرتُ وكأنني قد فزتُ بجائزة. وكأنني لا أُقهر.

قلتُ وأنا أمدُّ يدي إلى الكيس: «واحد لكل منكما. هذا كل شيء».

وعندما أدار كونراد ظهره، بينما كان يفتِّش في الخزانة عن صلصة التاباسكو، رفع جيرميا يده ومدَّها إليَّ لنضرب كفَّينا معًا مرة أخرى. ضربتُ كفِّي في كفِّه من دون صوت وابتسم بعضنا لبعض ابتسامة عريضة. كنتُ أنا وجيرمايا نشكل فريقًا جيدًا، لطالما كنا كذلك.

أكلنا شطائر البرجر خاصتنا في صمت. وبمجرد انتهائنا، قلتُ: «كيف تريد القيام بذلك يا كونراد؟».

قال: «بالنظر إلى أنني لا أريد القيام بأي شيء على الإطلاق، فسأدعكِ تقررين».

كانت شفته السفلى ملطخة بالخردل.

- حسنًا، إذن. (كنتُ مستعدة لهذا) أنت ستقرأ. وأنا سأتولى أمر بطاقات الملاحظات لمادة علم النفس. وجيرمايا سيكون مسؤولًا عن التظليل وتحديد النقاط المهمة.

قال كونراد ساخرًا: «جيرمايا لا يعرف شيئًا عن التظليل وتحديد النقاط المهمة».

قال جيرمايا: «مهلًا، ماذا! (ثم التفت إليَّ، وقال...) إنه محق. أنا فاشل في التظليل وتحديد النقاط المهمة. إن الأمر ينتهي بي فقط بتظليل الصفحة بأكملها. سأتولى أمر بطاقات الملاحظات وقومي أنتِ بالتظليل يا بيلز».

فتحتُ حزمة من بطاقات الفهرسة وسلَّمتُها إلى جيرمايا. وبشكل لا يمكن تصوره، وافق كونراد. التقط كتاب علم النفس من بين كومة الكتب وبدأ في القراءة.

وبينما هو جالس إلى الطاولة، يدرس وجبينه مجعَّد، بدا يشبه كونراد القديم. ذلك الشخص الذي يهتم بأشياء كالامتحانات والقمصان المكويَّة وانضباط المواعيد. والمفارقة في هذا كله هي أن جيرمايا لم يكن قطُّ طالبًا

نجيبًا. كان يكره المذاكرة؛ ويكره الدرجات. لطالما كان التعلم والدراسة من مهارات كونراد المميزة. منذ البداية، كان هو الشخص الذي يمتلك مجموعة أدوات التجارب الكيميائية، ويخترع لنا تجارب لنقوم بها كمساعديه. أتذكر عندما اكتشف كلمة «عبثي»، وكان يتجول في الأرجاء يقولها طوال الوقت. كان يقول: «هذا أمر عبثي». أو تعبير «غليظ الذهن»، شتيمته المفضلة.. كان يقولها كثيرًا أيضًا. وفي الصيف الذي كان فيه في العاشرة من عمره، حاول شقَّ طريقه في قراءة الموسوعة البريطانية. وعندما عدنا في الصيف الذي يليه، كان قد وصل إلى حرف الـ«Q».

أدركتُ ذلك فجأةً. إنني مشتاقة إليه. طوال هذا الوقت. في أعماقي، كان هذا الشعور موجودًا. دائمًا كان موجودًا. وعلى الرغم من أنه كان يجلس على بُعد بضعة أقدام مني فحسب، كنتُ مشتاقة إليه أكثر من أي وقت مضى.

من تحت رموشي، أخذتُ أراقبه، وقلتُ في خاطري: *فلتعد. فلتعد أنت الذي أحبه وأتذكره.*

الفصل التاسع والثلاثون

6 يوليو

كنا قد انتهينا من علم النفس وبدأ كونراد يعمل على كتابة مقالة اللغة الإنجليزية خاصته واضعًا سماعات رأسه، عندما رنَّ جرس هاتفي. كانت تايلور. لم أكن متأكدة ما إذا كانت تتصل لكي تعتذر أم لتطالب بإحضار أغراضها إلى المنزل فورًا. ربما مزيج من الاثنين. أغلقتُ هاتفي.

فمع كل تلك الدراما بشأن المنزل، لم أفكر في شجارنا ولو مرة. لقد عدتُ فقط إلى المنزل الصيفي ليومين، وكما هو الحال دائمًا، لقد نسيتُ تمامًا أمر تايلور وكل شيء آخر في الديار. ما يهمني موجود هنا. لطالما كان الحال هكذا. ولكن تلك الكلمات التي قالتها، كانت مؤلمة. لربما كانت صحيحة. ولكني لا أعلم ما إذا كان بإمكاني أن أسامحها على قولها.

كان الظلام يخيِّم عندما انحنى جيرمايا وقال بصوت خفيض: «أتعلمين، إذا أردتِ، يمكنكِ المغادرة الليلة. يمكنكِ أن تأخذي سيارتي فحسب. وسآتي

لأخذها غدًا، بعد انتهاء كونراد من امتحاناته. ويمكننا التسكع معًا أو شيء من هذا القبيل».

- أوه، أنا لن أغادر. أريد الذهاب معكما غدًا يا رفيقيَّ.

- هل أنتِ متأكدة؟

- بالطبع متأكدة. ألا ترغب في أن آتي معكما؟

كان الأمر قد بدأ يجرح مشاعري، تلك الطريقة التي يتصرفان بها كما لو كنتُ مُرغَمة على الوجود معهما، وكأننا لسنا عائلة.

- بلى، بالطبع أرغب.

سكت لبرهة وكأنه أوشك أن يقول شيئًا آخر.

وخزته بقلم التظليل الذي أمسكه: «هل أنت خائف من التورط في مشكلة مع مارا؟».

لم يكن سؤالي سوى نوع من المزاح. كنتُ ما زلتُ لا أصدق أنه لم يخبرني بأن لديه حبيبة. لستُ متأكدة تمامًا من سبب أهمية ذلك، لكنه كان مهمًّا. فمن المفترض أننا قريبان من بعضنا بعضًا. أو على الأقل كنا كذلك. كان ينبغي أن أعرف ما إذا كانت لديه حبيبة أم لا. ومنذ متى، وهل هما «منفصلان» على أي حال؟ إنها لم تحضر إلى الجنازة، أو على الأقل لا أعتقد أنها قد فعلت. لم أرَ جيرمايا يأتي ويقدمها للناس. أي نوع من الحبيبات هؤلاء اللاتي لا تذهبن إلى جنازة والدة حبيبهن. حتى وقد أصبح كونراد حبيبي السابق، ذهبتُ.

ألقى جيرمايا على كونراد نظرة خاطفة وأخفض صوته وهو يقول: «لقد أخبرتُكِ. لقد انتهى أمرنا أنا ومارا».

وعندما لم أُعقِّب على كلامه بشيء. قال: «بربكِ يا بيلي. لا تكوني غاضبة».

قلتُ وأنا أظلل فقرة بأكملها: «لا أصدق أنك لم تخبرني عنها. (لم أنظر إليه) لا أصدق أنك أبقيت الأمر سرًّا».

- لم يكن هناك أي شيء لأقوله، أقسم لكِ.

قلتُ: «هاه!».

ولكنني شعرتُ بتحسن. اختلستُ نظرة خاطفة على وجه جيرمايا، فنظر إليَّ بعينين قلقتين.

- حسنًا؟

- حسنًا. لا يؤثر فيَّ الأمر بشكل أو بآخر. لقد اعتقدتُ فقط أنك كنت ستخبرني بشيء كهذا.

عاد للاسترخاء في مقعده مرة أخرى.

- لم تكن علاقتنا بتلك الجدية، صدقيني. كانت مجرد فتاة. لم يكن الأمر كعلاقة كونراد بـ...

جفلتُ، فتوقف عن الكلام وقد بدا عليه الشعور بالذنب.

لم يكن الأمر كعلاقة كونراد بأوبري. لقد أحبها. في يوم من الأيام، كان مجنونًا بها. لم يكن معي قط بتلك الطريقة. مطلقًا. ولكنني أحببته. أحببته حبًّا أطول مدةً وأصدق شعورًا مما فعلتُ مع أي شخص آخر في حياتي كلها، وربما لن أحب أي شخص آخر بتلك الطريقة مرة أخرى. ولأكون صريحة، بدت تلك فكرة مريحة إلى حدٍّ ما.

الفصل الأربعون

6 يوليو

عندما استيقظتُ في صباح اليوم التالي كان أول ما فعلته هو أن ذهبتُ إلى نافذتي. مَن يعلم كم مرة سأرى هذا المنظر مرة أخرى؟ جميعنا كنا نكبر. قريبًا سأكون في الكُليَّة. ولكن الشيء الجيد، الشيء المريح، هو معرفة أنه سيبقى هنا. لن يذهب المنزل بعيدًا.

بالنظر إلى النافذة، كان من المستحيل رؤية أين تنتهي السماء ويبدأ المحيط. لقد نسيتُ كيف يمكن أن تكون الصباحات ضبابيَّة هنا. وقفتُ هناك محاوِلةً إشباع روحي، محاوِلة جعل الذكرى تدوم. ثم ركضت إلى غرفتي جيرمايا وكونراد، وقرعتُ البابين.

صحتُ قائلة، بدءًا من نهاية الردهة: «استيقظا! حان وقتُ الانطلاق!».

توجهتُ إلى الطابق السفلي لأحصل على كوب من العصير، ووجدتُ كونراد جالسًا إلى طاولة المطبخ، حيث كان عندما ذهبتُ للنوم في نحو

الساعة الرابعة صباحًا. كان بالفعل قد ارتدى ملابسه ويدوِّن ملاحظات في مفكِّرة.

بدأتُ في الابتعاد عن المطبخ، لكنه رفع رأسه ورآني.

قال: «بيجامة لطيفة!».

احمررتُ خجلًا. كنت ما زلتُ مرتديةً بيجامة تايلور الغبية.

قلتُ وقد تجهم وجهي: «سنغادر في غضون عشرين دقيقة، لذا كن مستعدًّا».

وفي أثناء عودتي إلى الطابق العلوي، سمعتُ كونراد يقول: «أنا مستعد بالفعل».

إذا قال إنه جاهز، فهو جاهز فعلًا. سيجتاز تلك الامتحانات. بل إنه على الأرجح سيتفوَّق فيها. لا يفشل كونراد أبدًا في أي شيء قد وضعه بباله وعزم على فعله.

بعد ساعة، كنا على وشك الخروج إلى طريقنا. كنتُ أقفل باب الشرفة الزجاجي الجرَّار عندما سمعتُ كونراد يقول: «هل ينبغي لنا فعل ذلك؟».

استدرتُ، وبدأتُ أقول: «ينبغي لنا فعل ماذا؟».

حين ظهر جيرمايا من العدم قائلًا: «أجل! لأجل الأيام الخوالي».

أوه-أوه.

قلتُ: «مستحيل. مستحيل بحق الجحيم».

والشيء التالي الذي أعرفه، هو أن جيرمايا كان ممسكًا بساقيَّ وكونراد بذراعيَّ، وأرجحاني معًا للخلف، ثم للأمام.

صاح جيرمايا قائلًا: «رمية بيلي!».

وألقيا بي في الهواء، وعندما هبطتُ في المسبح، قلتُ في بالي: *حسنًا، ها هما متحدان على شيء ما على الأقل.*

عندما عدتُ إلى سطح الماء، صرختُ قائلة: «وغدان!».

لم يكن من ذلك إلا أن زاد من شدة ضحكاتهما.

اضطررتُ إلى العودة إلى الداخل وتغيير ملابسي المبللة، الملابس التي كنتُ قد ارتديتُها في اليوم الأول. ارتديتُ فستان تايلور الصيفي وصندلها ذا النعلين السميكين. وعندما اعتصرتُ شعري بمنشفة اليد، كان من الصعب أن أكون غاضبة. حتى إني ابتسمتُ لنفسي في المرآة. من المحتمل أن تكون تلك آخر «رمية بيلي» في حياتي، ولم يكن ستيفن موجودًا للمشاركة فيها.

كانت تلك فكرة جيرمايا أن نأخذ سيارة واحدة، لكي يتمكن كونراد من مواصلة المذاكرة على الطريق. لم يحاول كونراد حتى الجلوس في المقعد الأمامي، لقد توجه مباشرة إلى الخلف وبدأ يُقَلِّب في بطاقات الملاحظات خاصته.

وكما هو متوقع، بكيتُ ونحن نبتعد بالسيارة. كنتُ سعيدة فحسب لأنني أجلس في المقدمة وأرتدي النظارة الشمسية، لكيلا يستطيع الولدَان مضايقتي بشأن ذلك. ولكنني أحببتُ ذلك المنزل، وكرهتُ أن أودِّعه. لأنه، كان أكثر من مجرد منزل. إنه كل صيف، كل جولة بالقارب، كل غروب. إنه سوزانا.

قُدنا في شبه صمت تام لفترة من الوقت، ومن ثم جاءت أغنية لـــ «بريتني سبيرز» (Britney Spears) على الراديو، فرفعتُ صوته، عاليًا. ومن الغني عن القول إن كونراد يكره بريتني سبيرز، لكنني لم أهتم. بدأتُ أغني معها، وكذلك فعل جيرمايا.

غنيتُ، وأنا أتراقص نحو لوحة القيادة: «آه يا عزيزي، يا عزيزي، ما كان يجب أن أدعك تذهب».[1]

وغنى جيرمايا وهو يحرك كتفيه: «أرني كيف تريده أن يكون».

وبعد انتهاء الأغنية. بدأت أغنية لـــ«جاستن تيمبرليك» (Justin Timberlake) وكان جيرمايا يُقَلِّد جاستن تيمبرليك بشكل رائع. كان غير

(1) من أغنية (Baby One More Time) 1998.

واعٍ لذاته على الإطلاق. لقد جعلتني أريحيته التامة أرغب في أن أكون كذلك أيضًا.

غنَّى لي: «وأخبريني كيف حصلتِ على ذلك الوجه الصغير الجميل فوق ذلك الجسد الصغير الجميل، يا فتاة».[1]

وضعتُ يدي على قلبي ومَثَّلْتُ كما لو أنني قد أصبتُ بالإغماء من أجله، مثل معجبة مهووسة.

استمر في الغناء: «بسرعة أو ببطء، أيما كان الطريق الذي توَّدين الجري فيه، يا فتاة».

ولحقتُ به في مقطع الكورال مغنيَّة: «لا يمكن لهذا أن يكون مجرد حب صيفي...».

ومن المقعد الخلفي، زمجر كونراد قائلًا: «هل يمكنكما خفض صوت الموسيقى يا رفيقيَّ؟ إنني أحاول أن أذاكر هنا، أتذكران؟».

استدرتُ وقلتُ: «أوه، آسفة. هل يزعجك ذلك؟».

نظرَ إليَّ مضيِّقًا عينيه. ومن دون أن ينبس ببنت شفة، أخفض جيرمايا صوت الموسيقى. قُدْنا لساعة أخرى أو نحو ذلك ومن ثم قال: «هل أحدكما بحاجة إلى التبوُّل أو أي شيء؟ سأتوقف عند المخرج التالي من أجل الوقود».

هززتُ رأسي نافيةً.

- كلا، لكنني عطشَى.

توقفنا في ساحة انتظار محطة الوقود وبينما كان جيرمايا يملأ السيارة بالوقود وكونراد غافيًا في قيلولة، ركضتُ إلى المتجر. أحضرتُ لي ولجيرمايا مشروب السلاش، نصفه من الكوكاكولا ونصفه من عصير الكرز، وهو مزيج قد أتقنتُه على مر السنين.

وعندما عدتُ إلى السيارة، ركبتُ وسلَّمتُ جيرمايا مشروب السلاش الخاص به، أشرق وجهه بالكامل.

- أوو! شكرًا لكِ يا بيلز! أي نكهة أحضرتِ لي؟

---

(1) من أغنية (Summer Love) لجاستن تيمبرليك.

- تذوَّقْه لتعرف.

أخذ رشفةً وأومأ برأسه في تقدير: «نصف من الكوكاكولا ونصف من عصير الكرز، اختصاصك. رائع».

بدأتُ أقول: «مهلًا، أتذكر ذلك اليوم...».

قال: «أجل، ما زال أبي لا يريد لأي أحد أن يلمس خلَّاطه».

رفعتُ قدميَّ فوق لوحة القيادة واتكأتُ إلى الوراء، وأنا أرتشف مشروبي. قلتُ في عقلي: *السعادة هي مشروب السلاش وماصَّة باللون الوردي الزاهي.*

ومن الخلف، قال كونراد، بانفعال: «أين مشروبي؟».

قلتُ: «اعتقدتُ أنك كنت نائمًا. والسلاش يجب أن يُشرب على الفور وإلا سيذوب، لذا... لم أر جدوى لذلك».

حدَّق كونراد إليَّ في غضب.

- حسنًا، على الأقل دعيني أحصل على رشفة.

- ولكنك تكره السلاش.

وهو ما كان صحيحًا. إن كونراد لا يحب المشروبات السُكَّرية، لم يحبها قط.

- لا أهتم. أنا عطشان.

أعطيته الكوب وراقبته وهو يشرب. كنتُ أتوقع أن يعبس وجهه في اشمئزاز أو شيء من هذا القبيل، لكنه شرب منه فحسب وأعاده.

ثم قال: «اعتقدتُ أن اختصاصكِ هو إعداد الكاكاو وليس أي مشروب آخر».

حدَّقتُ إليه. هل قال ذلك حقًّا للتو؟ هل تذكَّر؟ من الطريقة التي نظر إليَّ بها، وقد رفع حاجبًا واحدًا، عرفتُ أنه قد تذكَّر. وهذه المرة، كنتُ أنا مَن أشاح بنظره بعيدًا.

لأنني تذكَّرتُ. تذكَّرتُ كل شيء.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الحادي والأربعون

عندما غادر كونراد لأداء امتحانه، اشتريتُ أنا وجيرمايا شطيرتي لحم الديك الرومي بالأفوكادو على خبز أسمر، وأكلناهما في الحديقة. أنهيتُ شطيرتي أولًا. كنتُ جائعة حقًّا.

ولمَّا انتهى، كوَّر جيرمايا ورق القصدير في يده وألقاه في صندوق القمامة. ثم عاد للجلوس بجانبي فوق العشب.

ومن العدم، قال: «لماذا لم تأتي لرؤيتي بعد موت أمي؟».

تلعثمتُ قائلة: «لـــ.. لـــ.. لـــقد فعلتُ، لقد حضرتُ إلى الجنازة».

كانت نظرة جيرمايا مثبَّتة عليَّ وعيناه لا ترمشان.

- ليس هذا ما أعنيه.

- أنا.. أنا لم أعتقد أنك كنتَ ترغب في وجودي هناك.

- لا، هذا لأنكِ لم ترغبي في الوجود هناك. كنتُ أرغب في وجودكِ.

كان محقًّا. لم أكن أرغب في الوجود هناك. لم أرغب في الوجود بأي مكان بالقرب من منزلها. إن التفكير فيها يؤلم قلبي، كان الأمر ثقيلًا للغاية. ولكن

فكرة أن جيرمايا كان ينتظر مني اتصالًا، أنه كان بحاجة إلى شخص ما للتحدث معه، تلك أوجعتني بشدة.

أخبرته قائلة: «معك حق. كان عليَّ أن آتي».

لطالما كان جيرمايا موجودًا من أجل كونراد، وسوزانا. ومن أجلي أنا. ومَن الذي كان موجودًا من أجله؟ لا أحد. أردته أن يعرف أنني هنا الآن.

نظر إلى السماء، وقال: «الأمر صعب، أتعلمين؟ لأنني أريد التحدث عنها. ولكن كونراد لا يرغب في ذلك، ولا يمكنني التحدث إلى أبي، وأنتِ لم تكوني موجودة أيضًا».

- ما الذي ترغب في قوله؟

أرجعَ رأسه إلى الوراء، مُفَكِّرًا.

- أنني أفتقدها. أفتقدها حقًّا. لقد رحلَت منذ شهرين فقط، لكنني أشعر وكأنه وقت أطول. وأشعر أيضًا أنه قد حدث للتو، وكأنه بالأمس.

أومأتُ. كان هذا بالضبط هو ما شعرتُ به.

- أتعتقدين أنها ستكون سعيدة؟

سعيدة بشأن كونراد، هذا ما كان يقصده، بشأن مساعدتنا له.

- أجل.

- وأنا أيضًا. (ثم تردد..) والآن ماذا؟

- ماذا تعني؟

- أعني، هل ستعودين مجددًا هذا الصيف؟

- أجل، أكيد. عندما تأتي أمي، سآتي أيضًا.

فأومأ برأسه قائلًا: «عظيم. لأن أبي كان مخطئًا، كما تعلمين. هذا منزلكِ أيضًا. ومنزل لور، وستيف. إنه منزلنا جميعًا».

وفجأةً راودني أغرب شعور ممكن من الرغبة، والاحتياج، إلى مد يدي ولمس خده بظهر يدي. لكي يعرف، لعله يعرف، لعله يشعر بالضبط، كم تعني لي تلك الكلمات. لأنه في بعض الأحيان تكون الكلمات عاجزة بشكل مثير للشفقة، وكنتُ أعرف ذلك، لكن كان عليَّ المحاولة على أي حال.

قلتُ: «شكرًا لك. هذا يعني.. الكثير».

هزَّ كتفيه قائلًا: «إنها الحقيقة فحسب».

رأيناه قادمًا من بعيد، يمشي مسرعًا. نهضنا وانتظرناه.

قال جيرمايا: «هل يبدو مظهره موحيًا بخبر سار بالنسبة إليكِ؟ إنه يبدو مبشِّرًا بالخير بالنسبة لي».

لقد بدا كذلك بالنسبة لي أيضًا.

أسرع كونراد نحونا، وعيناه تلمعان.

قال في انتصار: «لقد سحقتُ ذلك الامتحان، سحقته».

إنها المرة الأولى التي رأيته فيها يبتسم، يبتسم بحق -مبتهجًا، بلا هموم- منذ وفاة سوزانا. ضرب هو وجيرمايا كفيهما معًا بقوة حتى إن صوت الصفقة قد دوَّى في الهواء. ثم ابتسم لي كونراد، وأمسك بيدي وجعلني أدور حول نفسي في حركة راقصة بسرعة كبيرة حتى إنني كدتُ أتعثَّر.

كنتُ أضحكُ قائلة: «أترى؟ أترى؟ لقد أخبرتك!».

رفعني كونراد وألقى بي فوق كتفيه وكأنني لا أزن شيئًا، تمامًا مثلما فعل في تلك الليلة. ضحكتُ وقد أخذ يركض، ويلوِّح يمينًا ويسارًا كما لو كان في ملعب كرة قدم.

صرختُ وأنا ممسكة بقوة بذيل فستاني: «أنزلني!».

وقد فعل. أنزلني إلى الأرض برفق، وقال ويده لا تزال على خصري: «شكرًا.. لمجيئك».

وقبل أن أقول له على الرحب والسعة، اقترب جيرمايا وقال: «ما يزال لديك امتحان يا كون».

كان صوته متوترًا، وكنتُ أضبِّط فستاني.

نظر كونراد إلى ساعته وقال: «معك حق. سأتوجه إلى قسم علم النفس. سيكون هذا الامتحان سريعًا. ألقاكما يا رفيقيَّ في غضون ساعة أو نحو ذلك».

وبينما أشاهده يبتعد، كان مليون سؤال يدور في رأسي. شعرتُ بالدوار، وليس السبب في ذلك فقط أنه أمسك بيدي وجعلني أدور حول نفسي في الهواء.

وفجأة، قال جيرمايا: «سأذهب إلى الحمام. سألتقيكِ في السيارة».

أخرجَ مفاتيحه من جيبه وألقى بها إليَّ.

سألته قائلة: «أتريدني أن أنتظر؟».

ولكنه كان قد بدأ بالفعل في السير بعيدًا.

لم يستدر حين قال: «لا، تفضَّلي بالركوب».

وبدلًا من الذهاب مباشرة إلى السيارة، توقفتُ عند المتجر الطلابي واشتريتُ مشروبًا غازيًّا وسترة ذات غطاء للرأس مكتوب عليها **(براون)** بخط عريض. وعلى الرغم من أن الجو لم يكن باردًا، ارتديتُها.

جلستُ أنا وجيرمايا في السيارة، نستمع إلى الراديو. كان الظلام قد بدأ يخيِّم. وكانت النوافذ مفتوحة وأمكنني سماع طائر يزقزق في مكان ما هناك. سينتهي كونراد من آخر امتحاناته قريبًا.

قال جيرمايا: «سترة جميلة، بالمناسبة».

- شكرًا. لطالما أردتُ اقتناء واحدة من جامعة براون.

فأومأ جيرمايا قائلًا: «أتذكر».

تحسستُ قلادتي، وأخذتُ ألفُّها حول خنصري.

- أتساءل...

تركتُ كلمتي معلقة في الهواء، في انتظار أن يحثني جيرمايا على إكمالها، أن يسألني عما كنتُ أتساءل. ولكنه لم يفعل.

كان صامتًا.

فنظرتُ من النافذة وأنا أتنهد، ثم سألت قائلة: «هل تحدَّثَ عني في أي وقت سابق؟ أعني، هل قال أي شيء من قبل؟».

انفجر قائلًا: «لا تفعلي هذا».

التفتُّ نحوه مرتبكة: «أفعل ماذا؟».

- لا تسأليني ذلك. لا تسأليني عنه.

تحدَّث جيرمايا بنبرة خفيضة قاسية، نبرة لم يتحدث بها معي من قبل، ولا أتذكر أنه قد استخدمها مع أي شخص. كانت ثمة عضلة في فكِّه ترتعش بقوة.

جفلتُ وغرقتُ في مقعدي. شعرتُ كما لو أنه قد صفعني.

- ما خطبك؟

بدأ يقول شيئًا، ربما كان اعتذارًا وربما لا، ومن ثم توقف، ومال نحوي، وجذبني إليه.. كما لو كان بفعل قوة الجاذبية. قبَّلني، بشدة، وشعرتُ ببشرته الخشنة غير المحلوقة على خدي. كان أول ما دار في بالي هو: *أعتقد أنه لم يكن لديه وقت للحلاقة هذا الصباح*، ومن ثم.. صرتُ أقبِّله أنا الأخرى، وصارت أصابعي تتخلل خصلات شعره الأصفر الناعم وعيناي مغمضتان. قبَّلَني وكأنه غريق وأنا الهواء. كانت قبلات نهمة، وضارية، ولا تشبه أي شيء عشته من قبل.

كان هذا ما يقصده الناس عندما يقولون إن الأرض قد توقفت عن الدوران. شعرتُ وكأن العالم خارج تلك السيارة، وتلك اللحظة، ليس موجودًا. لا يوجد شيء سوانا.

وعندما تراجع، بدا بؤبؤاه متضخمين ومشوشين. رَمَشَ بعينيه، ثم تنحنح قائلًا: «بيلي...».

كان صوته ضبابيًّا. لم يقل أي شيء آخر، اسمي فحسب.

- هل ما زلتَ...

تهتم لأمري. تفكر بي. ترغب في.

بصرامة، قال: «بلى،بلى ما زلتُ».

ثم تبادلنا القُبَل مرة أخرى.

لا بد أنه قد أحدث بعض الضوضاء، لأن كلينا رفع رأسه لينظر في الوقت نفسه. ابتعدنا عن بعضنا بعضًا، إنه كونراد، وكان ينظر إلينا مباشرة. لقد توقف على بعد مسافة قصيرة من السيارة. وقد ابيضَّ وجهه.

قال: «لا، لا، لا تتوقفا. لا أود أن أكون الشخص الذي قاطعكما».

استدار بسرعة ومشى بعيدًا. حدقنا أنا وجيرمايا بعضنا إلى بعض في رعب صامت. وما لبثتُ أن كانت يدي على مقبض الباب ووقفتُ على قدميَّ. ولم أنظر ورائي.

ركضتُ خلفه وناديتُ اسمه، لكن كونراد لم يلتفت. أمسكتُ بذراعه، فنظر إليَّ أخيرًا، كان ثمة الكثير من الكراهية في عينيه حتى إنني جفلتُ. رغم أنه، على مستوى ما، ألم يكن هذا ما أردته؟ أن أولم قلبه بالطريقة التي آلَمَ بها قلبي؟ أو ربما، أن أجعله يشعر بشيء ما تجاهي غير الشفقة واللامبالاة. أن أجعله يشعر بشيء ما، أي شيء.

- إذن أنتِ معجبة بجيرمايا الآن؟

كان يقصد أن يبدو ساخرًا، وقاسيًا، وقد فعل، لكنه أيضًا بدا موجوعًا. كما لو كان مهتمًّا بسماع الإجابة.

وهو ما جعلني أشعر بالسعادة، والحزن.

قلتُ: «لا أعرف. وهل يهمك إن كنتُ كذلك؟».

حدَّق إلى وجهي، ثم انحنى للأمام ولمس القلادة حول رقبتي، التي كنتُ أخفيها تحت ملابسي طوال اليوم.

- إذا كنتِ معجبة بجيرمايا، فلماذا ترتدين قلادتي؟

بللتُ شفتيَّ.

- لقد وجدتُها عندما كنا نحزم أغراضك من غرفتك الجامعية. هذا لا يعني أي شيء.

- أنتِ تعلمين ما الذي يعنيه ذلك.

هززتُ رأسي بالنفي.

- لا أعرف.

ولكنني بالطبع كنتُ أعرف. تذكرتُ عندما شرح لي مفهوم اللانهاية. لا تُقَدَّر ولا تُحصى، لحظة تمتد إلى التي تليها، بلا حدود. لقد اشترى لي تلك القلادة. وكان يعرف ما الذي تعنيه.

- إذن، أعيديها لي.

مدَّ يده، ورأيتُها ترتعش.

قلتُ: «لا».

- إنها ليست لكِ. أنا لم أعطها لكِ قط. لقد أخذتِها فحسب.

كان هذا عندما استوعبتُ الأمر أخيرًا. فهمتُ أخيرًا. النيَّة لا تُحتسب. بل التنفيذ الفعلي هو المهم، أن تكون حاضرًا من أجل شخص ما. النية وحدها لا تكفي، لا يعوَّل عليها. ليس بالنسبة لي. ليس بعد الآن. لم يعد كافيًا أن أعرف أنه في أعماقه، كان يحبني. عليك قولها فعليًّا لمن تحبه، عليك إظهار اهتمامك له. وهو قط لم يفعل ذلك. هذا ليس كافيًا.

أمكنني الشعور بأنه كان ينتظر مني أن أجادل، أن أحتج، أن أتوسل. ولكنني لم أفعل أيًّا من تلك الأشياء. لقد كافحتُ لما بدا لي وكأنه الأبدية، وأنا أحاول فك قفل القلادة حول عنقي. ولم يكن الأمر مفاجئًا، بالأخذ في الاعتبار أن يديَّ أيضًا كانتا ترتعشان. وأخيرًا تحررتُ من القيد وأسلَمتُها إليه.

ظهر التفاجؤ على وجهه لأكثر اللحظات ضآلة، ومن ثم، وكما هو الحال دائمًا، خلا وجهه من أي تعبير.

لربما كنتُ أتخيل. أتخيل أنه كان مهتمًّا.

وضعتُ القلادة في جيبه.

قال: «فلتنصرفي إذن».

وعندما لم أتحرك من مكاني، قال بحدة: «اذهبي!».

كنتُ كما الشجرة، متجذِّرة في مكاني. لقد تجمَّدت قدماي.

قال كونراد: «اذهبي إلى جيرمايا، إنه هو الذي يريدكِ. أنا لم أكن يومًا أريدكِ. قَط».

ومن ثم بتُّ أتعثَّر في طريقي، وأنا أركض بعيدًا.

الفصل الثاني والأربعون

لم أعد إلى السيارة على الفور. كل ما كان أمامي هي خيارات مستحيلة. كيف يمكنني مواجهة جيرمايا بعد ما حدث للتو؟ بعد تبادُلنا القُبل؟ بعد أن ركضتُ وراء كونراد؟ كان عقلي يدور في مليون اتجاه مختلف. أخذتُ ألمس شفتيَّ... ومن ثم عظمة ترقوتي، حيث كان مُستَقر القلادة. ظللتُ أتجول في الحرم الجامعي، لكن بعد فترة، عدتُ إلى السيارة. فما كان لدي أي خيار. ليس بإمكاني المغادرة من دون إخبار أي شخص. ولم يكن الأمر كما لو أنني كنت أمتلك وسيلة أخرى للعودة إلى المنزل.

أعتقد أن كونراد كان يفكر في الشيء نفسه، لأنني عندما عدتُ إلى السيارة، وجدته هناك بالفعل، جالسًا في المقعد الخلفي بجانب نافذته المفتوحة. وكان جيرمايا جالسًا فوق غطاء محرك السيارة.

قال: «مرحبًا».

قلتُ: «مرحبًا».

كنتُ مترددة، وغير واثقة مما قد يقوله بعد ذلك. لأول مرة، خيَّب تواصلنا عن طريق التخاطر أملي، لأنني لم يكن لدي أي فكرة عما يفكر فيه. لم أستطع قراءة وجهه.

انزلق من فوق السيارة قائلًا: «مستعدة للعودة إلى المنزل؟».

أومأتُ برأسي، فألقى لي المفاتيح.

قال: «فلتقودي أنتِ».

في السيارة، تجاهلني كونراد تمامًا. بالنسبة إليه، لم أعد موجودة بعد الآن. وبغض النظر عن كل ما قلتُه، لقد جعلني تجاهله لي أرغب في الموت. لم يكن عليَّ المجيء. لم يكن أيٌّ منا يتحدث إلى الآخر. لقد فقدتُ كليهما.

ماذا كانت ستقول سوزانا لو رأت ذلك الوضع الفوضوي الذي نحن فيه الآن؟ كان سيخيب أملها فيَّ كثيرًا. لم يكن وجودي مؤازرًا على الإطلاق، لقد زدتُ الأمور سوءًا ليس إلا.

فقط عندما اعتقدنا أن كل شيء سيكون على ما يرام، تفككنا جميعًا.

كنتُ أقود السيارة لما شعرتُ وكأنه دهرٌ، عندما بدأ المطر في الهطول. بدأ الأمر بقطرات سميكة ثم اشتد في غزارته حتى أصبح يهطل كشلالات من السماء.

سألني جيرمايا قائلًا: «أتستطيعين الرؤية؟».

- أجل.

لقد كذبتُ. بالكاد كنتُ أستطيع رؤية مسافة قدمين أمامي. كانت مسَّاحتا الزجاج الأمامي تلوِّحان ذهابًا وإيابًا بشراسة. بدت الحركة المرورية تزحف ببطء على طول الطريق، ثم ازدادت بطأً حتى كادت تتوقف تمامًا. كانت ثمة أضواء لسيارة شرطة أمامنا في الطريق.

قال جيرمايا: «لا بد أن هناك حادثًا».

كنا عالقين في الزحام لأكثر من ساعة عندما بدأت السماء تمطر بَرَدًا. نظرتُ إلى كونراد في مرآة الرؤية الخلفية، غير أن وجهه كان متجمِّدًا، يخلو من أي شعور أو تعبير. بدا وكأنه في مكان ما آخر.

- أليس من الأفضل لو ركنَّا السيارة جانبًا لبعض الوقت؟

قال جيرمايا وقد ألقى نظرة خاطفة على الساعة: «بلى. فلتخرجي من المخرج التالي ولتنظري ما إن كان بإمكاننا العثور على محطة وقود».

كانت الساعة العاشرة وثلاثين دقيقة.

لم يتوقف المطر. جلسنا في ساحة انتظار محطة الوقود لما بدا وكأنه دهرٌ. كان المطر هادرًا، لكننا كنا هادئين للغاية لدرجة أنه عندما قرقرت معدتي، كنتُ متأكدة تمامًا من أن كليهما قد سمعها. سعلتُ في محاولة للتغطية على الصوت.

قفز جيرمايا من السيارة وركض إلى داخل محطة الوقود. وعندما ركض عائدًا، كان شعره ملبَّدًا ويقطِّر بالماء. ألقى إليَّ بعبوة من زبدة الفول السوداني ومقرمشات الجبن من دون أن ينظر إلي.

قال وهو يمسح جبينه بظهر ذراعه: «هنالك نُزل على الطريق، بعد بضعة أميال».

فقال كونراد: «دعنا ننتظر توقف المطر وحسب».

كانت هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها كونراد منذ أن غادرنا الحرم الجامعي.

- يا صاح، إن الطريق السريع شبه مغلق. لا جدوى من ذلك. أقترح أن نرتاح لبضع ساعات ونغادر في الصباح.

لم يقل كونراد أي شيء.

ولم أقل أنا شيئًا لأنني كنتُ مشغولة للغاية بتناول المقرمشات. كان لونها برتقاليًّا زاهيًا. وكانت مملحة، وهشَّة. وقد حشوتُها جميعًا في فمي، واحدة تلو الأخرى. ولم أعرض ولو واحدة حتى على أيٍّ منهما.

قال جيرمايا: «بيلي، ما الذي تودين فعله؟».

سأل جيرمايا بنبرة مهذبة للغاية، كما لو كنتُ ابنة عمته الآتية من خارج المدينة. وكأنما شفتاه لم تكونا فوق شفتيَّ قبل ساعات فقط.

ابتلعتُ آخر حبَّة من مقرمشاتي، وقلتُ: «لا أهتم. فلتفعلا ما تشاءان».

وبحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى النُّزل، كنا قد أصبحنا في منتصف الليل. ذهبتُ إلى الحمَّام لأتصل بأمي. أخبرتها بما حدث، وعلى الفور قالت: «أنا قادمة لآخذكم».

أراد كل جزء مني أن يقول: *أجل، أرجوكِ، تعالي الآن، في هذه الثانية*. ولكن صوتها بدا متعَبًا جدًّا، ولقد قامت بالكثير بالفعل. لذا، بدلًا من ذلك، قلتُ: «كلا، لا بأس يا أمي».

- لا عليكِ يا بيلي. إن المسافة ليست بعيدة لتلك الدرجة.

- لا بأس، حقًّا، سنغادر غدًا في الصباح.

تثاءبت قائلةً: «هل هذا النُّزل في منطقة آمنة؟».

- أجل.

على الرغم من أنني لم أكن أعلم بالضبط أين نحن، أو ما إن كان يمكن عدها منطقة آمنة. ولكنها بدت آمنة بدرجة كافية.

- حسنًا، فقط اذهبي للنوم وانهضي أول شيء. واتصلي بي عندما تكونون على الطريق.

بعد أن أنهينا المكالمة، اتكأتُ على الحائط لدقيقة. كيف انتهى بي الحال هنا؟ ارتديتُ بيجامة تايلور وارتديتُ سُترتي الجديدة فوقها. أخذتُ وقتي في تفريش أسناني وانتزاع عدساتي اللاصقة. لم أكترث أن الولَدين قد يكونان في انتظار استخدام الحمَّام. أردتُ فقط أن أحظى ببعض الوقت بمفردي، بعيدًا عنهما. وعندما خرجتُ، وجدتُ جيرمايا وكونراد على الأرض، على جانبي السرير، ولكل منهما وسادة وبطانية.

قلتُ: «عليكما أن تأخذا السرير يا رفيقيَّ. (على الرغم من أنني لم أكن أعني ذلك إلا جزئيًّا فقط) أنتما اثنان. سأنام أنا على الأرض».

كان كونراد منشغلًا بتجاهلي، أما جيرمايا فقال: «كلا، فلتأخذيه. أنتِ الفتاة».

في الظروف العادية، كنتُ سأجادله فقط من أجل ذلك المبدأ.. فما علاقة كوني فتاة بما إذا كنتُ سأنام على الأرض أم لا؟ إنني فتاة، ولستُ شخصًا مُعاقًا أو مريضًا. ولكنني لم أجادل. كنتُ متعبة جدًّا. وكنتُ بالفعل أريد السرير.

زحفتُ على السرير، وانزلقت تحت الأغطية. ضبط جيرمايا المُنَبِّه على هاتفه وأطفأ الأنوار. لم يقل أحد «ليلة سعيدة» أو اقترح أن نرى ما إذا كان هناك شيء جيد لنشاهده على التلفاز.

حاولتُ أن أغفو ولكنني لم أستطع. حاولتُ تذكُّر آخر مرة نمنا فيها ثلاثتنا معًا في الغرفة نفسها. لم أستطع في البداية، لكنني بعد ذلك تذكرتُ.

كنا قد نصبنا خيمة على الشاطئ، وتوسلتُ لكي يشركوني فيما بينهم، وأخيرًا جعلتهم أمي يسمحون لي بالذهاب معهم. أنا وستيفن وجيرمايا وكونراد. لعبنا «أونو» لساعات وضربتُ أنا وستيفن كفَّينا معًا عندما فزتُ مرتين على التوالي. وفجأة اشتقتُ إلى أخي الكبير لدرجة أنني أردتُ البكاء. اعتقد جزء مني أنه لو كان ستيفن موجودًا، لما وصلت الأمور إلى هذا الحد. لربما ما كان لأي من هذا أن يحدث، لأنني كنتُ سأكون ما زلت ألاحق الأولاد بدلًا من أن أصبح في المنتصف.

ولكن الآن تغير كل شيء، ولن نتمكن أبدًا من العودة إلى ما كانت عليه الأمور من قبل.

كنتُ مستلقيةً على السرير أفكر في كل هذا عندما سمعتُ شخير جيرمايا، وهو ما أزعجني حقًّا. لطالما كان قادرًا على النوم بمجرد أن يضع رأسه على الوسادة. خمَّنتُ أنه لم يعانِ أي أرق بسبب ما حدث. واعتقدتُ أنه لم يكن عليَّ أن أعاني ذلك أيضًا. انقلبتُ على جانبي الآخر، في الاتجاه المعاكس لجيرمايا.

ومن ثم سمعتُ كونراد يقول بهدوء: «في الصباح، عندما قلتُ إنني لم أكن يومًا أريدكِ، لم أكن أعني ذلك».

حبستُ أنفاسي. لم أكن أعرف ماذا أقول أو ما إذا كان من المفترض عليَّ قول أي شيء من الأساس.. كل ما عرفته أن هذا هو ما كنتُ أنتظره. تلك اللحظة بالضبط. هذا بالضبط.

فتحتُ فمي لأتحدث، وما لبث أن قالها مرة أخرى: «لم أعنِ ذلك».

حبستُ أنفاسي في انتظار سماع ما سيقوله بعد ذلك.

كان كل ما قاله: «ليلة سعيدة يا بيلي».

وبعد ذلك، بالطبع لم أستطع النوم. كان رأسي مملوءًا بأشياء عليَّ التفكير فيها. ما الذي كان يعنيه؟ أنه أراد أن.. أي.. أن نكون معًا؟ أنا وهو، حقًّا؟ إن هذا هو ما كنتُ أرغب فيه طوال حياتي، لكن من ثم تراءى لي وجه جيرمايا، في السيارة، بتعبيره الصادق، ورغبته فيَّ واحتياجه إلي. في تلك اللحظة، كنتُ أريده وأحتاج إليه أيضًا، أكثر من أي وقت مضى. هل كان هذا الشعور يسكن داخلي دومًا؟ ولكن بعد الليلة، لم أكن أعرف حتى ما إذا كان ما يزال يريدني بعد الآن. لربما قد فات الأوان.

ثم تراءى لي كونراد. *لم أعنِ ذلك*. أغمضتُ عينيَّ وسمعته يردد تلك الكلمات لمرَّات ومرَّات. كان صوته، يحوم في الظلام من حولي، يُلوِّعني ويفتنني.

لذا ظللتُ مستلقية هناك بالكاد أتنفس، أسترجع كل كلمة. كان الولدان نائمين بينما أنا متيقظة تمامًا بكل جزء من روحي وجسدي. كان الأمر كحلم مذهل بحق، وكنتُ أخشى النوم لأنني عندما أستيقظ، سيختفي.

الفصل الثالث والأربعون

7 يوليو

استيقظتُ قبل أن يرن مُنَبِّه جيرمايا. استحممتُ، وفرَّشتُ أسناني، وارتديتُ ملابس اليوم السابق نفسها.

ولمَّا خرجتُ، كان جيرمايا يتحدث في الهاتف، وكان كونراد يطوي بطانيته. انتظرته أن ينظر إلي. لو أنه فقط ينظر إلي، يبتسم، يقول شيئًا ما، كنتُ لأعرف ماذا عساي أن أفعل. غير أن كونراد لم يرفع رأسه. لقد أعاد البطانيات إلى الخزانة ومن اثم انتعل حذاءه الرياضي. فكَّ الأربطة، ثم شدَّها بقوة. ظللتُ أنتظر. ولكنه لم ينظر إلي.

قلتُ: «مرحبًا».

- مرحبًا. (رفع رأسه أخيرًا.) صديق لي آتٍ ليأخذني.

سألتُ: «لماذا؟».

- سيكون الأمر أسهل بهذه الطريقة. سيعيدني إلى كازينز حتى يمكنني أخذ سيارتي، ويمكن لجير أن يوصلك إلى المنزل.

قلتُ: «أوه».

كنتُ متفاجئة للغاية، لقد استغرق الأمر مني لحظة من خيبة الأمل والإنكار التام، لاستيعاب ما قاله. وقفنا هناك ننظر إلى بعضنا بعضًا، من دون قول أي شيء. ولكنه كان نوعًا من الصمت الذي يعني كل شيء. في عينيه، لم يكن ثمة أثر لما حدث بيننا بالأمس، وأمكنني الشعور بشيء ما ينكسر داخلي.

هذا كل شيء إذن، لقد انتهى ما بيننا. أخيرًا.

نظرتُ إليه، وشعرتُ بحزن شديد، لأن تلك الفكرة خطرت ببالي: *لن أنظر إليك أبدًا بتلك الطريقة مجددًا. لن أعود أبدًا تلك الفتاة مجددًا. الفتاة التي تعود راكضة بعد كل مرة تدفعها فيها بعيدًا، الفتاة التي تحبك في جميع الأحوال، تحبك مهما حدث.*

لم أستطع حتى الغضب منه، لأن تلك هي طبيعته. لطالما كان هكذا. إنه لم يكذب بشأن ذلك قط. إنه يمنح وما يلبث أن يَسلب ما منحه. شعرتُ به في أعماق معدتي، ذلك الألم المألوف، الشعور بالندم، والضياع الذي لا يستطيع غيره أن يصيبني به. لم أرغب في الشعور به مرة أخرى. مطلقًا، أبدًا.

لعل ذلك كان سبب مجيئي إلى هنا، لكي أتمكن من معرفة ذلك حقًّا. لكي أتمكن من قول وداعًا.

نظرتُ إليه وقلتُ في بالي: *لو كنتُ شجاعة جدًّا أو صريحة جدًّا، لأخبرته.* كنتُ سأقولها، لكي يعرف ذلك، وأعرفُ ذلك، ولكيلا أستطيع التراجع عنها أبدًا. ولكنني لم أكن بهذه الشجاعة والصراحة، لذا كان كل ما فعلته هو أن نظرتُ إليه. وأظن أنه كان يعرف ذلك على أي حال.

إني أطلق سراحك، إني أنتزعك من قلبي، لأنني إن لم أفعل ذلك الآن، فلن أفعله مطلقًا.

كنتُ أنا من أشحتُ بنظري بعيدًا أولًا.

أنهى جيرمايا مكالمته وسأل كونراد: «هل دان في طريقه للمجيء لأخذك؟».

- أجل. فقط سأتسكع هنا وأنتظره.

ثم نظر إليَّ جيرمايا.

- ما الذي تريدين فعله؟

قلتُ: «أريد الذهاب معك».

التقطتُ حقيبتي وحذاء تايلور.

فنهض وأخذ حقيبتي عن كتفي، وقال: «حسنًا، فلنذهب إذن».

وقال لكونراد: «أراك في المنزل».

تساءلتُ أي منزل يقصده، المنزل الصيفي أم منزلهما الأساسي. ولكنني اعتقدتُ أن الأمر لا يهم حقًّا.

قلتُ: «وداعًا يا كونراد».

خرجتُ من الباب حاملةً حذاء تايلور في يدي، ولم أكلف نفسي عناء انتعاله حتى. لم أنظر إلى الوراء. وفي تلك اللحظة، شعرتُ به، ذلك الوهج، ذلك الرضا لكوني أنا من غادرتُ أولًا.

وفي أثناء سيرنا في ساحة موقف السيارات قال جيرمايا: «ربما عليكِ انتعال حذائكِ. قد يجرح قدميكِ شيء ما».

هززتُ كتفيَّ وقلتُ له كما لو أن ما أقوله منطقيٌّ: «هذا حذاء تايلور. (ثم أضفتُ..) إنه ضيِّق جدًّا».

سأل قائلًا: «أتودين القيادة؟».

فكرتُ في الأمر ثم قلتُ: «كلَا، لا بأس. فلتتول أنت القيادة».

فقال وهو يقترب من باب مقعد الراكب الأمامي ويفتح بابي أولًا: «ولكنكِ تحبين قيادة سيارتي».

- أعرف. ولكنني فقط لا أشعر برغبة في ذلك اليوم.

- هل ترغبين في تناول الإفطار أولًا؟

قلتُ: «لا. أرغب في العودة إلى المنزل وحسب».

سرعان ما أصبحنا على الطريق. فتحتُ نافذتي حتى آخرها. أخرجتُ رأسي وتركتُ شعري يتطاير في كل مكان، لمجرد أنني أردتُ ذلك. لقد أخبرني ستيفن ذات مرة أنه ثمة حشرات وأشياء تعلق في شعر الفتيات اللواتي يخرجن رؤوسهن من نافذة السيارة في أثناء سيرها. ولكنني لم أهتم. أحببت الشعور الذي منحتني إياه. الشعور بالحرية.

نظر جيرمايا إليَّ وقال: «تذكرينني بكلبنا القديم، بوجي. كان يحب ركوب السيارة وإخراج رأسه من النافذة».

كان ما يزال، يستخدم نبرته المهذبة. الباردة.

قلتُ: «إنك لم تقل أي شيء بشأن ما حدث قبلًا».

نظرتُ إليه نظرة خاطفة. كان بإمكاني سماع ضربات قلبي العنيفة في أذنيَّ.

- ما الذي تبقَّى ليقال؟

قلتُ: «لا أعرف. الكثير».

بدأ يقول: «بيلي...».

ولكنه ما لبث أن سكت وزفر نَفَسًا، وهو يهزُّ رأسه.

- ماذا؟ ما الذي كنت ستقوله؟

قال: «لا شيء».

ثم مددتُ يدي، وأمسكتُ بيده وخلخلتُ أصابعي بين أصابعه. شعرتُ أنه الشيء الأكثر صوابًا الذي فعلته منذ وقت طويل.

كنتُ قلقة من أن يترك يدي، لكنه لم يفعل. ظلَّت أيدينا متشابكة معًا بقية الطريق إلى المنزل.

بعد مرور عامين

عندما كنتُ أتصور الأبدية، لطالما كنتُ أتخيلها مع الفتى نفسه. في أحلامي، كان مستقبلي محددًا. كان شيئًا أكيدًا.

لم تكن تلك الطريقة التي تخيلته بها. أنا، بفستان أبيض تحت المطر الغزير. أركض إلى السيارة. وهو، يركض أمامي ويفتح لي باب المقعد الأمامي.

يسألني قائلًا: «هل أنتِ متأكدة؟».

أقول وأنا أدلفُ إلى الداخل: «لا».

المستقبل غير واضح. ولكنه لا يزال مِلكي.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

لا صيف في غيابك

"تَحمِلُ هذه الرواية بين طيَّاتها ما تريده كل فتاة في الصيف".

- سارة ديسن، مؤلفة أمريكية

"تُقدِّم ثلاثية الصيف الذي أصبحتُ فيه جميلة توليفة يصعب مقاومتها.. منزل شاطئيٌّ، وغرام صيفيٌّ، وصداقة متينة طويلة الأمد. تمنحك تجربة قرائيَّة عذبة ولذيذة".

- ديب كاليتي، مؤلفة رواية Wild Roses

"لو كان بإمكاني العيش بداخل هذا الكتاب المذهل، كنتُ سأفعل. كنت سأستنشق هواء المحيط، وأستمتع بأشعَّة الشمس، وأتسكَّع طوال اليوم مع بيلي، تلك الفتاة اللطيفة الرائعة المَرِحة، وصديقَيْها منذ نعومة أظفارها، جيرمايا وكونراد. كنت سأشاهد ثلاثتهم وهم يتوقفون عن كونهم أطفالًا ويبدؤون في كونهم أكثر من ذلك... وآمل آمل آمل أنه عندما تقع بيلي في الحب -لأنكم تعلمون بأنها ستفعل- فستعطي قلبها للفتى المناسب تمامًا".

- لورين ميراكل، مؤلفة سلسلة The ttyl ورواية Bliss

جيني هان

مؤلفة أمريكية لأدب روايات الشباب وقصص الأطفال، من مواليد 3 سبتمبر 1980م، اشتهرت بسلسلة The Summer I Turned Pretty وسلسلة To All the Boys، وُلدت هان ونشأت في ريتشموند بولاية فرجينيا وهي من أصول كورية أمريكية. التحقت بجامعة نورث كارولينا في تشابل هيل. وفي عام 2006، حصلت على درجة الماجستير في الكتابة الإبداعية.

أعمال أخرى للكاتبة: